

لا جنس من فضلك فنحن لم نتزوج بعد



لماذا نحتفظ بعلاقاتي بالجنس الآخر؟

بقلم: إيان ستيوارت جريجوري

لا جنس
من فضلك فنحن
لم نتزوج بعد

هل يمكن لله
أن يقدم لي شريك
الحياة ؟

هل يجب على
الكنيسة أن تفعل
المزيد للتوفيق بين الشبان
والشابات في زواج
ناجح ؟

بقلم

إيان ستيوارت جريجوري

ترجمة

ادوارد وديع عبد المسيح



دار الثقافة

" ***No Sex Please, We' re Single*** "
This edition issued by special arrangement
with Kingsway publications, Lottbridge
Drove, Eastbourne, East sussex, England, BN23 6NT.

طبعة أولى

لا جنس من فضلك فنحن لم نتزوج بعد
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨٢١ ط١/١-١/ ٩٩
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٧٧٥١/ ٩٩
I.S.B.N. 977 - 213 - 517 - 5
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: إخلاص أسعد

مقدمة الدار

ماهى أسباب ازدياد أعداد الشباب المسيحى الذى يظل بلا زواج ، هل المشكلة الاقتصادية هى السبب الرئيسى أم أن هناك أسباباً أخرى ربما أهم من العامل الاقتصادى ؟ هل يرجع سبب المشكلة ولو فى جزء منه لفشل الكنيسة فى مساعدة الشباب على تكوين علاقات تؤدى للزواج ، وما المقصود بالكنيسة ؟ هل الراعى هو المسئول عن ذلك ، إن الأسر أيضاً لها دور ؟

هذا الكتاب يقدم معالجة قوية لقضية الذين لم يتزوجوا بعد ، فهو يحدد معالم تلك القضية والمشاكل التى تواجه غير المتزوجين ، كما يوضح المخاطر التى تنتج عن تجاهل وضعهم سواء فى الكنسية أو المجتمع .

ويركز الكتاب على تأثيرات الثقافة المعاصرة فيلفت النظر للعوامل التى لم تكن موجودة من قبل وتؤدى إلى تزايد المشكلة وتعقدها مثل ضعف الترابط الاجتماعى ومن ثم الجو الملائم لتعارف الشباب من الجنسين وتغيير المفاهيم بخصوص شريك الحياة وتكوين أسرة وضعف التمسك بالعهد المسيحى فى الزواج ، وازدياد الحرية الجنسية .

هذا الكتاب : لا غنى عنه للرعاة والقادة الدينيين والشباب أنفسهم من الجنسين الذين لم يتزوجوا بعد ، فسيجد كل واحد من هؤلاء خبرة حية ، وسيشعر أن الكتاب يتناول قضايا ومشكلات موجودة فعلاً فى مجال خبراتهم وتجاربهم .

دار الثقافة

المحتويات

الصفحة

مقدمـة : موقف العزّاب ٧

الباب الأول : العزوبية والكنيسة ١١

الفصل الأول : الابحار فى عالم ما بعد الزواج ١٣

الفصل الثانى : التأثير الرعوى ١٩

الفصل الثالث : نادى التبتل ٣٦

الباب الثانى : لماذا نظلُ عزّابا ؟ ٤٣

الفصل الرابـع : تجنُب الوفاء بعهود الزواج ٤٤

الفصل الخامس : لا أعانى من مشكلة الإنكار ٥٢

الفصل السادس : الثقة - زيت لتسيير آلة الحياة ٦٠

الفصل السابـع : وماذا بعد ؟ ٦٨

الفصل الثامـن : الجنس ٧٤

الفصل التاسع : مواقف شخصية ٨٩

الفصل العاشر : التخلى عن عالم الخيال ١٠٢

الباب الثالث : لعبة التعارف ١١٧

الفصل الحادى عشر : من هو شريك الحياة الذى أبحث عنه وأين يمكن أن أجده ؟ ١١٨

الفصل الثانى عشر : كيف نتبادل الحديث ؟ ١٣٠

خاتمة : إلى أين نحن ماضون ١٤٥

موقف العزّاب

معظم العزاب المسيحيين ، فيما فيهم أنا شخصياً ، يتطلعون بشوق إلى الزواج ، ومع ذلك فمعظم ما كتُب عنا قد كتبه أناس غير مضطرين للتعامل مع الموضوع بصفة جدية . هذا لأنهم إما متزوجون أو لا يريدون أن يتزوجوا . ومثل هذه الكتب بصفة عامة تبدو أنها تركز على : التعامل مع فترة العزوبية وليس عن التقصى عن أسباب ازدياد أعداد الشباب المسيحى الذى يظل بلا زواج على الرغم من حقيقة أنه يريد الزواج . ونادراً ما يتعاملون مع الصراع المعقّد الخاص بالاحتفاظ بالصحة النفسية واستعادتها فى وسط مجتمع تسوده الفوضى الجنسية .

إن العزوبية اللا إرادية ليست بالأمر السهل . ولكن ما يبدو مختلفاً اليوم أنه فى كل من المجتمع المسيحى والمجتمع الخارجي ، فإن أعداد المضربين عن الزواج فى ازدياد . وأعداد كبيرة من جيلنا الحالى يظلون عزاباً لمدة طويلة ، على الرغم من أنهم يريدون الزواج ، مما يعنى بأن عملية التوصل لشريك الحياة تزداد تعقيداً .

وهذا الكتاب يؤكد على حقيقة أن كنائسنا تفشل فشلاً ذريعاً فى تكوين علاقات تؤدى للزواج دون أن تقدم علاجاً . وعدد كبير من قادتنا يظلون صامتين تجاه هذا الموضوع لأنهم لا يريدون أن يسببوا إزعاجاً لمن قرروا عدم الزواج .

ويتكلم عدد آخر ، ولكن تصوراتهم قد عفى عليها الزمن - حيث إنها من بقايا جيل مضى ، عندما كانت العلاقات الزوجية مختلفة تماماً عما هو حادث اليوم . وبعض منهم دنيسويوز يفضلون ترك الموضوعات لآليات سوق الزواج كى تعمل ، مع الأمل الضعيف بأن كل شئ سوف يسير على ما يرام .

لكن هناك كنائس رائعة : فالعزاب فيها لا يشعرون بضغطوط للإقدام على الزواج ، فهم لا يعاملون بأسلوب يقلل من شأنهم أو يعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية ، إنهم يتمتعون بحيا اجتماعية وروحية تعطى فرصة لكثير من الزيجات أن تتم ، ولكن فى العديد من الكنائس

الأخرى نجد المشهد الاجتماعى ساكناً ، بل راكداً . فكل من العُزَّاب الذين يظلون فى مثل هذه الكنائس والذين يتركونها أيضاً يواجهون بأن فرصة اختيار شريك الحياة ضعيفة جداً أو معدومة . كما أن الزيجات التى تحدث بالفعل هى فى أغلب الأحوال زيجات غير موفقة حيث يصدم الزوجان بالإحساس باليأس المتبادل بدلاً من التناغم والانسجام بينهما ، فهل هناك أى عجب إذن أن تزداد حالات الطلاق فى الكنيسة ؟

وكما أن كنائسنا مختلفة ، هكذا نحن . لأنه بينما يوجد أولئك العزاب الذين يتشوقون للزواج ، فهناك آخرون أكثر تفاؤلاً بخصوص الحصول على شريك الحياة ، على الرغم من أنهم لا يزالون يعتبرون أن الأمر كله مربك ومحير . وهناك عدد لا بأس به يتمتع بالإحساس بالرومانسية . ولسوء الحظ ، فإن علاقاتهم تخرج بسرعة عن مسارها الصحيح عندما تجرى الأحداث بسرعة .

فى هذا الكتاب أقدم أفكاراً لكل العزاب - وكذلك لقادة الكنائس - عن كيفية تحسين الوسائل التى تتكون بها العلاقات بين المؤمنين . ولكن فى حين أننا نحن العزاب نشعر بالدافع للتعامل مع مواقفنا الشخصية ، فأنا لست متفائلاً بأن عدداً كبيراً من الخدام سوف يستجيبون للتحدى ، لأنه عندما يتضح أن الأمور تتجه اتجاهاً خاطئاً ، فإن عدداً كبيراً من قادة الكنائس لا يفعلون شيئاً على الإطلاق ، لأن قيامهم بعمل ما هو مطلوب يعنى الاعتراف بأن ذلك كان يجب أن يتم من قبل .

ولذلك فإن الجزء الأوسط من هذا الكتاب يخص العزَّاب ، إذ أحاول أن أكشف عن غموض الارتباك والفوضى التى تسود حياتنا الرومانسية . أما القسم الأخير فهو مخصص للبحث عن المكان الذى يمكن أن نلتقى فيه بشريك الحياة الذى نرغب فيه والطريقة التى يمكن أن يحدث بها ذلك ، وأيضاً عن هوية ذلك الشخص ، والوقت الذى يمكن أن يحدث فيه مثل هذا اللقاء . إنى أحاول أن أجد مبادئ كتابية توضح الطريقة التى يمكن بها إيجاد علاقة بين الرجال والنساء ، وأيضاً أن أطبِّق هذه المبادئ على ثقافتنا المعاصرة .

إن أكثر ما يؤرق الكنائس هو جيش العزَّاب المؤمنين داخل الكنيسة الذين يتصارعون مع وضعهم كعزَّاب .

ليس هناك جرح يسبب نزفاً لجسد المسيح أكثر من الشباب الذى تخلى عن الارتباط بشريك حياة مؤمن . وليس هناك ما يجعل الكنيسة موضع احتقار وسخرية العالم أكثر من صورتها كبيت للعزّاب الذين هم إما من المرائين جنسياً أو الذين يعانون من الكبت الجنسى . وهناك صمت مريب من ناحية رجال الدين تجاه صراع هؤلاء الشباب الذين يعيشون حالة العزوبية فى مجتمع مهووس بالجنس . ويتولد الصمت عن الجهل أو الحيرة والارتباك . وإذا لم يتم تجاهل الشباب ، فهم فى الغالب يتعرضون للإقلال من شأنهم ، فعدد كبير من العزاب الأمناء لديهم مخاوف متزايدة من أن تتحول عضويتهم فى الكنائس إلى عزلة عاطفية وجنسية تدوم مدى الحياة . فاحتمال عثورهم على شريك حياة مسيحى يتناقص باستمرار ، والكنيسة قد أصبحت بالنسبة لهم نادياً للتبتل .

وإنى أشكر كل أصدقائى المسيحيين من العزاب لأجل أفكارهم وحماسهم لإصدار هذا الكتاب. فقد سرقت أفكارهم بلا خجل وقدمت القليل من أفكارى أيضاً . ولا توجد مشكلة إذا لم توافق على هذه الأفكار أو إذا اعتقدت أن هناك موضوعات كان يجب علىَّ تغطيتها . لأن الهدف من هذا الكتاب ، فوق كل شئ ، هو إثارة نقاش قد تأخر كثيراً بين العزّاب عن كيفية مواجهة وإدارة علاقاتنا . فلو أفسحنا المجال للفكر الدينى بشأن الرومانسية فى العلاقات وطبقناها لأمكن للكنيسة أن تستعيد مصداقيتها سواء بالنسبة للعزّاب داخلها أو للعزّاب فى العالم الخارجى . أرسل نسخة من هذا الكتاب لراعيك حتى تتاح له الفرصة لكى يتحمس للتفكير فى هذه الموضوعات من جديد.

الباب الأول

العروبة والكنيسة

الفصل الأول

الإبحار في عالم ما بعد الزواج

منذ أربعين سنة مضت ، كان يمكن تجنب إغراءات العلاقات الجنسية قبل الزواج . فقد كان الناس يتزوجون فى سن أوائل العشرينات ومع ذلك لم يكونوا كاملين ، حيث أن أقل من النصف من النساء لم يحتفظن بعذراويتهن و ١٤٪ فقط من أزواجهن كانوا فى حالة الطهارة إلى أن يتزوجوا ، ولكن كان ذلك أفضل بكثير من جيلنا اليوم الذى لا يتعدى من يحتفظ بطهارته ٤٪ من السيدات ، ١٪ من الرجال .

وفى أيام آبائنا ، كانت الحكمة المقبولة التى يلقيها علينا أصدقاؤنا ومعلمونا ووسائل الإعلام أن الجنس يجب ألا يمارس قبل الزواج . أما اليوم فالأمر لم يعد كما كان من قبل ، فالمجتمع المنحرف يرى أن ضبط النفس نوع من الخلل الوظيفي وليس نابعاً من الوازع الأخلاقى .

هذا بالإضافة إلى أن تأجيل الزواج لإتاحة الفرصة لتحسين فرص العمل والكسب أصبح أمراً شائعاً ، ولا ينظرون إلى الزواج أحياناً كالتزام يرتبطون به حتى يفرّق الموت بين الطرفين .وكثيرون يتجنبون العلاقة الزوجية تماماً بحثاً عن العلاقات العابرة ، وعدد كبير منهم لا يستطيعون إحصاء عدد شركاء العلاقات الجنسية التى تورطوا فيها .

إلا أنه كلما تعرض الناس للإساءة ، كانوا أقل قدرة على الثقة فى الآخرين ، وبدون هذه الثقة لا يمكن أن تنشأ أى علاقات . إن انهيار العلاقات قد أصبح خطوة شريرة نحو الهاوية . وينظر السياسيون إلى ثمن الفساد الأخلاقى بين آن وآخر ، ويقررون أنه باهظ التكاليف فى مجال العائلات ذات العائل الوحيد والجريمة والفوضى وعدم الانضباط . إنهم يرون المشكلات ولكنهم لا يجدون لها حلاً .

وإذا لم يكن الماضى مشجعاً فالمستقبل مخيف بالفعل . إن البحوث فى المجالات الاجتماعية تقول إن واحداً من كل ثلاثة أفراد لن يكونوا مجرد عزاب فقط ، بل سوف يحيون بمفردهم

معتمدين على أنفسهم . فهل سوف ننشطر إلى أمتين تتكون من الأزواج السعداء والعزاب التعساء . إنه من الممكن أن يكون هناك ملايين الأشخاص الذين يتطلعون إلى أن يجدوا شخصاً آخر فى انتظارهم وذلك عند عودتهم لبيوتهم . من الواضح أن هناك نوعاً من الانهيار فى العلاقات آخذ فى الازدياد . وفى كل مراحل الأعمار ، بدءاً من الشباب غير المتزوجين إلى الأرامل الكبار فى السن ، نجد أن العزوبية اللاإرادية مرض قومى لا يمكن السيطرة عليه . إنهم يعرفون أن العلاقات الزوجية التى تحدث عن طريق التورط يصعب الحفاظ عليها ، وإن الزواج لا يضمن السعادة ، ولكنهم مع ذلك يريدون وجود شخص فى المنزل يعودون إليه .

يا لها من فرصة ثمينة لكنائسنا ! لأنه عندما ينحرف مجتمعنا ، فإن الفرصة تتاح لكى نقدم الثقافة البديلة التى يمكن لكل إنسان الحصول عليها والتى تضئ فى وسط الظلام ، مكان مقدس بعيداً عن الظلام ، تتكون فيه علاقات قوية تتم رعايتها ، مجتمع تمارس فيه القوانين الأخلاقية لا أن تُدرَّس فقط.

وفى حين أن الانتعاش عمل من أعمال الله السامية ، إلا أن هناك قدراً كبيراً من النمو « الطبيعى » متاح للكنائس التى تعتنى بعزّابها جيداً .

ولكن حتى اليوم يبدو أننا نضيع من بين أيدينا فرصة كبيرة ، لأننا بدلاً من أن نقدم البديل للعالم ، فإن كنائسنا تقلد العالم . وهناك مؤشرات تدل على أن هناك نسبة متزايدة فى الكنائس غير متزوجين . إن كنائسنا قد أصبحت نوادى للعزاب حيث لا يتزاوج الناس داخلها .

وهذا يرجع لثلاثة اتجاهات كبرى تجعل من الصعوبة بمكان على العزاب المسيحيين أن يكوّنوا علاقات دائمة . **أولها** : زيادة النزعة الفردية التى لم تجعل الناس فقط أكثر خجلاً من الالتزام بالمسئولية بل إنها مزقت أيضاً الكيانات الاجتماعية التى تقابل من خلالها آباؤنا . **وثانيها** : الزلزال الاجتماعى الناتج عن تغير العلاقات بين الجنسين تغييراً جذرياً . فالطرق التى بها يتواصل الرجال والنساء لازالت بحاجة للتكيف تماماً مع هذا التغيير فى النفوذ والتوقعات. **وثالثها** : إن النقص فى حجم الكنيسة يعنى أننا كمسيحيين أصبحنا نتصيد فى برك أصغر

تتضاءل فيها الفرصة « لصيد » مناسب .

ويتضح التأثير المشترك لهذه الاتجاهات الثلاثة مجتمعة فى الزيادة المأساوية فى عدد الأفراد الذين لا يتزوجون رغماً عن إرادتهم ، والذى ليس هو ببساطة نتيجة لوجود نساء فى الكنيسة أكثر من الرجال . وهذه العزوبية غير المرغوب فيها تخلق الفوضى والإحباط مما يخلق بدوره تربة صالحة للارتداد . فطول حياتى المسيحية كلها - كمراهق ، وفى الجامعة ، وفى العشرينات ،والآن فى أوائل الثلاثينات - رأيت أعداداً كبيرة من الناس يتركون إيمانهم لارتباطهم بغير المؤمنين لدرجة أن الأمر يرقى إلى درجة الكارثة بالحركة البطيئة بالنسبة للكنيسة . هؤلاء هم المؤمنون الذين ، على الرغم من أنهم يعتقدون أن الزواج من شريك مؤمن له الأولوية ، إلا أنهم فقدوا الأمل فى أن هذا النموذج المسيحى يمكن أن ينطبق عليهم ، وقرروا إقامة علاقة محسوسة ومتاحة أمامهم .

ومهمة الكنيسة أن تعطى أملاً للذين يقعون تحت إغراء أن يتركوا الكنيسة . فهذا من بين الأسباب التى تشجعهم لكى يدركوا أن علاقتهم مع الله أهم بكثير من أى علاقة بشرية ، ولكن علينا أيضاً أن نبحث عن وسائل عملية لكى نهيئ لهم فرصاً لإيجاد شريك مسيحى مناسب .

إن الذين يشعرون بالاكتئاب بسبب عزوبيتهم قد لا يكونون أكثرية ، ولكن يوجد عزاب آخرون يعانون من الأرتباك وعدم الارتياح اللذين يسببان ألم قلوبنا كرعاة واضطراب عقولنا كإنجيليين . لأن الكنيسة غير السعيدة لن تنمو ، ولن يفتقد الله كنيسة لا تسير بموجب تعاليم الكتاب المقدس بالانتعاش . إننا ككنيسة نعترف بأن الله قد خلقنا كائنات اجتماعية تريد أن تتصل بالآخرين ، ومع ذلك فما الذى نفعله للتعامل مع الاحتياجات الاجتماعية لعزابنا ؟

لا شك أن العلاقات بين الذكور والإناث جانب يجب علينا كمسيحيين أن نتفوق فيه . وعلى أى حال ، فقد صنع الله الزواج . فأن يعيش العزاب حياة تقية ويبحثون عن شريك مناسب للزواج ، فإن ذلك يعد من الموضوعات الحيوية للكنيسة ككل ، ومن الأشياء الهامة بالنسبة لك ولى كأفراد . وأيضاً فى الكنيسة والمجتمع الخارجى ، فإن عدد الذين يظلون عزاباً لمدة أطول

يتزايدون باستمرار ، على الرغم من أنهم يريدون الزواج ، وهذا يعني أن عملية إيجاد شريك تزداد صعوبة . وهذه الزيادة في العزوبية اللا إرادية في الكنيسة قد أدت لمزيد من الإحباط ، وزيادة الفساد الأخلاقي ، وزيادة عدد حالات الزيجات غير الموفقة . وهذا لا يجعل الكنيسة جذابة لغير المؤمنين ، ولا تساعدها في الاحتفاظ بغير المتزوجين . وبالرغم من كل ذلك ، نعدد كبير جداً من المؤمنين المتزوجين يظهرون قدراً كبيراً من عدم المبالاة تجاه ذلك ولا يقومون بتوجيه أو مساعدة غير المتزوجين في البحث عن شريك للحياة . وعدد كبير من قادة الكنيسة ، الذين يتمتعون بقدر كبير من الاحترام، يبدو أنهم يجعلون كل شئ تجاه العملية التي تساعد غير المتزوجين على اختيار شريك الحياة .

ويوماً ما ، سوف يستيقظ قادتنا ليروا مقدار التغيير الذي طرأ على حالة العزاب - التغييرات الضخمة في الطريقة التي يتواصل بها الرجال والنساء - إن قادتنا بحاجة أن يدركوا حجم العدد المتزايد من العزاب في كنائسنا ومجتمعنا ككل ، ويبدأون في النظر إلينا ليس كأشخاص يسببون الضيق للراعي بل كآلات تساعد على نمو الكنيسة . إن هذه المجموعة ليست بحاجة فقط للمزيد من المعلومات إذا كان لابد أن تنجح ، ولكنها تواجه موقفاً اجتماعياً سريع التغير حتى إنها بحاجة لحكمة جديدة تماماً ، حكمة تتفهم ثقافتنا القومية وثقافتنا المسيحية المصاحبة لها ، ويخرج بأفكار جديدة عن كيفية جعل العهد مع الله مناسباً لشباب اليوم .

أليست هذه هي الحكمة - أن نجعل العهد بين الله والإنسان مناسباً لظروف كل جيل ، وتطبيق المبادئ الكتابية على ثقافة العصر ، وليس ثقافة جيل انقرض منذ أربعين عاماً مضت أو حتى ألفي سنة مضت ؟ إننا بحاجة لاستخلاص المبادئ الكتابية الخاصة بالطهارة ، والأمانة، والتعفف ، ومعرفة كيفية تعليمها للشبان الذين نشأوا في حضن ثقافة ترى أن هذه الكلمات بقايا للغة ميتة . وفي الفصل التالي سوف أبين كيف تكون المكافأة مجزية لتلك الكنائس التي تعمل هذا بعزابها . إن تلك الكنائس تحتفظ بمجموعة أوفر حظاً من العزاب الذين يشعرون بالأمان عندما يتزوجون . فإذا أصبح العزاب في كنيستك أكثر حركة ونشاطاً فسوف يكون ذلك مشهداً أكثر جذباً لآخرين ليتذوقوا ما في كنيستك ليروا إن كانت تقدم لهم حياة أفضل أم لا .

والسؤال الرئيسى الذى أحاول استكشاف إجابته فى هذا الكتاب هو : لماذا يوجد عدد كبير من العزاب غير المتزوجين فى الكنيسة ؟ إنى أعرف عدداً كبيراً جداً من المؤمنين المؤهلين للزواج وفى العقد الثالث من العمر (وما بعد ذلك) حتى إنى لا أستطيع أن أعتقد أن هذه الأزمة راجعة لنقص فى عدد الرجال فى الكنيسة .إن هؤلاء الرجال ، كالنساء اللآتى يجلسن بجوارهم يشتاقون للزواج ، ومع ذلك فهذا لا يحدث . لماذا ؟

القسم الثانى يتعامل مع الكثير من الأيديولوجيات الخاطئة التى تعوقنا عن الزواج . وهنا أعنى أفكارنا اللاهوتية المراوغة وعلم النفس الشخصى الأكثر مراوغة . وسوف أضع أمامكم مقداراً لا بأس به من علم الاجتماع وبعض الأفكار الأيدلوجية لحقبة التسعينيات عندنا . فحاول التشبث ببعض محاور الارتكاز التى تتمسك بها لأنى سوف أهزها هزاً جيداً !!

كما أرجو ألا تكون صدمة كبرى أن يناقش هذا الكتاب عن العزوبية أيضاً الموضوع الفائق الحساسية المتعلق بالعلاقات الجنسية قبل الزواج . ومعظمنا يدرك جيداً كيف أنها يمكن أن تكون ذات أثر مدمر فى تقويض وهدم العلاقات الزوجية ، ونحن نحاول أن نخدع أنفسنا فى أحيان كثيرة باعتبار أنها ليست كذلك . هناك عدد كبير من الموضوعات الشائكة .

وسوف يتم التعامل بما فيه الكفاية مع موضوع الجنس ، ولكن الفصل الذى أعتقد أنه سوف يكون محفزاً هو الفصل الذى يتحدث عن ترك أرض الأوهام ، هذا لأن معظمنا يؤمن برومانسية أقرب ما تكون انتماء إلى الروايات منه إلى الكتاب المقدس . فإذا لم نتعامل بمنتهى الحزم والجدية فى رفض الأفكار التى نتعلق بها والتى لا سند لها من الناحية المنطقية أو الكتاب المقدس ، فإن فرص عثورنا على شريك حياة مناسب سوف تقل كثيراً .

القسم الأخير فى هذا الكتاب سوف يتحدث عن ثقافتنا المسيحية المتعلقة بالحب والزواج . وقبل كل شئ ، سوف أوجه إليك سؤالاً حتى تسأل نفسك عما تبحث عنه . هل هذه الصفات هى الصفات الأساسية التى تؤدى لزواج ناجح أم هل هى مجرد أشياء سطحية ؟

وهناك موضوع شائك آخر هو متى يجب أن نبدأ البحث بجدية عن شريك للحياة . ثم هناك

أيضاً موضوع كيفية ومكان الالتقاء معه . وإذا لم تلتق بعدد كاف من المؤمنين المؤهلين للزواج في كنيستك ، ففي أي مكان آخر يمكن أن تبحث ؟ وكيف يجب عليك أن تقترب من أولئك الذين تحب أن تعرفهم بصورة أفضل ؟ ولأننا لا نريد أن نظهر اهتمامنا بشخص ما ، فإننا نفضل أن نجازف بضياع فرصة لقاء شخص ما من أن نتعرض للرفض أو لما هو أردأ منه ، بأن نوصف بأننا في مسيس الحاجة لشخص معين . وهناك عدد كبير من المؤمنين على طرفي نقيض من ذلك فيتخذون موقف الواثق المسترخي تجاه المواعدة حيث لا يعلق شخصان أي أهمية ترجى من الخروج معاً لتناول وجبة طعام ، وأن الأمر يقف عند هذا الحد ، كمجرد خروج دون توقعات من كلا الجانبين . وفي ثقافتنا الكنسية ، يشعر أحد الطرفين بأنه قد رفض كشريك للحياة في المستقبل ويكون أقل رغبة في المجازفة بأن يُرفض مرة أخرى رفضاً أحس بمرارته ، فلا يتقدم للزواج من شخص آخر أو يوافق على تعارف في المستقبل ، بل أننا نندب حظنا بسبب الصعوبات التي نواجهها في العلاقات الزوجية ، إننا نعاني في صمت ونقول بأن كل شئ على ما يرام في حين أنه ليس كذلك بالفعل . إننا لا نمتلك شجاعة المجازفة .

بعض التعريفات :

من بين مشاكل مناقشة الطرق التي يكوِّن بها الرجال والنساء علاقات أن كلمات معينة مثل (التعارف) قد تعني أشياء مختلفة عند مختلف الناس . وليس هناك معنى صائب أو خاطئ ، ولكن لأجل تحقيق أهداف هذا الكتاب ، سوف أستخدم عبارة « الخروج سوياً » لتعني علاقة شاملة حيث يقيِّم شخصان كل منهما الآخر كشريك محتمل للزواج ، ومن المرجح أن يقضيا جزءاً من الوقت في علاقات غرامية . وسوف أستخدم كلمة (تعارف) لأصف الرجال والنساء الذين يرون بعضهم بعضاً لاتخاذ قرار بشأن صداقتهم وعما إذا كانت يمكن أن تتحول إلى علاقة رومانسية أم لا ، ولكن دون أن تصبح علاقة شاملة أو علاقة تصل إلى حد الاتصال الجنسي .

وتشير « الصداقة » إلى شخصين يستمتعان برؤية كل منهما للآخر ولكنهما مقتنعان بأن صداقتهما لن تتحول إلى علاقة رومانسية .

الفصل الثانى

التأثيـــر الرعـــوى

يدهشنى دائما قصر نظر المسيحيين بشأن نمو الكنيسة . أعنى أنهم يمكن أن يكونوا ناجحين بشأن الكرازة ، فيبشرون بالإنجيل ويرسلون الإرساليات وما شابه ذلك ، ولكنهم بغض النظر عن عدد التائبين لا يدققون النظر فى حال كنائسهم وهل هى تنمو بالفعل أم لا . إن العدد الإجمالى لمن يحضرون الكنيسة ليس نتاجاً فقط لأعداد الناس الذين قبلوا الإيمان ، ولكنه نتيجة أيضاً لعدد الناس الذين تركوا الكنيسة . وحيث إننا نحب بالطبع أن نركز على النجاح ، فليس من المستغرب أن الذين يقومون بعمل الإحصاء يجيدون فن الإعلان عن عدد الوافدين دون ذكر المغادرين . على أى حال ، إننا نرجو أن تكون الأمور على عكس ما هو حادث فعلاً وأن أولئك الذين رحلوا ما هم إلا « متغيبون مؤقتاً » ، وحيث أنهم تحديداً لا يأتون إلى الكنيسة فمن الصعب أن نسقطهم من حسابنا .

إن خبرتى بعد مضى ١٧ سنة من عضويتى فى الكنيسة تقول إن الذين يتركون الكنيسة ليتجولوا بعيداً عنها أغلبيتهم من غير المتزوجين . قد يرجع ذلك جزئياً لأنه ينقصهم تشجيع الشريك المؤمن ليحفزهم على الذهاب إلى الكنيسة عندما لا يكونون مستعدين للذهاب ، والعزاب يمكن أن يتغيبوا عن الكنيسة لعدة أسابيع دوناً عن المتزوجين فى الكنيسة دون أن يلحظهم أحد . ولكن ربما يرجع هذا الفارق إلى أن العزاب يواجهون توتراً أكبر من المتزوجين بسبب الفارق فى المستوى بين أصدقائهم خارج الكنيسة ونمط الحياة المسيحى . ففى حين أن المتزوجين يُحترمون ممن هم خارج الكنيسة لأنهم يظلون أمناء لمبادئهم ، نجد أن العزاب المسيحيين يتعرضون للسخرية فى معظم الأحيان لبقائهم فى حالة العزوبية ، خاصة إذا كان ذلك قد طـــال سنين عديدة .ولكن على الرغم من أن السخرية مؤلمة ، إلا أن المسيحيين العزاب يجدون كلمات أصدقائهم المؤمنين أكثر إيلاماً .

عشر عبارات غير مشجعة يقولها المؤمن المتزوج للعزاب :

١ - سوف تعثر على الشخص المناسب للزواج فى وقت لا تتوقع فيه ذلك .

٢ - إن الله لديه الشخص المناسب لك منتظراً إياك .

٣ - إنى أشكر الله لأنه أعطانى الشريك المناسب .

٤ - لماذا لا تصلى بشأن ذلك الموضوع ؟

٥ - رائع أن يكون لديك الكثير من وقت الفراغ .

٦ - أنت محظوظ لأنه ليس لديك أطفال - إنهم متعبون حقاً .

٧ - هل تحب أن تقدم المساعدة فى رعاية الأطفال الصغار ؟

٨ - لا أعرف كيف كنت سأفعل لو أنى بقيت أعزب .

٩ - لماذا لم تتزوج من الشخص الذى تعرفت عليه العام الماضى ؟

١٠ - لا يمكن أن تكون لديك حرية الاختيار لتختار كل ما تريد فى آن واحد .

ياليت هذه العبارات التافهة ما قيلت فى الكنائس ! فالمؤمنون العزاب لا يتركون الكنيسة لمجرد أنهم ينجذبون إلى العالم بل لأن المؤمنين زملاءهم قد دفعوهم دفعاً إلى خارج الكنيسة . وفى حين أن عدداً كبيراً من العزاب يتخلصون من هذه الكلمات الطائشة التى لا ترعى مشاعر الآخرين بالضحك ، إلا أنها تسبب جروحاً عميقة لأولئك الذين يشعرون بحساسية لعدم زواجهم . (إننا نحصل على قدر كاف من التعليقات المهذبة من عائلاتنا دون أن نكون فى حاجة لتعليقات من الكنيسة بالمثل) .

والسؤال هو ، لماذا يلجأ المتزوجون لهذه الملاحظات المبتذلة عند الحديث مع غير المتزوجين ؟ هل لأنهم لا يفهمون أو لا يحترمون العزاب ؟ هل هذه العبارات الحمقاء وسيلة لتجنُّب تقديم المساعدة العملية أو التشجيع لشخص أعزب ؟ أو لأنهم يحبون مجرد القيل والقال .

إن المهام الموكلة إلى العزاب فى الكنيسة تنطوى على مواقف هى مجرد كلمات ، وعندما يتزوج العزاب يجدون فجأة أنه قد قدمت لهم مسئوليات أكبر داخل الكنيسة ، وهذا الاحترام الذى قد أضفى عليهم نتيجة لأنهم « وصلوا » إلى عالم المتزوجين .

إن هذا المركز السامى المعطى للمتزوجين هو الذى زود من الضغوط للهروب من العزوبية ، وهناك سمة مشتركة بين الكنائس التى أرضت العزاب وهى أنها توصلت إلى فهم لغتهم واتجاهاتهم بطريقة منتظمة لإبعاد كل ما يوحى بأن الزواج أسمى من العزوبية عنهم . إنهم ينظرون بجدية إلى أن مثل هذه الأفكار المبنية على تسلسل السلطة غير كتابية وعلى النقيض مما كانت تمارسه الكنيسة الأولى والتى كانت العزوبية فيها تحظى بقدر أكبر من الاحترام . والكنائس التى لا تراجع نفسها لتقويمه تصبح مكوَّنة من مجتمعين . مجتمع العزاب ومجتمع المتزوجين .

لا رجاء :

وبالإضافة للضغوط من المجتمع المحيط والضغوط من المؤمنين المتزوجين ، فإن العزاب المؤمنين أيضاً عليهم أن يتعاملوا مع الضغوط داخل أنفسهم . كيف يجب على العزاب الذين لا دخل لإرادتهم فى العزوبية أن يتعاملوا مع الفكرة اليائسة التى تحاربهم بأن عزوبيتهم هى آخر المطاف نصيبهم ، وأنهم لا ينتظرون سوى الموت ؟ . فعندما يتركون العقد الثالث من أعمارهم اتجاهاً نحو الأربعينيات ، يراودهم الاحتمال بأنهم « لن يتزوجوا » . ماذا تفعل المرأة إذا كانت تشتاق لتصبح أماً ، ومع ذلك ترى سنوات إنجاب الأطفال تتسلل من بين أصابعها دون أن يلوح فى الأفق الرجل المناسب فى كنيستها ؟ هل تنتظر إلى ما لا نهاية أم ترتبط بشخص غير مؤمن متاح أمامها ؟ ولنفكر أيضاً فى العزاب القدامى فى الكنيسة ، فهم عزاب دائماً لأنهم لا يمارسون الأنشطة الاجتماعية ، ولذلك فهدفهم لا يتحقق بمرور السنين .

إن هذا التصنيف السابق الذى يتسم بالاكتئاب لا ينطبق على كل واحد. فهناك عدد كبير من المؤمنين لا يشعرون بشئ من القلق والتوتر لكونهم عزاباً ، بل يشعرون بثقة أن الشخص الملائم سوف يظهر فى الوقت المناسب . ولكن عدداً كبيراً من القراء يعترفون بأن وصف المؤمنين

المكتئبين اليائسين يعكس الحقائق بالنسبة لقطاعات عريضة من الكنيسة .

وهذا الأمر ذو أهمية ، ليس فقط لأن المسيح لا يجد التكريم اللائق من قبل كنيسة تسمح للكثيرين من شبابها بالتخبط إزاء هذا الموضوع الهام ، ولكن أيضاً لأن عدداً كبيراً من التابعين الأمناء سابقاً قد تركوا الكنيسة عند هذا المنعطف الخطر . وقد يكون ذلك عن طريق تجربة قصيرة الأمد : فرصة يتم فيها التورط فى علاقة آثمة يصعب تجنبها بالنسبة لأولئك الذين لا تقدم لهم الكنيسة سوى طعام ضعيف من الكوابح الجنسية التى لا تصمد فى وجه الإغراء . وهذا الفشل الأخلاقى يجعل الكثيرين يشعرون أنه لا يحق لهم التواجد فى بيت الله المقدس . وحتى إذا وجدوا غفران المسيح جاهزاً ، فإن زملاءهم المؤمنين ليسوا على استعداد للصفح عنهم كما صنع معهم الله .

القسوة على الخطية ، والقسوة على أسباب الخطية :

هذه ليست دعوة للتهاون مع الخطايا الجنسية . إنها نداء للتعاطف مع عزابنا ، والتعاطف ليس قاصراً على الكلمات ولكنه يعنى سير الميل الثانى لتقديم المساعدة العملية للمؤمنين غير المتزوجين فى بحثهم عن شريك الحياة والعون فى أزمتهم الخانقة . إن التوتر فى حياة العزاب رغماً عن إرادتهم يأتى لأنهم لا يستطيعون رؤية الفرص للالتقاء بشريك الحياة المؤمن المناسب . فلو أن قادة الكنيسة والأزواج المؤمنين كفّوا عن تجاهل المشكلة وحاولوا حلها بالكلمات والأفعال ، لما شعر العزاب وكأنهم فى شَرَك لا يستطيعون الفكاك منه . إن التحدث بصراحة عن الموضوع واتخاذ الموقف العملى تجاهه هو الذى يساعد العزاب على وضع الزواج فى الإطار الصحيح له . فإذا لم يوجد الشخص الذى يستمع لاهتمامات العزاب ، فإن قلقهم يتزايد لأن صداه يتردد داخل رؤوسهم . ولمدة طويلة كان الموقف الذى تبناه قادة الكنيسة أن الحديث عن الموضوع سوف يزيد الموقف اشتعالاً ، ولكن ليس الحال هكذا . فلتتحدثوا عما يقلقنا لنشعر أن هناك من يفهمنا ، وساعدونا عملياً فنشعر أن هناك من يهتم بنا .

ومهما زاد عدد العزاب الذين يتركون الكنيسة ، فالسبب الرئيسى لذلك هو نفس الضغط

المتولد عن البقاء فى حالة العزوبية . وهكذا فالرغبة قوية لدى الكثيرين لاقتسام الشركة العاطفية والجسدية مع شريك آخر للدرجة أنه إذا لم تتخذ الكنيسة موقفاً واقعياً نحونا نحن العزاب المؤمنين ، فإننا سوف نكون على استعداد لأن نضل بعيداً . إن معظمنا على استعداد لتجنب العلاقات الجنسية قبل الزواج وتوجيه دوافعنا الجنسية نحو الزواج . ولكن كلما طال أمد ذلك ، أصبح الأمر أكثر صعوبة ، فإذا كان الانضمام لسنوات طويلة للجماعة المسيحية قد فشل فى تقديم أى احتمال للزواج من شريك مسيحى ، فالأمل يبدأ فى التراجع ويدفع اليأس الناس بعيداً عن الكنيسة .

فأن يتجاهل قادة الكنيسة عملية توفيق الشباب فى إطار علاقات زوجية ، فإن ذلك لا يعد فقط سوء ممارسة للرعاية ، ولكنه أيضاً خطأ استراتيجياً يعوق نمو الكنيسة .

كم عدد العزاب الذين يتركون الكنيسة بسبب هذا الموضوع ؟ من المستحيل التوصل إلى الرقم الصحيح . وحتى لو عملنا استفتاء لاستطلاع الآراء ، فإن عدداً قليلاً سوف يكون على استعداد للاعتراف بأنه ترك الكنيسة بسبب هذا الفشل فى أن يجد الزوج المناسب . ولكن الدليل المستمد من القصص والمنطق يقودنا فى هذا الاتجاه الذى يؤيد أن الجاذبية الجنسية لها تأثير قوى على نسبة الحضور فى الكنيسة . فى سن الثالثة عشرة من عمرى أتذكر أنى كنت شديد الاهتمام بالبنات اللاتى كن يجلسن فى الصفوف الخلفية فى الكنيسة ، وقد كان ذلك قبل أن أتعامل مع الله بعدد قليل من السنوات ، ولكنى أعلم ما هى تلك الجاذبية ! وهناك قصة مماثلة تحكيها صديقة من العاملات قد تركت الكنيسة فى أوائل العشرينات لأنها لم تجد الصديق المناسب ثم عادت إلى الحظيرة بعد عدة سنوات « لأننى تخيلت أن هناك الشاب المناسب » . إن المتشددين قد يستهجنون ذلك ويقولون إن الدافع الوحيد لحضور الكنيسة يجب أن يكون الرغبة لمعرفة الله ، ولكن مثل هذه المحاولات « الروحية » ليست واقعية أو تقية . إنها غير واقعية لأن الذى يضع على عينيه غمامتين يفشل فى إدراك قوة الميل الجنسى للطرف الآخر والرفيق العاطفى فى مجتمعنا . وهى غير تقية لأن نفس هذه الرغبة وضعها الخالق فى قلوبنا والذى لم يقل فقط إنه ليس جيداً أن يكون آدم وحده ، بل أعطاه أيضاً شريكاً لحياته .

فإذا كنا نريد كنائس يتطلع فيها العزاب بعيون شاخصة إلى أعلى، وهم يعبدون الله بدلاً من النظر إلى هنا وهناك إلى أناس من الجنس الآخر ، إذن فعلينا التعامل مع هذه الاهتمامات . وعندما يعتبر العزاب أنه لديهم فرصة قوية للالتقاء بشريك حياة مناسب فإنهم يستطيعون تناسى الموضوع ويتركون الأمور تحدث على طبيعتها . وعندما يكونون على طبيعتهم فيما يختص باحتمالات زواجهم فإنهم يستطيعون أن يتبينوا أن الزواج ليس المصدر الوحيد للرفقة ، وأن العزوبية وقت للفرح وتكوين صداقات تدوم مدى الحياة . وعندما يثق العزاب أن باستطاعتهم الزواج يتوقفون عن التعامل مع العزوبة كمجرد حجرة انتظار للزواج .

بعضهم يرد على ما أنادى به بالقول إن النتيجة المنطقية لذلك أن ترتب الكنائس هيئآت لتقوم بترتيب لقاءات بين الشباب للتعارف . حسناً ، ولم لا ؟ إن عدداً كبيراً من أعضائها سوف يبقى فى الكنيسة ولا يتركها إذا حدث ذلك ! وسواء كانت الاستجابة لهذه الخطوة ذات طابع متطرف أم لا ، فما أنادى به أنه يجب أن تكون هناك استجابة بدلاً من أن تتنصل الكنيسة من مسئولياتها تماماً . فعندما تكون هناك مشكلة فى المجتمع ناتجة عن عدم إشباع الرغبة التى أودعها الله فى البشر نحو شريك الحياة ، إذن فهناك أيضاً مسئولية ألقاها الله على المجتمع الكنسى لمواجهة المشكلة .

قد تقول « أين يقول الكتاب المقدس أن على قادة الكنيسة تسهيل الزيجات ؟ » ، ولكنى أتساءل كرد على السؤال وأقول « أين يذكر الكتاب المقدس أن الكنائس يجب أن توفر أماكن لوقوف السيارات ؟ » . ومع ذلك فكثير من الرعاة ، إذ يرون أن جماعات المصلين لا يمكن أن تتعبد لله لأنهم لا يجدون أماكن لسياراتهم ، فإنهم يسعون لإيجاد حل عملى دون اللجوء لسند كتابى وسابقة كتابية . وهكذا بالمثل ، فحيث توجد مشكلة خطيرة خاصة بالعزاب تتعلق بصعوبة العثور على شريك الحياة ، فلماذا لا تواجه الكنيسة المشكلة مواجهة عملية بالمثل ؟ إن إقامة وكالة لشئون الزواج أو تسهيل ترتيب الزيجات قد لا يكون ملائماً لثقافتنا ، ولكننا يجب أن نبحث عن شئ يناسب هذه الثقافة .

وقد يلجأ عدد قليل للتهرب من العمل بالمبالغة فى الروحانية فيقولون : « إذا كان الله يريدهم أن يتزوجوا فسيرتب لكل منهم الشريك المناسب » ، وآخرون يتبعون التقليد المستمد من الأيدلوجية التاتشرية فيواسون أنفسهم بالقول « هذه الأمور يستحسن تركها لظروف السوق ليتحكم فيها » . ولكن هذه السياسة القائمة على ترك الحرية للأطراف المعنية دون تدخل من جانب الكنيسة تختلف تماماً فى الممارسة عن العقائد الرئيسية الأخرى . فبإلقاء نظرة على بعض الأديان ، لا نجد أن أصحاب هذه الديانات يتركون شبابهم ، لمستقبلهم ، وأن يذهبوا بعيداً عن مجتمعاتهم لأنهم لا يجدون الشريك المناسب فى نطاق العقيدة . فهم لا يذهبون الميل الثانى فقط بالمساعدة فى تكوين علاقات داخل نطاق الإيمان ، بل يذهبون آلاف الأميال - عبر القارات - لإيجاد شريك مناسب من نفس العقيدة . والآن إذا كان هذا ما يفعله أصحاب الديانات الأخرى لمن يريدون أن يهجروا العقيدة ، أفليس محتماً على المجتمع المسيحى أن يفكر فى نوع المساعدة التى يمكنه تقديمها للحريصين على البقاء داخل الحظيرة ؟

إن أول استجابة عملية من كنائسنا يمكن أن تكون التفكير فى مضمون المطالب التى يكلفون بها غير المتزوجين من أعضائها . أولاً ، إنها تخبرهم ألا يفكروا فى الزواج من ٩٧٪ من الأفراد الذين يمكنهم الزواج بهم من الجنس الآخر من خارج الكنيسة . وهذه نصيحة سليمة لأنه لا توجد طريقة يمكن أن تبعدك عن عقيدتك أكثر من التورط فى زواج من شخص غير مؤمن . إن العديد من الوسائل الرئيسية التى تسمح بتكوين علاقات بين غير المؤمنين ليست متاحة للمؤمنين . وعلى سبيل المثال هناك نسبة عالية من الأزواج الذين يتعرفون ببعضهم من خلال العمل . وبالنسبة للعاملين المسيحيين فإن نسبة عالية من زملائهم فى المتوسط لن يكونوا مسيحيين ولا حتى مسيحيين مؤمنين. ولا الشخص الذى تعثر عليه فى القطار (وهى الطريقة التى تقابل بها والدىّ) أو تقابله فى حصة تعلم لغة أجنبية (الطريقة التى تقابلت بها أختى مع زوجها) من المحتمل أن يكون مسيحياً . والمحصلة النهائية لذلك أن يكون الضغط على العزاب المسيحيين قوياً بوجوب التقائهم ببعضهم البعض فى المكان الوحيد الذى يكون فيه أغلبية الناس مؤمنين - وهو كنائسهم .

ولكن هذه البرك التى يمكن أن يصطاد فيها المؤمنون العزاب قد تقلصت بتأثير تقلص النسبة المئوية للمؤمنين على المستويين القومى والمحلى والخوف المرضى من الزواج (أعنى بذلك الخوف من عدم الزواج والخوف من الزواج أيضاً) ، وأنت ترى كيف يجد المؤمنون العزاب أن الاهتداء إلى زواج ناجح أمر بالغ الصعوبة .

هؤلاء اليهود الأذكياء :

إن سر بقاء الشعب اليهودى على مر آلاف السنين يدين بالفضل للعملية المعقَّدة الخاصة بطريقة عقد الزيجات . فاليهود الذين يعيشون فى مجتمعات صغيرة (خاصة بعد الشتات) اضطروا للتفكير فى نظام كفؤ للتأكد من أن الشباب يستطيعون التوصل إلى أفضل شريك متاح . والوسيلة التى تم التوصل إليها هى الزوجان اللذان يقومان بدور الخاطبة – زوج وزوجة – يعملان كناقلين للمعلومات . دعنا ننظر إلى النظام من الناحية النظرية ، فلو أن شاباً غير متزوج اسمه فنوئيل رغب فى الزواج من إنسانة تدعى أبيجايل ، فهو يقدم هذه المعلومة للزوج الذى يقوم بدور الوساطة . وعندما تقوم زوجته بإعلان ذلك للنساء تكتشف أنه فى حين أن أبيجايل لم تكن تحب فنوئيل، إلا أن سارة تحبه ، والفائدة التى يخرج بها فنوئيل من ذلك أنه لا يواجه محنة رفضه من قبل أبيجايل . وبدلاً من ذلك ، فهو يعرف أنه إذا كان مهتماً بحق ، فإن سارة تحب أن تعرفه بصورة أفضل . وهذه الطريقة تساعد النساء أيضاً ، فبدلاً من تعريض أبيجايل للإحراج باضطرارها لرفض فنوئيل مواجهة ، فإن سارة استطاعت التعبير عن اهتمامها بفنوئيل بطريقة لم تكن تستطيع أن تعلن عنها بصورة مباشرة .

ودون الحاجة لاستخدام أى وسيلة للإرغام ، فإن عبقرية النظام أنه يقدم معلومات شبه كاملة – وبالإضافة لذلك زيجات لها احتمالات أكبر للنجاح . قارن ذلك بالمجتمع الغربى الحديث حيث الخوف من الرفض يؤدى للإغلاق على الناس فى العزوبية . إن الناس تبقى عزاباً لسنين عديدة ، وهم يجهلون حقيقة أن هناك كثيرين يحبونهم ويهتمون بهم . ولا يجد أحد شجاعة للتعارف ، لأن الجميع خائفون من أن يندرجوا تحت مسمى « المتلهفون على التعارف » .

بالطبع إن نظام الوساطة يمكن أن يساء استخدامه . ففي مكان قريب من المكان الذى أسكن فيه كان أحد رجال السيخ واقعاً تحت ضغط عائلى قوى لكى ينهى علاقة مع امرأة مسلمة ، فقدموا له عدداً من النساء من السيخ لكى يلتقى بهن ، فقرر بحزن أن يتزوج إحداهن . والآن بعد مضى عام من هذه الواقعة ، فإن الزواج الذى تم بالكاد ، قد فشل . فالرجل مازال يحب المرأة المسلمة ، ومع ذلك فهى تشعر أنها قد رُفضت تماماً ولا تسمح له بالاقتراب منها . فإذا لم يصلح الإرغام ، فإن القيل والقال يمكن أن يفسد كل شئ .

ومع ذلك ، فلا يصح أن نعتقد أن الوساطة شئ غريب على الإيمان المسيحى ، لأنه لمئات عديدة من السنين - حتى القرنين السابع عشر والثامن عشر - كانت هذه هى الوسيلة المعتادة للزواج . ففى ذلك الزمان لو أننى كنت فلاحاً مؤمناً كنت سأبحث عن زوجة أكبر سناً ، أكبر لأنها قد لا تكون قوية بالدرجة الكافية لأن تعمل فى الحقول ، ولكن من غير المحتمل أيضاً أن تلد عدداً كبيراً من الأطفال لا أستطيع أن أطعمهم . ولو كنت من الأثرياء ، يكون الضغط علىَّ أن تكون لى زوجة أصغر سناً حتى تتعاظم فرصى فى الحصول على وريث من بعدى لكى تنتقل ثروتى إليه .

وقد استجد شيئان بعد ذلك قللا من أهمية هذه العملية . الأول نحو الطبقات الوسطى التى لم تمارس نفس الضغوط لإنتاج عدد معين من الأطفال مما أدى لظهور الزيجات القائمة على الحب . والثانى هو الاستنارة التى أكدت على دور الفرد وشجعت الرومانسية . ولذا فإن انهيار الزيجات المفروضة لم يكن مبعثه قراراً روحياً ، بل يرجع لقضايا اجتماعية . وربما بعد أن تغيرت ثقافتنا بسرعة على مدى العقود القليلة الماضية ، فإن عمليات كالوساطة قد تستحق إعادة النظر ، أو ربما يكون هناك طريق آخر . لأنه فى حين أن نمو الفردية قد جعل الشباب اليهودى أكثر مقاومة لدور وسطاء الزواج . إلا أن والديهم وقادتهم الدينيين قاموا ببساطة بتغيير التكتيك . ففى الحى اليهودى الرئيسى بلندن وهو حى (جولدرز جرين) تُبذل جهود جبارة لترتيب مناسبات اجتماعية لشبابهم . ولأنهم مصممون على الدفاع عن دينهم وثقافتهم من أن ينمحيا بالزواج من الأجنبيات فالمبدأ الذى يسيرون عليه هو أن مناسبات كحفلات الديسكو

المقامة للمراهقين والمراهقات من اليهود يجب أن تكون على الأقل فى مستوى نظيراتها عند الأمميين ، كما يوجه اهتمام كبير بالمجموعة العمرية من الثالثة عشرة حتى الثامنة عشرة بنوع خاص حتى إنهم عندما يصلون للعشرينات يتكون لديهم شبكة من الأصدقاء اليهود من كلا الجنسين ، فيستطيعون اختيار شركاء الحياة من بينهم . ويكون إحساسهم بالمجتمع الذى نشأوا فيه قد وجد له جذوراً عميقة ونتج عن ذلك رغبة في البقاء فيه عن طريق اختيارهم فى الزواج .

وتركز العديد من الجماعات الدينية على ترتيب اجتماعات منتظمة بين الشباب من الجنسين من المؤهلين للزواج ، وهم يؤكدون على أن يتلاقى أبناؤهم وبناتهم على العشاء مرة كل عطلة أسبوعية . والأمر لا يتطلب وسيطاً (خاطبة) لتتوسط بين الطرفين ، بل مجرد إتاحة فرص كثيرة من المرشحين للزواج من كلا الجنسين ، يمتلكون المؤهل المناسب - ألا وهو الاتفاق فى العقيدة الدينية . من الواضح أن مثل هذه التسهيلات يمكن أيضاً أن يساء استخدامها عن طريق ضغوط لا لزوم لها ، ولكن حين يتم احترام الاختيار الحر لغير المتزوجين ، فإن عدداً كبيراً من العزاب سوف يقدِّرون أن هناك فرصة تتاح لهم للاختيار من بين عدد كبير من المؤهلين للزواج من مجتمعهم . فالاختيار الحر يكون بلا معنى إذا لم تتح للشباب فرصة الاختيار .

وإذا كان هناك نقص فى عدد المتطوعين المناسبين للقيام بدور الوسيط ولم يكن هناك عدد كاف من الأزواج على استعداد لاستضافة حفلات العشاء الأسبوعية ، فما الذى يمكن للكنيسة أن تقوم به لتقدم لشبابها فرصة الاختيار الحقيقى ؟ .إن عدداً من الكنائس ترتب أسبوعياً أو شهرياً لقاءات اجتماعية تهدف لأن يلتقى العزاب بعدد أكبر من الناس سواء فى كنائسهم أو فى الكنائس المجاورة .

ولسوء الحظ فإن عدداً كبيراً من هذه اللقاءات تفشل لأنه بصراحة يسيطر عليها بعض من الذين تنقصهم الكفاءة الاجتماعية ولذلك فإن عدم إحساسهم بالأمن وقلقهم يدفع الآخرين بعيداً عنها . وهنا توجد مشكلة حقيقية ، لأنه كيف نستبعد بعضاً من أحوج إخوتنا وأخواتنا لهذه التجمعات المسيحية ؟ ، وفى نفس الوقت فأنت وأنا نعرف أن نفس هذا الاحتياج يجعلهم غير

مرغوب فيهم لأنهم يحاولون دائماً أن يجذبوا إليهم الأنظار ويطلبوا وقتاً أطول مما يستطيع أو يرغب الناس فى إعطائه . فهل نسمح لهم بالحضور حتى ولو تسبب ذلك إن آجلاً أو عاجلاً فى فشل هذه اللقاءات الاجتماعية ؟

إن استجابتنا المعتادة لهذا الموقف هو أن نتحاشى الموضوع . صحيح أننا نريد المزيد من اللقاءات الاجتماعية للعزاب ونحن لا نريد أن نستثنى أحداً ، ولكن ذلك لن يكون صائباً أو حكيماً . فماذا نفعل ؟ إننا غير أمناء ، فبدلاً من عقد مناسبات اجتماعية كنسية نشعر أننا لا نستطيع أن نستثنى أحداً منها ، ننظم تجمعات خاصة نستبعد منها غير المرغوب فيهم . ونحن نعرف بالضبط من الذين سوف لا ندعوهم إلى حفلاتنا ورحلاتنا وجولاتنا لأن صحبتهم غير مرغوب فيها . ولذا فبينما يزداد المحتاجون احتياجاً - بتركهم وشأنهم - فإن ضمائرنا تستريح لأننا لا نستثنى أحداً من التجمع الكنسى .

فما الذى يجب أن نعمله ؟ أولاً ، لكى نتجنب الاستمرار فى رحلة الشعور بالذنب ، علينا أن نتعرف على الفرق بين الصداقة والزمالة . إن الزمالة شئ يجب أن يُقدم لجميع المؤمنين : يد المعونة لكل من يحتاج إليها . والصداقة من الناحية الأخرى ، علاقة أكثر وداً وألفة . وهذه الألفة تعنى أننا لا نستطيع أن نتخذ كل هذا العدد من الأصدقاء . وعلى خلاف الزمالة ، إنها علاقة متبادلة ، يستمد فيها كل طرف القوة من الطرف الآخر . حقاً ، إنها الصداقة وليست الزمالة ، التى تضع الأساس للزواج .

إذن فالصداقة بطبيعتها تنتقى أناساً وتستثنى آخرين . فإذا أردنا تدعيم الصداقات فى كنائسنا ، فلابد من تواصل عملية الاستثناءات ، ولكن واجب الزمالة يقضى بأن أولئك الذين نستثنيهم نقدم لهم البدائل التى تكون على الأقل جيدة كالألفة . والهدف هو أن نبنيهم إلى الحد الذى يستطيعون فيه تكوين صداقات دائمة بدلاً من العلاقات المبنية أساساً على احتياجاتهم الخاصة . علينا أن نستثنى مثل هؤلاء المحتاجين من المناسبات التى ينفروا فيها الناس ، ليس لأن مجرد وجودهم يقلل من أهمية هذه الاجتماعات ، بل لأن حضورهم يضر غير الأكفاء أنفسهم

لأنه يتم تجاهلهم . إن مثل هذه الشفقة التى تبدو كالقسوة قد لا تكون شيئاً مألوفاً ، ولكنها أكثر رعاية من الطريقة التى تعودنا العمل بها . فإذا كان هدفنا تكوين أكبر عدد من الصداقات التى تؤدى لمزيد من الزيجات فعلينا أن نكون أصوليين بالدرجة الكافية حتى نركزٍّ على الهدف .

والسؤال التالى هو : من سوف ينظم هذه المناسبات ؟ إنى أدرك أنه بالنسبة للرعاة المشغولين ، حتى إذا كانوا مهرة فى فن التنظيم واختيار العناصر المناسبة ، إلا أن تنظيم البعد الاجتماعى والروحى يضع عبئاً إضافياً عليهم . ولكن هناك نقطتين : الأولى تختص بالجانب الاجتماعى فى الحياة الكنسية وأنه قريب إلى قلب الله تماماً كالترانيم والعظات . فكيف يمكن لشعب غير سعيد أن يعبد الله ؟ والنقطة الثانية ، أنه كما أن الإنسان الذى يموت جوعاً لا يمكنه سماع الإنجيل بوضوح لأنه يتلوى من الجوع ، فهكذا أيضاً العازب فهو لا يستطيع أن يندمج فى الحياة الكنسية ويؤدى عملاً ناجحاً ما لم يشبع جوعه الاجتماعى ، ولذلك فإن تجاهل المشكلة لا يمكن أن يفيد بشئ ، حين يؤدى للمجازفة ليس فقط بفقدان مكاسب الكرازة التى تم الحصول عليها بشق الأنفس حين تتسرب النفوس من الباب الخلفى ، ولكن ينتج عنه أيضاً أولئك الذين يبقون غير راضين بصفة دائمة .

إن الكنيسة التى تنقص عدد عُزّابها عن طريق الزيجات وليس عن طريق الارتداد هى كنيسة سعيدة ، مع عدد أقل من المشكلات الرعوية التى تثقل رجل الدين .

ألا يشتاق الله لتلبية الأشواق العميقة للأعزب ؟ ألم يكلف الله الخدام أن يستخدموا اتصالاتهم لتشجيع ميلاد زيجات مسيحية ؟ أليس فى فكر الله أن نستخدم خيالنا فى خلق طرق جديدة لالتقاء العزاب من الجنسين حتى لا يتعرضون للتجربة ؟

وإليك خبر سار : إن وجود سيل من الزيجات له تأثير جيد على استقرار الكنيسة . فالتعبير « استقرار » يحمل معنى أنه بعد الزواج ، يميل الناس إلى حط رحالهم ومد جذورهم ليصبحوا أقل تنقلاً وترحالاً . ووجود عدد أكبر من الأزواج يعنى أيضاً أن هناك أماكن أكثر لاستضافة الآخرين فى الكنيسة ، وهذا يقدم تأكيداً منظوراً لغير المتزوجين بأن كنيستهم كائن ديناميكى

حي ولود .

هناك عقبة موجودة تعوق تكوين المزيد من الزيجات وهي أنه لا يوجد ببساطة عدد كاف من الرجال للقيام بهذه المهمة . هل ذلك خطأ الرجال غير المؤمنين أم خطأ الكنيسة ؟ سواء كان ذلك يرجع لضعف رجال الدين أو لغموض موقف الكنيسة تجاه الشواذ جنسياً أو لعدم رغبة الرجال فى الاعتراف بحاجتهم لله ، فهناك شئ ما خطأ فى شكل أو رسالة الكنيسة . إن خلاص الإنسان الدنيوى هام ليس فقط لأجل خلاص نفسه بل لأجل صحة جسد كنيستنا . علينا أن نفهم أنماطه الفكرية ومخاوفه لكى نستطيع إشباع حاجاته فى المسيح . وعلينا أن نكون أيضاً أكثر إلهاماً فى التعامل مع المؤمنين الذين لدينا - على سبيل المثال أولئك الذين يريدون الزواج ولكنهم يجدون إعاقة تمنعهم بسبب عدم الكفاءة الاجتماعية . كم عدد الرعاة الذين يخصصون جزءاً من وقتهم ليناقشوا هؤلاء الرجال ، ليس فقط نوع المرأة التى يريدها كل واحد منهم ولكن أيضاً المهارات الاجتماعية المطلوبة ليستطيع الفوز بها ؟ وحتى فى كنائس المدينة الكبيرة حيث التوازن بين الرجال والنساء يكاد يكون معقولاً ، توجد صعوبات كثيرة . فالمخاطر فى لعبة الزواج كبيرة إلى الدرجة التى لا يريد فيها أحد أن يرتكب خطأ ما . فبالنسبة للمسيحى فإما الزواج أو عدم الزواج إطلاقاً . وعادة هذا يجعل التعارف أكثر توتراً من المشهد غير المسيحى . إنه يصبح أقرب ما يكون إلى حرب الخنادق التى لا يستمتع فيها المتحصنون فى خنادقهم بوجودهم فيها ، ولكنهم يجدون أن ذلك أكثر أمناً من الخروج إلى السطح إلى معركة الزواج المسيحى .

تبحث الفصول التالية فى هذا الكتاب بالتفصيل فى العوامل المعقَّدة التى تعوق العلاقات بين الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات . ولكن دعنا الآن نوضح أنه من غير المعقول أن تكون كنائسنا مكتظة بالشباب غير المتزوج وبها عدد أكبر من الناس الذين تخصص لهم برامج لاستعادة الأوضاع بعد الطلاق ، من الذين تعد لهم برامج للإعداد للزواج .

ولذا فبعد أن ناقشنا ما يجب على الرعاة أن يفعلوه ، فما الذى يجب عليهم أن يقولوه ؟ حسناً ، دعنا نبدأ بما لا يجب أن يقولوه : لا شئ ! إنه شئ لا يصدق أنه فى مجتمع يروِّج فيه

الإعلام للجنس ، وحيث توجد بقايا معركة الشهوانية وأشلائها وآثارها النفسية المدمرة فإن أوصال المجتمع تتقسم ، إلا أن عدداً كبيراً من الكنائس قد فشل فى تقديم الهداية والإرشاد اللازمين ، فليس الأمر كما لو أن الكتاب المقدس قد فشل فى معالجة موضوع الجنس ! ولكن هناك تقصير فى التبشير عن الفضيلة المطلقة إما بسبب الخجل أو الانحدار إلى مستوى علم النفس النفعى . ونحن العزاب نريد أن نستمع إلى المذهب الأخلاقى المستقيم الرأى ، لقد سئمنا من أخلاقيات العالم . فنحن نعرف أنها لا تصلح ، والأسوأ أن نعرف ذلك من خلال التجربة الشخصية المريرة . ونحن نريد ونحتاج أن تعلّم كنائسنا عن الأمور اليقينية الثابتة على مدى الأجيال المتعاقبة . دعنا نوضح الأمر بطريقة مختلفة : لو أن قضايا الجنس والعلاقات بين الجنسين هى ما يقلق بال العزاب على الدوام – ما يقلقنا عند ما تكون عقولنا على الحياد – فكنائسنا بحاجة أن تقدم إرشاداً منتظماً وتفصيلياً بشأنه .

دعنى أكون جسوراً : نحن لا نريد أن نستمع إلى آراء الراعى بشأن موضوع لا يهمنا فى كثير أو قليل . ولكى نقول الصدق ، هناك أوقات لا نكون فيها حريصين على سماع المزيد من العظات عن النهضة . ما يناسبنا أكثر أن نعرف كيف نستطيع أن ننمو من خلال العلاقات الصحيحة ، فعندما تكون الحياة المسيحية مشبعة لأهم حاجاتنا الأساسية – وعندما تقدم لنا هدفاً وصداقات قوية جديرة – نستطيع وكلنا ثقة أن نهدى الكنيسة لأصدقائنا كمكان يستطيعون فيه إشباع حاجاتهم الأساسية .

إن تصرفات الكنيسة تعطى العزاب الانطباع أنه يُنظر إليهم باعتبارهم ناضجين تماماً وقادرين على تحمل المسئولية عندما يتزوجون .

وحتى عندما تناقش الكنائس العلاقات بين الجنسين يمكن أن تتركنا نحن العزاب لنشعر بعدم تقديرنا . إن العظات عن الزواج تبدو جميلة ، ولكن العزوبية لا ينالها سوى النذر اليسير من الدراسة المتخصصة والأحاديث ، وفى هذه الأحاديث يقدم الولاء الكلامى الكاذب عن قيمة العزاب فى الكنيسة . ولكن تصرفات الكنيسة تعطى العزاب الانطباع أنه ينظر إليهم باعتبارهم

ناضجين تماماً وقادرين على تحمل المسئولية عندما يتزوجون .

وما يتردد كثيراً عن سمو و « تفرد » العزوبية - قدرتنا على تكريس أنفسنا لعمل الرب - لا يزيد في أغلب الأحيان عن وهم زائف . والحقيقة أن أعداداً كبيرة جداً تبذل جهوداً جبارة في بحث محموم عن شريك للحياة . كم مرة في الأسبوع على سبيل المثال يفكر الشخص الأعزب في حاله كشخص غير متزوج ؟ كما يقول أحد الكتّاب عن الزواج : « إن الهدف النهائي الحاسم من عهود الزواج كان القصد منه تحرير الناس حتى لا يكونوا بحاجة لتبديد طاقة حياتهم في طقوس للحب لا نهاية لها ، وفي جوع دائم للإشباع الجنسي ، وفي بحث متواصل عن علاقات ذات مغزى » .

إن الرسالة التي يحتاج العزاب أن يسمعوها ليست مجرد الرسالة ضيقة الأفق التي تتحدث عن الانضباط الجنسي والعفة . إنهم بحاجة للعون لمواجهة الإنجيل العصري الذي يتحدث عن الفردية والعلاقات المتبادلة قصيرة المدة . إن الوعظ عن الفضيلة والأخلاق وبناء المجتمع يواجه الاتجاه غير الديني الذي سيرفع شعار « أريده ... وأريده الآن » أي الحصول على الهدف بأي وسيلة . إن القمع الجنسي الذي يُفهم في سياق هذه القيم العريضة لا يتم التوصل إليه عن طريق الكبت ، بل عن طريق البناء . إن الفردية الطاغية والعلاقات قصيرة الأمد قد قضت على الكثير من معالم المجتمع الذي عرفه آباؤنا . فالعزاب الذين ابتعدوا عن منزل الوالدين ويعيشون بدون العائلات التي ينتمون إليها يشعرون بألم شديد لانهيار المجتمع ككل . وفي انعزالنا الذي أصابنا بالخدر والغفوة ، فإننا لا ندرك إدراكاً واضحاً أنه كان يوجد طريق أفضل من ذلك في الماضي . فإذا كانت العزلة أحد أهداف الشيطان ، فقد نجح نجاحاً باهراً .

إن ألم الانعزال عظيم لدرجة أنه لو سمع العزاب ورأوا وشعروا أنه يمكن أن يكوّنوا منظومة حيوية داخل الكنيسة ، لفقد العالم إغراءاته وبريقه .

إن عدداً كبيراً من قادة الكنيسة قد يعتقدون أنهم يوصلون تلك الرسالة ولكنها لا تُسمع . وبدلاً من ذلك تصل إلينا الرسائل الجانبية التالية : الطريقة التي تقدم بها الصلاة لأجل

المتزوجين تهمل التماسات غير المتزوجين ، ميل الخادم لتبنى فكرة لاهوتية اختبرها من خلال تجربة حياته الزوجية وليس بالإشارة إلى حياة العزوبية وما هو أدهى من ذلك ، الطريقة التى تقال بها شهادة عن كيف كان زوجان قد « خلق كل منهما لأجل الآخر » توحى للعزاب أنه لم يخلق لهم أحد .

إن الرسول بولس وهو يكتب لكنيسة « جامحة » فى كورنثوس يستخدم استعارة أن الكنيسة تشبه الجسم البشرى الذى يعتمد فيه كل جزء على الآخر .إن علم العلاج الطبيعى الحديث يعرف مقدار صدق هذه المقولة . فإذا التوى كاحلى فإن الألم لا يصيب الجزء المصاب فقط بل إن التأثير على وضع الجسم سوف يرتد إلى بقية جسمى . وهكذا الحال بالنسبة لغير المتزوجين فى الكنيسة ، عندما يعانون من ألم ، فإن توازن بقية جسد المسيح يتأثر .

اختبار كتابى للكارزين

أى آية من الآيات التالية هى الأكثر أهمية ؟

(أ) « ليس جيداً أن يكون آدم وحده » (تك ٢ : ١٨) .

(ب) « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) .

(ج) « ارع غنمى » (يو ٢١ : ١٦) .

بالتأكيد الثانية هى التى تستحق أن نشير إليها ، ولكن كيف تتمم الوصية العظمى عندما تنفد موارد الكنيسة بخروج غير المتزوجين منها لأنهم وقعوا فى حب غير المؤمنين ، وعندما تسود التعاسة والفساد الخلقى بين أولئك الباقين داخلها ؟ لا يمكن لأى رؤية استراتيجية لتبشير العالم أن تنجح إذا فسد جيش غير المتزوجين المحتم عليهم أن يحملوا الرسالة إلى العالم الخارجى .

قد يقول البعض إنى أبالغ كثيراً . ولكنى أشجعك على عمل مسح شامل للعُزّاب فى كنيستك لاكتشاف آرائهم الحقيقية عن العزوبية . إن المسح غير الدقيق يوضح كيف أنهم قانعون بعدم زواجهم ، وكيف أنهم واثقون من احتمالات زواجهم وعما إذا كانوا يشعرون بالقيمة كعزاب

داخل المجتمع الكنسي . ربما لم تر الكثيرين يسقطون كما رأيت أنا ، بسبب العلاقات الخاطئة والفساد الأخلاقي ، ولكني أتمنى أن تتم المشاركة في الحوار بالحقائق المجردة وليس بالقصص والنوادر التي تهدف إلى المنفعة المادية .

الفصل الثالث

نـــادي التبتـــل

يقول غير المؤمنين إننا نعانى من الكبت الجنسى ، وهم محقون فى ذلك . إن المسيحى الأعزب العـادى مطالب بعـدم ممارسـة الجنس . وهذا يعنـى أن العـزاب الدنيـويين يـرون الكنائس مليئـة بالعزاب المسيحيين الذين يشعـرون بالاكتئاب لعدم ممارسة الجنس ولإحساسهم بالعزلة العاطفيـة . وعلى الجـانب الآخـر من الممر فى الكنيسـة ، نـرى العـزاب الذين يمارسـون الجنس والـذين يشعـرون بالذنب بسبب ريائهم . إن رسالتنا للعزاب غير المسيحيين بأن « انضموا إلى نادى التبتل الخاص بنا » ليس شعاراً جذاباً ، خاصة عندما لا يلتزم كل واحد بقواعد اللعبة . إن الصـدمة الثقافيـة بالانضمـام لمنظمـة يكون فـيهـا الجنس مـحظـوراً سوى للمتـزوجين ، صدمـة هائلة . ولكن الإدراك المتزايد بأن الشريك الزوجى « الشرعى » قد لا يسهل العثور عليه فهو موضوع آخر . « لا ممارسة للجنس قـبل الزواج » شعـار قـد يصلح لفكرة روائيـة ، ولكن « لا ممارسـة للجنـس قبل الموت » ليس أمراً يدعو للضحك . ومع ذلك فـهناك عـدد كبـير من غـير المسيـحيين الذين يجدون رسـالة الكنيسة الإيجابية بالسلوك بأمـانة تجاه شريك الحيـاة ، رسالة جذابـة . إن كلا الرجال والنسـاء ، قد شعروا بالإيلام بسبب الاتجاهات غير المسيـحيـة المنتشرة إزاء الجنس كسلعة تسـتعمل ثم يلقى بهـا فى القمـامة . إنهم يريدون الهروب من هذا الوضع ، ولكنهم يخشـون أن يصـبحـوا مسـيحيين لئلا تكون حالتهم كمن يقفز من المقلاة إلى الثلاجة .

وهم يجدون أيضاً أن تفكير الثقافة المسيحيـة الفرعيـة يتناقض مع الحقيـقة التى تعـايشـوا معـها ، فعـدد كبيـر من غير المؤمنين لا يمكنهم أن يتجاوبوا مع الراعـى الذى يقول :« الجنس متـعة ولكن فى الزواج فـقط » . فـيـوجد منـهم من جرّب ولو لفتـرة قليلة على الأقـل ، ولذلك على أى حال كانت توجد متـعة . وعـدد منهم قـد اشـترك فى عـلاقـات قـوية نسبـياً خارج إطار العلاقـات الزوجية . وهم يوافـقون على أن الفوضى الجنسيـة تدمر العلاقـات الزوجيـة ، ولكنهم هم أنفسـهم قد أقاموا صداقات مع قدر كبير من المسئوليـة . إن العلاقات التى أقامـوها كانت ذا شأن وهم لا

يقبلون النقد القاسى للممارسات الجنسية للعالم الدنيوى .

ونحن أيضاً بحاجة لتنقية أنفسنا من اتجاهات إدانة الآخرين بخصوص تلك الحالات حيث حصد غير المؤمنين نتائج الحياة الجنسية الفوضوية . إن رسالتنا لا يجب أن تكون « إنك عديم الأخلاق ونحن فضلاء » ، كلا ، إن مطلبنـــا البسيط أنه فوق السلعة « المدعوة العلاقات الزوجية ، لدينا نسخة من تعليمات الصانع ، واتباع هذه التعليمات » ، والاتصال بالخط الساخن السماوى ، لطلب النجدة لمواجهة مشكلات محددة ، نقول إن كل واحد يمكنه أن يحصل على إشباع أكثر من السلعة . إن الكتاب المقدس والصلاة يكونان جزءاً من الضمان الأبدى الوارد مع السلعة .

ولنواصل استخدام الاستعارة فأقول ، إنه كلما تجولت فى معرض للسلع ، فإنى أحب منظر الوميض البرّاق للسلع الجديدة ، ولكننى أجد كلمات البائع أكثر إقناعاً عندما أرى السلعة وهى تؤدى عملها . وهكذا بالنسبة للكنيسة ، وعدد كبير من غير المؤمنين يتأثرون بالنظرة الأولية التى يلقونها على السلعة ويمكنهم أن يكونوا سعداء لو استطاعوا الحصول على نسخة من هذه السلعة أو محاكاة هذه العلاقات . وقد يتحمسون بالدرجة الكافية التى تجعلهم يوقعون بالموافقة فيقدمون « صلواتهم » ، ولكنهم يتطلعون للتأكد من صحة أقوالنا بأن الأمانة الزوجية تعنى أن المسيحيين عشاق أفضل ، فيبصرون حقيقة المسيحيين العزاب المتعطشين للحب والذين يعانون من عزلة التبتل ، ويعثرون على الأزواج المسيحيين الذين فشلـوا فى زيجاتهم ويفكرون فى الطلاق .

عندما ندخل إلى داخل الكنيسة ، ربما نفهم بصورة أفضل ميل بعض الناس من غير المؤمنين لترك الكنيسة بمجرد أن يصلوا إليها . وفى حين أنه يوجد العديد من الأسباب التى تجعلهم يتركون الكنيسة ، إلا أن الكثيرين ينفرون لأن عدداً كبيراً من المسيحيين العزاب متحيرون وغير راضين لكونهم عزاباً . إنهم لم يجدوا الجماعة المتحابة التى قال عنها يسوع إنه بالحب الذى يجمع بين أفرادها يعرف العالم أنهم تلاميذه . إنهم لا يجدون تشجيعاً ليعرفوا خالقهم وإلى أى مدى يهتم بهم ، إذا لم يروا القدوة أمامهم بين المؤمنين .

إن نوع القدوة فى كنائسنا هى التى تقدم رسالة أفضل من أى واعظ . إن العزاب الدنيويين الذين يدخلون كنائسنا يلاحظون إن كان العزاب المسيحيون من الرجال والنساء يتعرفون على بعضهم البعض بسهولة أم لا . وإذا رأوا أيضاً عدداً من الشبان المخطوبين مقبلين على الزواج بثبات فسوف يترك ذلك لديهم انطباعاً جيداً . وما يجعل الصورة أكثر وضوحاً القدوة المستمدة من العائلات الناجحة والموفقة ، فى الحياة الزوجية .

عندما يرى غير المؤمنين هذا الطريق الذى يسلكه المؤمنون ، فإنهم يصبحون قادرين ذهنياً على تصور أنفسهم وهم يسيرون على نفس الدرب لو ظلوا داخل المجتمع الكنسى . إن معظم المتجددين الجدد سوف يسعدهم أنه بإمكانهم أن يجدوا شريك الحياة فى كنيستهم ، ولكنهم بدلاً من ذلك يجدون عزاباً يتحدثون عن يأسهم لعدم عثورهم على شريك الحياة . إن ذلك لابد أن يزيد من حالة اليأس التى يشعرون بها فيما يتعلق بحياتهم المسيحية الجديدة إلى حد ما .

ولنكن صرحاء ، فلو أن امرأة عازبة فى أواخر الثلاثينات من عمرها وتعتقد أن الزواج وإنجاب الأطفال شئ هام ، فهل يمكنها أن تركز اهتمامها لكى تصبح مؤمنة ؟. إن احتمال عدم ممارسة الجنس وعدم وجود شباب من غير المسيحيين يمكن أن يتخذوا كأصدقاء ، وعدم توفر رجال مؤمنين مناسبين للزواج ، وعدم وجود شخص آخر يمكن التعرف عليه ، قد يكون هذا عاملاً يسبِّب الضيق للبعض . فبعد ترك العلاقات مع أناس من خارج الكنيسة ، نرى هؤلاء النسوة يواجهن ضغوطاً متزايدة للعودة إلى العالم مرة أخرى إذا ساورهن الشك فى أن احتمال استئناف مباهج الزواج فى علاقة مشروعة احتمال ضعيف . وفشل العديد من الكنائس فى تقديم مثل هذا الأمل يقلص من عدد الأفراد الذين يذهبون للكنيسة ، فالواعظ الشهير يمكنه أن يجتذب كثيرين إلى حظيرة الإيمان ، ولكن الكنيسة الممتلئة بالناس يجب أن تحتفظ بهم .

وبينما نحن نتأمل فى موضوع نمو الكنيسة فإنى سوف أعطيك فكرة غير مألوفة ، ليس هناك مكان أفضل للكرازة من البيت ، وليس هناك مجموعة من الناس لتشرح لهم حقائق الإنجيل أكثر قرباً من أولادك . ولذا ففى الكنائس التى لا يتزوج فيها العزاب ، لن يوجد هناك أطفال يمكن تنشئتهم كمسيحيين . فوجود زيجات مسيحية يعنى عدداً من الأطفال فى دار حضانة

الكنيسة ، ثم مجموعة الأطفال الذين فى حوالى الثالثة من العمر ، ثم الشباب .

« تعالوا انظروا ، هوذا إنسان قال لى كل ما فعلت » ، هذا ما قالته المرأة السامرية لصديقاتها بعد أن تقابلت مع المسيح . ولأنها عاشت مع خمسة أزواج وكانت تعايشهم على طريقة الأزواج فهى نموذج لعصرنا . ومع ذلك ، فكما حدث مع المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل ، فيسوع لم يتعامل معها فقط ولكنه كلمها بوضوح .

وكالمسيح فنحن بحاجة أن نكون واضحين فى الحديث ومتعاطفين بالنسبة للتعامل مع مشكلات علاقات الواقفين على حافة الإيمان ، وأن نكون منهمكين تماماً فى عالم غارق حتى الحمأة فى الخطايا الجنسية دون أن نغرق أنفسنا فى الوحل .ولكى نكون « كحملان وسط ذئاب، قال يسوع إننا بحاجة أن نكون حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » ، ومع ذلك ففى موضوعات الجنس تميل الكنيسة أن تصبح كالحمام . إننا لسنا حكماء بالدرجة الكافية لندرك أن السبب الرئيسى الذى يجعل غير المؤمنين (وأنى أجرؤ على القول إن المسيحيين أيضاً ؟) يأتون إلى الكنسية لوجود فرصة للقاء شخص ما . وحتى لو لم يكن ذلك هو الدافع الرئيسى فيمكنه أن يكون دافعاً ثانوياً قوياً . فإذا كان طموحنا أن نكسب غير المؤمنين للمسيح ، دعنا نقر بذلك ، ودعنا نصبح مهرة بل ماكرين حتى نستغل ذلك . إن الحوار يمكن أن نكسبه بصورة أفضل إذا بدأنا بإظهار الفهم لموقف الطرف الآخر ، ولذا فالمواعظ التى تخاطب الاهتمامات الأرضية لغير المؤمنين فيما يختص بالعلاقات قد تكون بداية أفضل من أن نحاول أن نجعلهم يدركون الرؤيا السماوية مباشرة . إن العزاب الدنيويين قد لا يدركون أنهم بحاجة لقلب روحى جديد ولكنهم يدركون كيانهم العاطفى يتألم .

هناك بعض العقائد الدينية تستغل الجاذبية الجنسية فى محاولة لكسب الأتباع الجدد . وينجذب الرجال والنساء لحضور الاجتماعات تحت خداع أن المبشر الذى حدثهم فى الشارع مهتم بهم اهتماماً رومانسياً أو جنسياً . ومثل هذا الصيد السريع جدير بالازدراء ، ولكن لمجرد أن الجاذبية الجنسية بين الذكر والأنثى يساء استغلالها واستخدامها من قبل البعض ، فهذا لايعنى أننا لا يجب أن ندرك كرعاة تأثيرها الحقيقى على الحضور فى الكنيسة . إننا بحاجة أن نكون

متيقظين لحقيقة أن الجاذبية الأساسية للمجتمع الكنسى هو أنه يتيح مكاناً يمكن أن تحدث فيه الزيجات وتنمو . فإذا أسئ استخدام هذا الجانب من حياة المجتمع الكنسى ، فهذا يقلل من جاذبية الحياة الكنسية .

خطاب إلى راعى كنيسة

عزيزى الراعى :

هل يشبه مكتبك عنبراً لاستقبال الحوادث والحالات الطارئة فى المستشفى ؟ فهو ملئ بالألم والدموع وأنت تحاول تسوية المشكلات الناتجة عن حوادث الحماقة البشرية . إن مكتبك ليس مليئاً بالسيقان المكسورة ، بل بالقلوب الكسيرة ، وليس مليئاً بالأجساد المريضة بل بالنفوس اليائسة . إنك تنتهى من التعامل مع الصبى المراهق الذى طرد من قبل أول صديقة له ، إلى التعامل مع الزوجة التى هجرها زوجهـــا غير المؤمن . ثم الزوجين اللذين يعانيان من عدم وجود التناغم بينهما . وفى الغد تواجه مشكلات مماثلة .

إن هذه الاستشارات الدائمة لحل المشكلات والأزمات تستنزف الطاقة وتضعف الروح المعنوية لأنشط الرعاة وأقدرهم . ومع ذلك وبرغم سيل المكالمات التليفونية الذى لا ينقطع هل لديك وقت لتفكر فى كيفية طغيان مشكلات هؤلاء الذين يشعرون باليأس والإحباط على التفكير فى تقوية باقى الأعضاء حتى يصلوا لمرحلة النضج فى إيمانهم ، والتركيز فى الكرازة بالإنجيل وتطوير العبادة والخدمة فى كنيستك ؟ إن القاسم المشترك وراء الكثير من جروحهم ومعاناتهم صعوبة إيجاد وتطوير العلاقات مع المؤمنين المناسبين . ولكن هل استجابتنا ككنيسة يساء توجيهها ؟ فبدلاً من التركيز على حطام العلاقات الفاشلة ، هل يجب التركيز على الوسائل الكفيلة باتقاء حدوث هذه المشكلات منذ البداية ، بأن نطلب رؤيا من الله حتى يهدينا لكيفية تكوين صداقات من كل الأنواع فى الكنائس ، يمكن لبعضها أن تصلح كأساس لزيجات متينة ؟

إن هذا موضوع هام لأنه إذا كان لابد للكنيسة أن تنتعش ، فنحن بحاجة لتعليم نقى يرينا كيف يريد الله أن يلتقى الرجال والنساء ، كما نحتاج لمزيد من الصلاة بشأن أرض المعركة الروحية التى أهملناها . ما مقدار الصلاة المنتظمة التى تساعد فى خلق زيجات مسيحية ؟ فهل من

المستغرب إذن أن عدداً كبيراً من المسيحيين يفشلون فى زيجاتهم ؟ فإذا أردنا أن نعرف إرادة الله فى هذا الصدد ، فلن يضايقنا فى شئ أن نصلى لأجل ذلك بصورة منتظمة فى الكنيسة ، ولا يقلقنا رد الفعل إذا عقدنا اجتماعات صلاة منتظمة تخصص لتكوين العلاقات الزوجية . إن عدداً كبيراً من المسيحيين يصلون كثيراً بشأن الموضوع لوحدهم (غالباً لأجل أنفسهم) ، إذن فهناك استعداد لذلك .

وعندما تجاهد فى الصلاة لأجل هذا الموضوع ، فربما يريك الله لماذا لم تضع هذا الموضوع فى مقدمة جدول أعمالك كما أعتقد أن الله يضعه فى المرتبة الأولى . هل أنا ممتلئ بالحقد لأنى أتساءل إن كان عدد قليل من قادة الكنيسة غير المتزوجين يتجاهلون مشكلات أعضاء كنائسهم بسبب السلطة الفاتحة للشهية لكى يصبحوا « شخصيات مسيحية يشار لها بالبنان ! » . على أى حال فالقسوس غير المتزوجين ينالون فيضاً من الاهتمام من قبل الجنس الآخر ، وقد يكون من الصعب عليهم أن يروا مشكلات أولئك الذين يعانون من عدم الاهتمام فى حين أن همك الأساسى هو الاهتمام الزائد ! . وإذا كنت متزوجاً بالفعل ، فحتى لو كان عثورك على الشريك المناسب قد تم بالصراع المرير ، إلا أنه الآن لم يعد سوى ذكرى باهتة .

وإلى أى مدى قد تأثر فكرك اللاهوتى عن تكوين العلاقات باختبارك الخاص ؟ فوفقاً لنظرتك الخاصة من السهل أن تنسب توفيقك فى التوصل إلى زوجة مناسبة بأنه يرجع فقط للسلطان الإلهى ، ومع ذلك فهذا السلطان الإلهى يبدو أنه يعوق عامداً متعمداً منح زوجات لقطاعات عريضة متزايدة من الكنيسة . ربما أكون عنيفاً بعض الشئ . ولكن وجهة النظر الكلفينية التى تنسب كل شئ لله وليس لأى مبادرة بشرية تعفى الكنيسة من المسئولية تجاه مواجهة هذه القضية .

يجب أن يكون هناك توازن بين تشجيع الناس على الثقة فى مواعيد الله الخاصة بالعناية الإلهية ومساعدتهم لكى يساعدوا أنفسهم . وليس هناك ما يدعو لأن تبتلع الطعم بتصديق وجهة النظر القائلة « اختر من تريد طالما أنه مسيحى » حتى تعتقد أن الخطوة التى اتخذتها بهذا الاختيار موفقة . هناك دور على الكنائس أن تقوم به سواء بمفردها أو بالاشتراك مع هيئات أخرى

لعقد اجتماعات شهرية لعزابها فى العشرينيات والثلاثينيات من أعمارهم . إن بعض الكنائس تقوم بذلك بالفعل . إنها تدرك أنها لو لم تقدم مكاناً لاجتماع عزابها ، فإن هؤلاء العزاب على أحسن الفروض ، سوف يستغلون الخدمات الكنسية لبحث الموضوع من جميع جوانبه ، وأسوأ ما فى الأمر أن يدب اليأس فى نفوسهم ويبدأون فى التعارف بغير المؤمنين . وربما هناك دور أيضاً لقادة الكنيسة للتوفيق بين أفراد الجنسين فى كنائسهم بعقد زيجات بينهم ، وقد كانت هذه الزيجات تمارس على نطاق واسع فى الكنيسة قديماً. والسبب الوحيد فى أنها لم تتم لمدة طويلة أنها تحدث خلافاً لثقافتنا القائمة على مبدأ النزعة الفردية الاستقلالية .

هناك شئ واحد نحتاجه بالتحديد ألا وهو سماع كلمة الله بوضوح من فوق المنبر ، رسائل عن بركة الله على العزوبية والزواج فى آن واحد ، وخطر ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج . إنه لشئ مخيف ألا يدرك عدد كبير من المسيحيين عن الأمور الأساسية لأنها لم تقدم لهم عن طريق الوعظ . وبالتأكيد فالتعليم ضد الفساد الأخلاقى من فوق المنبر سوف يحدث دوياً كبيراً ، ولكن كما أظهر بولس الحقيقة الأساسية مراراً وتكراراً ، بأن أعلن أمام الملأ هجومه على الخطايا الجنسية فى الكنيسة ، هكذا عليك أنت أيضاً أن تفعل ذلك . إن العزاب يصرخون مطالبين بالإرشاد الواضح المباشر. وبالحديث عما تقوله كلمة الله بشأن العلاقات بين الجنسين فإننا نبث الحياة فى أمة تموت فيها العلاقات . وكلما ازداد تكوين الصداقات ازداد نمو المجتمع المسيحى وأصبحت الكنيسة مرة أخرى امتداداً جذرياً للكنيسة فى سفر أعمال الرسل حيث كانت مضادة للثقافة السائدة وقتها . إن العالم يعترف بأنه يفشل فى تكوين العلاقات ويتوقع أن تزداد الأمور سوءاً . وفى وسط ازدياد الظلام المحيط فإن الكنيسة التى يوجد بها المجتمع الصحيح - وهذا يستحيل بدون تكوين العلاقات القوية بين أفراده من الجنسين - سوف تسطع وتشرق بنور باهر .

المخلص

إيان جريجورى

الباب الثانى

لماذا نظل عزاباً ؟

الفصل الرابع

تجنب الوفاء بعهود الزواج

إني خائف من الزواج - خائف أن تتركني وترحل بعد أن أجعل نفسي خاضعاً للحب ، . وبعد سنوات أقضيها مخلصاً لها ، نجتاز فيها سوياً في ظروف الحياة ، في السراء والضراء ، ينتهي الأمر بأن أجد مذكرة فوق المنضدة في المطبخ تقول فيها « لن أعود مرة أخرى » . وإني خائف لئلا بسبب المرارة أو الأنانية ، تستخدم كل خداعها الأنثوي لتضع العقبات في طريقي حتى لا أرى أطفالي . وخائف لئلا بعد أن تكون قد حرمتني ممن أحبهم ، تحرمني من بيتي ، وتطاردني بلا نهاية في قاعات المحاكم طلباً للنفقة .. إني أخاف أن أرقد على سريري الفارغ أفكر في ما يمكن أن يظنه أصدقائي عن مقدار اللوم الذي يمكن أن يوجه لي ، بينما أنا وحدي الذي يجب أن تكون هي معه . وأنتِ يا أختي ، خائفة أيضاً - خائفة أن ينقلب هو عليك وأنت حامل في الشهر الخامس بعد أن تكوني قد ضحيت بعملك الذي يشغل كل وقتك ، وبدأت صحتك تذوي . خائفة لئلا تستبدل كل المزايا التي ضحيت بها لأجله بأيام فيها تملأين استمارات الضمان الاجتماعي . أنت خائفة لئلا يلومك الأطفال على رحيل والدهم ، وأنه في وقت حرمانك العاطفي يحتاجون إليك لتكوني لهم أباً وأماً ومدبرة لكل شئونهم . إنكِ تفكرين في النظرات التي سوف يوجهها الناس لك في الكنيسة وأنت تفكرين بينك وبين نفسك « أي رجل آخر يمكن أن يرغب فيَّ بوضعي هذا ؟ » .

إن هذه ليست مخاوف لا أساس لها ، لأنك وأنت طفلة قد شهدت كل ذلك . الصراخ والدموع والأبواب التي توصد بشدة . كيف استطعت تحمل كل ذلك ، دع عنك أطفالك ؟ وحتى لو لم يكن عقلك خائفاً ، فإن عواطفك في الداخل تصرخ طالبة الحذر . فالجيل الماضي كان يتحمل كل ذلك بصبر من أجل استمرارية الحياة ، أما الآن فالأوضاع بدأت تختلف . وحتى لو لم تحدث خلافات ، فالموت يمكن أن يفصل بين والدينا (وبيننا) . هناك إشارة تحذيرية في نفوسنا تحذرنا

من أن نجعل أنفسنا معتمدين عاطفياً على مجرد ذراع بشر ، وفى حين أن زواج والدينا قد صمد أمام الصدمتين التوأمتين وهما الموت قبل الأوان والخلافات التى تصل لدرجة الانفصال (وأقل من نصف الزيجات تصل لـ ٢٥ سنة) ، فإنه قد لا يكون دعاية جيدة للوفاء بعهود الزواج والالتزام بها .

إن بعضنا يبحث عن ملاذ فى العلاقات التى نعرف فى داخل نفوسنا أنه لن يكتب لها النجاح لكى نتجنب مواجهة عدم رغبتنا فى الإقدام على الزواج .

وبالإضافة لخبرة والدينا تأتى خبراتنا نحن - الطرد ، انهيار العلاقات أو الانفصال . وكلما كبرنا فى السن ، زادت جراحنا وتضاعف خجلنا حتى نصبح مثل كلاب العالم الروسى بافلوف : فكلمات مثل « العلاقة » و « الزواج » تثير فى عقولنا أفكاراً عن الألم .

والنتيجة أن كثيرين منا قد وصلوا للمرحلة التى نجرى فيها على الدوام . أن نجرى بعيداً عن الرجال والنساء الذين نحب أن نكون معهم لأن الرغبة التى تدفعنا لنكون معهم يبتلعها الخوف من أن نفقدهم . وبعضنا يبحث عن ملاذ فى العلاقات التى نعرف فى داخل نفوسنا أنه لن يكتب لها النجاح لكى نتجنب مواجهة عدم رغبتنا فى الإقدام على الزواج .

إن الزواج من شخص مسيحى ليس ضماناً ضد الخلافات ، ولكن ليس هذا مبرراً لعدم الزواج . خذ قيادة السيارة كمثال . فليس هناك تأكيد فى كل مرة أقود فيها سيارتى أنى لن أتعرض لحادث صدام خطير ، ومع ذلك فلأنى مصمم ألا أبقى معزولاً فى بيتى فإنى أقود السيارة . ومع ذلك ، أتخذ الاحتياطات اللازمة : أرتدى حزام الأمان ولا أقود السيارة بسرعة ، وأحافظ على صيانة سيارتى . قد أتعرض لصدمة ، ولكن المخاطر تكون أقل . إن الانهيار العاطفى الذى يتسبب عن الخلافات الحادة التى قد تصل للانفصال ممكن حدوثه دائماً حيث أن شركاء حياتنا قد أعطاهم الله إرادة حرة ولذا فلديهم القدرة أن ينقلبوا علينا فى أى مرحلة . وحتى لو كنت نعم الزوج المحب والحكيم فليس هناك ضمان ، فقط هناك قدر ضعيف من الاحتمال أن تتغلب على أزمتك وتخرج سليماً من تحت أنقاض علاقة محطمة . ولذا فدعنا نواجه مخاوفنا

لا أن نجعلها حبيسة داخل صدورنا . فالإيمان يجعلنا نواجه المخاطر لأجل الله . والحكمة هى الإدراك السماوى عن كيفية مواجهة هذه المخاطر . ولكن أن نظل عزاباً بسبب الخوف لا يتفق مع السير الصحيح مع الله . فمهما كانت مشاعر الأذى التى تعتمل داخلنا ، ومهما كانت مخاوفنا ، فإننا بحاجة لإخضاعها لله إذا أردنا أن نكون أحراراً للقيام بعملية الاختيار .

وليس من الصعب أن نرى ما يغذى مخاوفنا فكثير من المشاهد العاطفية فى أمتنا تشوهها أعداد كبيرة من النفوس المحطمة - بدءاً من العائلة المالكة حتى أقرب جار - حتى أنه لكى نستعيد ثقتنا فى الزواج ، فإننا يجب أن نبحث عن نماذج تمثل قدوة نقتدى بها ونركز عليها . إن قضاء وقت مع أزواج تسود العلاقة بينهم روح الوفاق ، يعطينا ثقة ورؤيا لما يمكن أن نستمتع به نحن أيضاً .

وما لم نصادف العديد من الأزواج « على الطبيعة » فى تجمعاتنا ، فإن قضية على نفس الدرجة من الأهمية ولكنها تسير فى الاتجاه المضاد يمكن أن تؤدى بنا للهروب من العلاقات : الخدعة بأن شركاء الزواج يجب أن يكونوا بلا عيوب . فنحن نلتقى بشخص ما ونكتشف عيباً ما فنفقد اهتمامنا به ، ولكن حيث أننا جميعاً بنا نقائص وعيوب ، فنحن فى الواقع نختبئ من الزواج . فالعزاب الذين يحضرون كنائس بها نسبة كبيرة من العزاب يميلون لتكوين رؤية « مثالية » عن الزواج كشركة تضم اثنين متوافقين ومتناغمين تماماً يقضيان وقتهما فى غبطة دائمة بلا جدل أو خلافات أو شجار ، وتفوتنا حقيقة أن الزيجات تنمو لأنه توجد خلافات تم التغلب عليها وليس بسبب انعدام هذه الخلافات . وما تعلمته من خبرتى فى عملى فإن التغلب على المشكلات الحادة وحلها هو الذى يجعلنى أنمو كمنتج تليفزيونى - وليست الأيام (النادرة) التى تسير فيها الأمور بسلاسة .

فلا النمط الفكرى القائل بأن « الزيجات مقدر لها الفشل » ولا الرؤية المثالية للكمال سوف تشجعنا على العثور على الشريك المناسب ، ولكن هناك طريقتين أخريين شكّل بهما المجتمع عقولنا ولهما تأثير أشد فى جعلنا نخجل من الزواج . الفردية « أنا أولاً » والرغبة فى

العلاقات الفورية تتسببان فى إعاقتنا عن تكوين العلاقات الزوجية .

عندما وصل المهاجرون إلى أمريكا فى أوائل هذا القرن كانوا يتعرضون لكشف طبى يستغرق وقتاً قصيراً جداً . ففى أثناء صعودهم السلالم لصالة الهجرة بجزيرة إليس ، كان يتم فحصهم طبياً ثم توضع بعض الحروف بالطباشير عليهم كرموز للمشاكل الصحية التى يعانون منها مثل مشاكل فى التنفس أو العرج أو الاضطرابات النفسية - كقرار فورى يحدد اتجاه حياة الشخص . أليست تلك هى الطريقة التى نقيِّم بها أفراد الجنس الآخر ؟ .

« إن هذا شريك مناسب للزواج حسن المنظر وله دخل مرتفع ، هذه هى طريقتنا المتسرعة لبداية التعارف ، على طريقة الوجبات السريعة Take away. إننا نعرف ما نريد ، ونريده الآن ولن نكتفى بأقل من ذلك . ليس هناك مجال لنمو الحب ، فإذا لم أشعر معك بالإثارة الكاملة الآن فلن نلتقى مرة أخرى . فلا معنى لمعرفة شخصيتك أو أخلاقك - كنواح استغرقت وقتاً طويلاً لكى تنمو فيك والتى سوف تعمل على نجاح الزواج لسنوات طويلة قادمة . إنى آسف إذا صعدت الدرجات إلى الكنيسة ولم نجد «بطاقة» إيان جريجورى لتقييم شركاء الزواج المحتملين ، المبنية على متوسط سن معين محسوب ، واختبارات للذكاء ، والمظهر الخارجى ، والاستقرار العاطفى . إننا بحاجة لتمزيق الأوراق التى لدينا وأن نقضى وقتاً لنعرف الشخص الذى سوف نقتسم معه الحياة قبل إصدار أحكامنا . هذا هو التعارف .

بعد تقييمنا الأولى كل منا للآخر ، نحتاج لتعمق فورى . وقبل أن تتاح الفرصة لبذرة الصداقة أن تنمو ، فنحن نحملها بالمطالب العاطفية والجسمية التى لا تستطيع أن تحملها . ولكن الخطر الأكبر على البذرة أن تسمم تربة الرومانسية بالفردية . فمن الصعب أن نقلل من شأن الطريقة التى تسللت بها النزعة الفردية فى كل عمليات تفكيرنا . إن الحرية الفردية هى الديانة غير الرسمية لحقبة التسعينيات . فلا شئ أكثر أهمية من تقييمى الحالى لما سوف يسعدنى . وإنى حر فى عدم الوفاء بالتزاماتى إذا كانت عقبة فى سبيل ذلك الهدف . وكونى زوجاً أو أباً أو رئيساً أو مرؤوساً - فإنه لا شئ من كل ذلك يصل لمرتبة القداسة . الشئ الوحيد الذى يربط بين

أى كائنين بشريين هو المنفعة المتبادلة لدى الطرفين .

حتى لغة الالتزام تبدو بالية « فالإخلاص والشرف والأقسام والمواعيد والثقة والعهد والأمانة» كلمات مستمدة من لغة منقرضة . فعدد قليل فى جيلنا يفهم فكرة العهد ، ولذا ففكرة الزواج كعهد أمر غير مفهوم بالنسبة لنا ، أن يثق كل منا بالآخر ويحب كل منا الآخر فى الفشل كما فى النجاح ، فى السراء والضراء ، واليسر والعسر ، والمرض والصحة « طالما نحن على قيد الحياة » . إن هذا الالتزام بالبقاء كل مع الآخر ومساندة كل للآخر فى الأوقات العصيبة ، هذه هى التركيبة الفريدة والمدهشة للزواج .

إن عهد الزواج هو الترياق الذى أعده الله للقرن العشرين . هل تبقى معى عندما يطردنى رئيسى لزيادة أرباح الشهر القادم ؟ وعند مايعرض منزلنا للبيع الإجبارى لتوسيع الطريق ؟ وعندما يتمرد علينا أولادنا ؟ وعندما يسرق أحد القطط السمان من الممولين معاشنا ؟ وعندما أعانى من سكرات الموت بسبب تصلب مضاعف فى الأنسجة ؟ هل تبقى معى عندما يقول كل أصدقائك أنه ليس من مصلحتك أن تبقى ؟

إن المجتمع يعلمنا أننا يجب أن نهرب بعيداً عن مثل هذا الالتزام ، عن مثل هذا العهد من الحب . وجيلنا قد تعلم أن يعامل الزواج كعقد مشروط ، والعبارة المحورية فيه هى « طالما نحن سعداء ، بالنسبة لجيراننا ، فليس من المقبول فقط أن نتخلى عن مثل هذا العهد ، بل أنه من السخف ألا نفعل ذلك إن كنا غير سعداء » . ولكن الكنيســة تعلمنا أن العبارة يجب أن تكون « طالما نحن على قيد الحياة » . ولذا فنحن ممزقو الأوصال بين العالم والكنيسة ، بين العقد والعهد . وعلى الرغم من أننا نحب يقينية العهد ، إلا أننا لا نعرف إن كان لدينا أو لشركاء المستقبل الرغبة والمقدرة على التخلص من وجهة النظر الدنيوية .

إن الزواج يؤدى للتوتر لأنه يسير ضد قيم عصرنا ، وهذا هو السبب الحقيقى الذى يجعل للزواج كل هذه الأهمية .

دعنا نستحث أنفسنا بأن زواج العهد فقط هو الوحيد المرضى حقاً . إنه يستمد قوته من

ماضينا جنباً إلى جنب مع مستقبلنا ، بينما زواج العقد مؤسس فقط على سلسلة من الشروط الوقتية . دعنا نبدأ في تعلم عملية الالتزام والشرف مع الناس الذين حولنا - أصدقائنا وزملائنا والذين نتعرف عليهم فإذا استطعنـا أن نلقى بعيداً بعوائق الفردية فى هذه العلاقات قصيرة الأمد ، فلن نعيش فقط حياة أفضل هذا العام ، ولكننا سوف نكون أفضل استعداداً للتحدى الكبير للزواج .

إن الفردية ليست فقط عدواً للعهد ، ولكنها أيضاً وراء المذهب العصرى الذى ينادى « بجعل باب اختياراتك مفتوحاً » . وفى العلاقات فإن هذا يقودنا على الدوام لتأخير الزواج . إننا لا نستطيع أن نستبعد أنه ربما يكون هناك شخص ما أفضل فى مكان قريب منا ، ولذا فإننا نؤجل على الدوام قرار الزواج . وقد يبدو كما لو كنا نحتفظ باختياراتنا وحريتنا ، ولكننا نصحو ونحن فى الثلاثينات لندرك أنه لم تُتح لنا حرية اختيار الزواج فى العشرينات . ولن تتاح لنا حرية اختيار الزواج من الرجل أو المرأة التى رفضناها منذ عدة سنوات والتى تزوجت من شخص آخر ، ومن المرجح أنه لن تتاح لنا الفرصة للاحتفال بعيد زواجنا الذهبى .

إن التزامنا البغيض بحريتنا يتركنا كجزر منعزلة فى البحر . وهذا شئ زهيد جداً ، لأن حياتنا تتكون من الاختيارات التى نقوم بها ، وليست الاختيارات التى نتجنبها . إن حياتنا تتكون من مجموع الناس الذين نتصل بهم - فى البيت والعمل اجتماعياً - وليس الناس الذين لا نتصل بهم . ولذا فلو أصبحنا نموذجاً للفردية التى يتطلع إليها مجتمعنا - متحررين تماماً من كل التزامات تقيدنا - فقد أصبحنا لا شئ بالمرة . إن التجنب الدائم للتقيد بأى التزامات فيه إنكار أنه بعمل هذه التعهدات ، فإننا نعبر عن حريتنا . وفى جعل التزاماتنا قاصرة على شخص واحد ، فإننا نرى - جيلنا على وجه التحديد - أننا نحن المسيحيين أحرار . لقد اخترنا الحرية التى يخافون منها ، حرية ارتباطنا وجعل التزاماتنا قاصرة على شخص واحد مدى الحياة . وإذا كانت هويتنا محفوظة فى المسيح ، فحتى إذا مات شريكنا أو هجرنا فلن نكون وحدنا .

إن الفردية تتخفى تحت قناعات عديدة . إن مبدأ زيادة الاستهلاك الذى يقول لنا إنه إذا لم

تصلح السلعة يمكننا تغييرها لا يصح أن يدخل فى اعتبارات الزواج . وكذلك لا يجب على النساء إدخال الجوانب الأنانية الخاصة بنظرية المساواة بين الرجل والمرأة فى كل شئ إلى الزواج . ووفقاً لهذه النظرية ، فعلى كل الأزواج المسيحيين أن يكونوا من المؤمنين بمبدأ المساواة ، حتى إنه بطاعتهم لنداء الرسول بولس بأن يحبوا زوجاتهم كأجسادهم ، فإنهم يبحثون عن وسائل لتشجيع المواهب الفكرية والإبداعية لزوجاتهم . إنهم بحاجة لزيادة المشاركة فى عبء العناية بالأطفال وترتيب البيت حتى يضمنوا أن تتاح لزوجاتهم الفرصة للنمو كأشخاص خارج البيت . ولكن إذا أدخلت الزوجات الجانب الأنانى من نظرية المساواة بين الجنسين فى العلاقات الزوجية فإن تأثير ذلك سيكون إعاقة نمو الوحدة بين الزوجين . وبنفس الطريقة التى تسبب بها الرجال فى انهيار الزيجات منذ جيل مضى ، بإصرارهم على وضع وظائفهم فى المقام الأول ، فإن بعض النساء يتجنبن الزواج الآن بوضع أعمالهن أولاً . إن تكريس النجاح فى العمل ووضعه فى المقام الأول آخر شكل من أشكال الفردية يؤدى بنا لتجنب الزواج . ولذا فإن عدداً كبيراً من العزاب من كلا الجنسين ، يجعل الوظيفة تحتل المقام الأول ، وينشغل جداً إلى الحد الذى لا يستطيع فيه أن يتعرف على أحد من الجنس الآخر ليكون فى علاقة حب حقيقى معه ، ويصبح غير قادر من الناحية السيكلوجية أن يضع فرداً من الجنس الآخر قبل عمله . إننا لا يمكن أن نضع شيئين فى المرتبة الأولى معاً . ولذا فأيهما نفضل ؟ ولا تقل « الوظيفة الآن ، والزواج فيما بعد » . إن عادات العمل سوف تتبعك فى الزواج ويقدر ما ينمى المسيحيون العزاب أوضاعهم الوظيفية ، بقدر ما يصبحون أكثر خضوعاً لسيادة العمل وأقل قدرة على تنمية الألفة والود . إن الرجال والنساء الذين يؤخرون الزواج شعورياً أو لا شعورياً لأجل وظائفهم بحاجة للتفكير مقدماً فى وقت اعتزالهم العمل . فإذا اضطررت للاختيار ، فإنى أكون أكثر سعادة للتفكير فى « زواجى الناجح » من التفكير فى « عملى الناجح » .

مرحباً بك فى دار المسنين :

لدىّ حلم (أو هل هو كابوس ؟) عن مجموعة كاملة تضمنا جميعاً فى لقاء فى دار المسنين . وفى هذه الدار أرى أنه على الرغم أننا ضعاف الآن ، إلا أننا لا نزال يقظين ومتنبهين

بدرجة معقولة . وجميعنا لا نزال عزاباً ومع ذلك فلا يبدو علينا القلق لتأخير الزواج إلى هذا الحد ، وبدلاً من ذلك فنحن نهنئ بعضنا البعض لأننا استطعنا أن نبقى عزاباً كل هذه المدة الطويلة . إن النزلاء فى دار المسنين للاختيار المفتوح يعلمـــــون جميعـــــاً أن السيد أو الآنسة (المناسبة) قد تلتحق بالدار فى أى وقت ، ولذا وجب الانتظار . ولا أحد منا على استعداد لأن يتنازل ليأخذ من تليها فى التقييم . وإذ نتجول فى الطرقات ونحن نستند إلى هياكل خشبية ونترقب شريك الحياة الملائم ، فإننا نكون فى حالة من الإثارة الزائدة عن الحد .

ومن آن لآخر ، بعد غفوة بعد الظهر ، يتساءل أحد النزلاء بصوت عال عما كان يمكن أن يحدث لو أنهم تزوجوا ممن كانوا يحبونهن منذ عشرات السنين من قبل ، ولكن بقية الجماعة أخذت تردد فى صوت واحد « لقد نجوت من هلاك محقق أيها العجوز ! » ، وبين آن وآخر يفشل أحدنا فى الاستيقاظ من غفوته . ولكن فى حقيقة الأمر فإننا نحسد الذين تزوجوا ، وعلى أى حال فإنهم لن يشعروا بالاهتياج بسبب تأجيل اتخاذ قرار الزواج مرة أخرى .

الفصل الخامس

لا أعانى من مشكلة الإنكار

الإنكار موضوع يصعب التعامل معه لأنه يتضمن الغوص فى الأجزاء الدفينة من اللاوعى لفحص عمليات التفكير التى خبأناها ليس فقط عن الآخرين ، بل عن أنفسنا أيضاً . فإذا كان التعرف على خداع النفس فى أصدقائنا عملية صعبة ، فالأصعب منها أن نكتشف ذلك فى عقولنا . وما يمكن التأكد منه أنه بالنسبة لجميعنا فإن الأحداث العديدة التى مرت بنا فى حياتنا قد خلقت فينا تكويننا النفسي الفريد .

فالأب المسيطر ، وصدمة فراق شخص عزيز علينا ، أو التعرض لاعتداء جنسى هى تجارب يمكن أن تترك أثراً سيئاً على اللاوعى عندنا بطرق لاندركها تماماً ، خاصة إذا جاءت فى وقت مبكر من حياتنا . وحتى إن كنت لا تدرك كيف تدور العمليات فى كياننا غير الواعى ، فهى تثير فى دواخلنا ردود فعل قوية - ليس أقلها رد فعلنا تجاه الجنس الآخر . ومن الصعب علىَّ أن أقرر إن كان انفصالى عن المرأة التى كنت مرتبطاً بها برباط الخطبة طوال أربع سنوات لا يزال له تأثير علىَّ أم لا ، ولكنى أستطيع أن أتذكر بوضوح أن كلينا كان يذرف الدمع عند الفراق .

إن مخاوفنا الداخلية الدفينة من أن نتعرض لجروح فى مشاعرنا مرة أخرى قد تقودنا للتردد وعدم الرغبة فى إنشاء علاقات طويلة الأمد . ويمكن أن نطلق عليها بعبارة عفوية « الخوف من الالتزام » ، ولكن ليس هناك شئ واضح فيما يتعلق بموضوع له خاصية تفجير أى علاقة رومانسية تعترض حياتنا .

إن أعراض الإنكار الرومانسى متعددة . إننا نراها فى الطريقة التى نطارد بها الناس الذين لو قلنا الحقيقة ، بأنهم غير مناسبين بالمرة لنا فى حين أننا فى نفس الوقت ننفر من الأفراد الملائمين تماماً من الجنس الآخر . إن الإنكار الرومانسى يتعلق بالطريقة التى نضمن بها تماماً انعزالنا ، وذلك بتعقب أفراد من الجنس الآخر لا يوجد أى أمل حقيقى من إنشاء أى علاقة دائمة

معهم . وعلى سبيل المثال أولئك الذين يعيشون فى الجانب الآخر من العالم ... حرفياً .

فى الشهر القادم ، سوف تهبط طائرة من سيدنى فى مطار هيثرو تحمل امرأة أسترالية جذابة جداً . إنها قادمة لترى صديقاً لى قابلها فى استراليا العام الماضى . لقد كانا منجذبين كل منهما للآخر بشدة فى خلال أول لقاء بينهما حتى إنها سوف تقضى يوماً بكامله على طائرة جامبو نفاثة لكى تتمكن من رؤيته . كم هو بديع حقاً ... أو كم هو سخيف ؟ .

دعنى أوضح ذلك . ليس هناك شئ خاطئ فى حد ذاته فى إنشاء علاقات عبر المحيطات مبنية على الالتزام العميق . فلو أن هذين الشخصين المؤمنين تفاهما جيداً ثم تزوجا أخيراً ، فإن ذلك سوف يملأنى بالفرح . إن هدفى من كتابة هذا الكتاب هو تشجيع العلاقات الدائمة . ولكن هل رحلة هذه المرأة رحلة لإتمام التزام أو مجرد نزوة عابرة ؟ لأنه وفقاً لكل المقاييس فإن هذه الاسترالية لا يمكن أن تعانى من نقص فى عدد الرجال الملائمين للزواج منها فى بلدها . وأنا لا أنكر أن صديقى « صيد » ثمين (إنى لا أجرؤ أن أقول غير هذا لأنه سوف يقرأ ذلك !) ، ولكن وسط شعوره بالزهو لأن هذه المرأة تعبر كوكبنا للقاء ثان معه ، دعنا نتساءل إن كان هو أو هى قد توقفا ليفكرا إن كانا يبحثان عن علاقة رومانسية أو علاقة دائمة . فلكونهما يعيشان على طرفى نقيض فى هذا العالم ، فإن فرصة نمو صداقتهما إلى الحد الذى يجعلهما على استعداد لاتخاذ قرار بالزواج فرصة ضئيلة . وبدلاً من ذلك ، فالنزوة الرومانسية التى أرهقتها مالياً ، كما شغلت أفكارها ، قد يكون لها هدف آخر . مساعدتها لتجنب مواجهة حقيقة الرجال الذين يمكن أن تنشئ معهم علاقة دائمة فى استراليا ، وتجنب مواجهة حقيقة حياتها فى سيدنى فى مقابل حياة اللهو فى لندن . إن هذه المرأة تعتقد أنها تأخذ مسألة العثور على شريك للحياة على محمل الجد - فهى تطير إلى لندن لأجل غرض نبيل ! ولكن مقدار الجهد الذى تنطوى عليه هذه الرحلة ربما قد أعمى عينيها عن شكوكها الداخلية بشأن العلاقات الزوجية . والسؤال الحيوى هنا هو : هل يستخدم هذان الشخصان علاقتهما الرومانسية كوسيلة لتجنب الالتزام أو كطريق نحو الالتزام ؟ .

وماذا بشأني أنا وأنت ؟ عندما تسترجع علاقاتك الرومانسية التي تمت في الماضي وتسأل نفسك بشأن الأسباب الدفينة لانتهاء هذه العلاقات - بل ، عن السبب الذي جعلك تندمج فيها في المقام الأول - فهل ترى أي علامات مضيئة تكشف لك الحقيقة ؟ هل يمكن أن يكون هناك تعارف متواصل دون أن يرجى من ورائه شئ ؟ وما الهدف من التركيز على أجمل الأشخاص في كنيستك ؟ وما السبب في تعقب الناس الذين على الرغم من أنهم لا يحتاجون إلى استخراج جواز سفر لزيارتهم لن يكون من السهل التعرف عليهم ؟ أو ما السبب في إنهاء علاقات كانت حميمة ؟ إن مثل هذه التصرفات - وهناك العديد من التصرفات الأخرى بشأن هذا الموضوع - تكشف أننا نعمل وفقاً لمستويين . ففي الظاهر فإن كلماتنا وأفعالنا تظهر رغبة في العثور على شريك حياة . ولكن على مستوى اللاوعي تدفعنا المخاوف التي تحرك طاقتنا الرومانسية في اتجاهات تحتية ، لا تعلق آمالاً كبيرة على خلق علاقات دائمة .

عندما تسترجع علاقاتك الرومانسية في الماضي وتسأل نفسك بشأن الأسباب الدفينة لانتهاء هذه العلاقات - بل ، عن السبب الذي جعلك تندمج فيها في المقام الأول - فهل ترى أي علامات مضيئة تكشف لك الحقيقة ؟ .

إن المخاوف التي تدفعنا والطرق التي ندمر بها حياتنا الرومانسية تختلف من جنس إلى آخر ، دعنا نتعامل مع الأشياء البسيطة أولاً .

يعتبر الرجال تقليدياً من أكثر الأنواع خوفاً من التقيد بالتزامات محددة . لقد نشأنا لنعتقد أننا مهيئون بيولوجياً للانغماس في طيش الشباب وتجنب الارتباط بعلاقة يترتب عليها التزامات معينة . إنه طريق للحياة لقى تعزيزاً كبيراً عن طريق أسلوب التربية الذي يطلق الحرية للرجال .وباختصار ، فإننا كرجال قد نتجنب الزواج إذا تعزز هذا المفهوم في دواخلنا ، فنفكر أنه يمكننا أن نستمتع بوقت طيب ونجعل اختياراتنا مفتوحة .

وقد دعمت هوليود هذه الصورة بالأفلام التي تظهر النساء وهن يبحثن دون هوادة عن رجل يتطلب قدراً كبيراً من الإقناع قبل الدخول معه في علاقة . فهناك أفلام كثيرة تظهر المرأة متيمة

بحب رجل يخجل من أن يكون جاداً . وليست الثقافة الأمريكية وحدها هى الملومة ، ففى المدرسة أتذكر أن فصلنا تعلم الأغنية القديمة التى تغنى فيها الفتاة على الدوام هذه الكلمات « أيها الجندى ، أيها الجندى ، هل تتزوجنى بما معك من بندقية وناى وطبلة ؟ » ، فيرد عليها الجندى بسلسلة من الأعذار العرجاء حتى يعترف أخيراً أنه لا يستطيـــع الزواج منها « لأن عندى زوجة ! » . ولذا فالرجل الذى لا يعتمد عليه والذى يخاف من الالتزامات نموذج لثقافة موجودة من قديم الزمان .

فإذا كان ذلك ما تعلمنا نحن الرجال أن نسلكه ، فليس من المستغرب عندما نبدأ التفكير على الأقل فى اللاوعى نظن أن هذه هى الطريقة التى يجب أن نتصرف بها . ولكن هناك أسباباً أخرى أعمق من ذلك لدخول الرجال فى علاقات محكوم عليها بالفشل منذ البداية . فعلى سبيل المثال ، فقد نتورط فى علاقة مع امرأة تصغرنا بكثير لأننا نخاف أن نكبر فى السن . أو لأنها ، وهى فى بداية حياتها العملية لم تتأثر بالفشل ، وهكذا فإنها تلجأ إلى رجل أكبر سناً يؤرقه أنه لم يحرز كثيراً من التقدم فى حياته العملية .

إن استقلال المرأة اقتصادياً يمكن أن يجعل الرجل أكثر خوفاً من أن يرتبط بعلاقة حقيقية ، لأنه يدرك أن المرأة التى يفكر فى الزواج منها لديها القدرة المالية على إعالة نفسها وتركه عندما تشعر أن الأمور لا تسير على ما يرام . وربما يكون ذلك خوف لم يضطر والدد لمواجهته لأن زوجته لم يكن لديها عمل تستطيع الاعتماد عليه فى أى وقت . ولنتحدث الآن عن أمور أكثر تعقيداً .

قالت الكاتبة شيللا جيلولى : « إن النساء فى الحقيقة معروف عنهن أنهن متقلبات – يعبرن عن ولاء كاذب تجاه رغبتهن فى العلاقات ، بينما فى السر يتجنبن ، بل ويخربن كل تورط محتمل .. لقد اعتدنا على الاحتفاظ بالأسرار بعيداً عن أنفسنا حتى بشأن أمر واضح كرغبتنا أو عدم رغبتنا فى إنشاء علاقة رومانسية .

إن الزعم بأن الرجال يخافون من الالتزام ، وأنهم الجنس الذى ينكث بعهود الحب والولاء قد

استخدم كستارة للدخان حتى تتوقف النساء عن تأكيد شكوكهن الداخلية فى مسألة العلاقات . لقد تزايدت هذه المخاوف الدفينة فى السنوات الأخيرة كنتيجة للتغييرات الجذرية فى دور المرأة فى المجتمع . فمنذ جيل مضى كنا لا نزال مجتمعاً يسوده الرجال ، وفى أيام الآباء حيث تكون القوة فى يد الرجال ، فإنه من المحتم على المرأة أن ترتبط برجل بالزواج . والآن قبل أن يعترض أحد ، أقر بأن هناك العديد من المعاقل التى لازالت خاضعة لسيطرة الرجل ، والتى يجب أن تسقط . ولكن التغييرات التى حدثت ما هى إلا تغييرات ثورية . ولذا فعلى الرغم من أن والدتك قد تفترض أن الزواج لايزال ضرورة ، فإنك تعتبرينه أنه مجرد خيار . وحياة العزوبية أكثر قبولاً الآن لدى نظرائك الذين يشاركونك نفس الوضع . وفى أغلب الأحوال فإن الرغبة البيولوجية لإنجاب الأطفال هى التى تجعل قرار الزواج يتغلب فى النهاية .

إن هذا الحوار الداخلى - الزواج أو عدمه - ربما يكون قد تم التوصل إلى قرار بشأنه من الظاهر ، ولكنه ربما يكون لايزال هو الشغل الشاغل للعقل الباطنى للمرأة . وهذا الحوار المخفى هو الذى يظهر فى العديد من التصرفات الرومانسية التى تعرفت عليها شيلا جيلولى والكاتبات الأخريات . ولنتحدث فى البداية عن العلاقات الرومانسية مع الرجال الذين يساورك الشك فى أنهم مستهترون . إن هناك العديد من الأسباب الإيجابية لذلك ، أولاً ، هم فى الغالب جذابون من الناحية الجسمية وحساسون وشديدو المهارة فى الحديث عن العواطف ، وهم أيضاً ليسوا مندفعين جنسياً . ولكن هناك رغبة كبرى للتعرف بهم ، بالنسبة لامرأة تخاف من الالتزام . إن مثل هذه العلاقة يمكن أن تشبع الدافع الرومانسى دون أن تجعل أجراس الإنذار بشأن الالتزام تدق .

نفس النوع من الحوار ينطبق أيضاً على مصادقة الرجال المتزوجين أو تعقب الرجال الذين لا يمكن الوصول إليهم فى الحقيقة . خذ على سبيل المثال قائد الغرفة الموسيقية فى كنيسة انجليزية كبرى . فبعد إعلان خطوبته ، ذهبت ١٧ امرأة لاستشارى الأمراض النفسية . لقد كن يعشن على الوهم أنه قد خلق لهن . ونزولاً من المستوى المرتفع إلى ما هو أدنى ، فماذا بشأن مصادقة حثالة البشر أو الشواذ الخطرين من الرجال ؟ الرجال الذين لا تصلح معهم إقامة علاقة طويلة الأمد ؟

ولنتأمل فى موقف صديقة لى تدعى هيلين . إن هيلين هذه فى الثلاثينات من عمرها ، وقد أحبت خمسة رجال على التوالى ينقسمون إلى فريقين : رجال قد تخلصت منهم خطيباتهن (ثلاثة منهم) أو رجال يجيدون فن الغزل (الاثنان الآخران) . تصف هيلين الأولين بأنهم بمثابة الذين أعانوها على القيام بدورها « كشافية للقلوب الكسيرة » ، فقد مات أبوها عندما كانت فى الثامنة من عمرها ، ولذا فقد قضت جزءاً كبيراً من طفولتها وهى تواسى أمها . ولذا فقد قدمت لهؤلاء الرجال الذين فقدوا صديقاتهم المواساة حتى تم شفاؤهم من جراحهم ، ونهضوا وتركوها ، وهم يشعرون بالإحراج لأنهم أظهروا ضعفهم . أما عن الفريق الآخر الذى يتكون من رجلين ممن يجيدون فن الغزل ، فإن هيلين قد « عرفت أنهم لن يمكثوا معها » ، ولذا فقد نجت من صدمة تكرار الكارثة التى حدثت عندما كانت فى الثامنة - موت الرجل الذي كان بمثابة القلب من حياتها .

كل هذه العلاقات تتيح الاستمتاع بجو من الرومانسية مع حماية نفسك من العلاقات عميقة الجذور . لأن هذا هو لب الموضوع . ففى ألفة حقيقية فإن شخصاً ما سوف يراك على حقيقتك . إنه يكون بمثابة مرآة ترى فيها نفسك على حقيقتها . وبما أن الرومانسية الوهمية قد أفسحت الطريق للحقيقة النسبية ، فلن تجد بعد ذلك ما يحجب عنك حقائق حياتك اليومية . فنحن غالباً نجد أنه من الأسهل أن نظل فى عالم الأوهام .

إنى لا أرغب فى تقديم أى سلاح لمناصرة الأزواج الذين يعتبرون العزاب غير كاملين ، ولكن من الصواب أن نقول إن العلاقات الزوجية طويلة الأمد ، يمكن أن تكون عملية تؤدى للنضج . لأنه من خلال االتفاعل بين الناس عن قرب يمكن أن نجد الحافز ونحرز التقدم . ومثل هذه القابلية للاعتداء من قبل شخص آخر ومن خلاله نجد ما يمكن أن يمثل كابوساً بالنسبة لمن يخاف من الزواج. ولذا فنحن نغلق الأبواب فى وجه الأفراد الملائمين من الجنس الآخر . وإذا وصل شخص آخر بالصدفة إلى آفاق حياتنا ، فحيث أننا نتجنَّب الزواج فإننا عن طريق اللاوعى ، نبحث عن طرق للخروج من هذه العلاقة .

ربما تكونين من الفتيات اللاتى ترغبن فى الزواج بشدة وتطلبن العلاقات بعزيمة لا تلين ثم تجدين نفسك بعد ذلك فى موقف لا تحسدين عليه عندما يقترب موعد الزواج ؟ أم هل أنت من اللاتى تؤجلن باستمرار فتبعدين نفسك عن العلاقات حتى تدق الساعة البيولوجية دقاتها ايذاناً بقدوم منتصف الليل ؟

أعتقد أنى أستطيع تصوير الكابوس الذى يمكن أن يقض مضجعك فى المستقبل : فأنت عازفة البيانو ذات الآمال العريضة ، تذهبين مع زوجك بحكم مهنته كمرسل إلى بلد أفريقى بعيد حيث يوجد أقرب بيانو على بعد مسيرة أربعة أيام ، ولم يتم ضبط أوتاره منذ الحرب . ولكن ما يحدث هو وصول الأطفال ، وتبدأين فى عملية لا تنتهى بعصر الملابس القطنية فى الوقت الذى يذهب فيه زوجك للتبشير لأهل البلاد الأصليين فى إحدى القرى البعيدة .

ومن الأنماط الأخرى للخوف من الزواج عند النساء اعتبار كل الرجال مدمنين للجنس أو ميالين للتسلط وجعل كل شئ تحت سيطرتهم ، وبمجرد أن يخرج الأمر من يدها – أى تبدأ فى الولع به – فإن هذا اليوم يكون يوماً مشهوداً . إن الطعام سلاح آخر للتهرب من الزواج . فأفضل شئ تجعله يرحل هو الإفراط فى الأكل لكى تصبحين كالبالون المنتفخ مقارنة بالمرأة التى انجذب إليها أولاً ؟

شكت جانيت من أن صديقها ، توم ، كان يخدعها . ولم تكن تجد فى نفسها الثقة لمواجهته أو طرده . إنها تقول : «كانت علاقتى به بائسة ، ولكنى كنت أخشى ألا أقابل أى شخص آخر غيره . ولذا فقد صرت بدينة لأجبره على الانفصال عنى . وقد كان أيضاً يحب شعرى الطويل ، فقصصته ! .

استطاعت جانيت أن تتخلص من توم ، ولكن اللاوعى يمكن أيضاً أن يحطم العلاقات الجيدة أو يدفعنا للزواج من أناس غير جذابين . على سبيل المثال ، فإن أطفال مدمنى المسكرات أو الفاسدين من المرجح أن يتزوجوا من هم على شاكلتهم تماماً . ومن ناحية أخرى فإن نفس هؤلاء الذين عانوا من تنشئتهم فى مثل هذه العائلات ، فحيث إنهم قد اكتسبوا العادات النفسية

لمساعدة عائلهم الذي يتسم بهذه العيوب ، يجدون أنه يصعب عليهم صد من يتقدمون لهم وهم يحملون نفس هذه العيوب لأن ذلك يمكنهم من الاستمرار فى القيام بهذا الدور . ويدعم من الانجذاب نحو ما هو مألوف . إن ضعف احترام الذات الذى يعتبر صفة مميزة للأطفال الذين نشأوا فى بيوت تعانى من خلل فى أداء دورها الصحيح مضافاً إلى ذلك عدم القدرة على التعرف على السلوك المناسب . فإذا كان العنف جزءاً من الحياة العائلية منذ نعومة أظفارك ، فمن الصعب أن تتعرف على خصائص السلوك الصحيح . وبدون هذه الحاسة الداخلية لما هو صحيح ، سوف نجد أنه من الصعوبة بمكان أن نجتذب شركاء « أسوياء » . إن هذا النمط السلوكى متغلغل فى أعماق النفس البشرية حتى إن ابنة الأب المدمن للمسكرات التى تزوجت رجلاً مدمناً للمسكرات تجد أنه من الصعوبة بمكان أن تتكيف معه إذا شفى من دائه .

إذا هزت بعض هذه الأمثلة وتراً فى قلبك ، فما الذى يمكن أن تفعله إذن لتجنب ضياع جزء كبير من حياتك لمطاردة بعض الناس بحثاً عن علاقات أو العيش بدون أى علاقات ؟ إن المفتاح الرئيسى لذلك هو أن نفهم أن تركيزنا يجب أن يكون منصباً على أنفسنا أولاً ، وأن نحلل أفكارنا لنقرر أى المخاوف يجب أن نستغنى عنها . وعندما ينتهى الصراع الذى يدور داخل نفوسنا فإننا يمكن أن نقرر بهدوء أن نظل عزاباً أو ندخل فى علاقة مستقرة . ومثل هذا التفكير قد يأتى أحياناً عقب علاقة رومانسية فاشلة أخرى . وأحياناً تكون أفضل طريقة لمواجهة مخاوفك أن تقفز قفزة الإيمان وتخطو نحو علاقة مع شخص مناسب ، لتعملا سوياً على التخلص من مخاوفكما معاً .

لقد تم تخصيص جزء كبير من هذا الفصل للتركيز على رفض النساء لإنشاء علاقات رومانسية تؤدى للزواج . وقد فعلنا ذلك لأن هذا السلوك أقل شهرة من رفض الرجال للتقيد برباط الزواج . ولكن كلا الجنسين بحاجة للتوقف من آن لآخر للوم الجنس الآخر بسبب فشل العلاقات فيما بينهما . فبدلاً من ذلك فنحن بحاجة أن نعرف أنفسنا ومخاوفنا جيداً لنرى كيف تدفعنا نحو إنشاء علاقات أو تصدنا عنها . وعندما ندع يسوع يحررنا من هذه المخاوف ، من خلال الصلاة والمشورة ، عندئذ فقط نصبح أحراراً لاختيار نوع العلاقة التى نريدها حقاً .

الفصل السادس

الثقة - زيت لتسيير آلة الحياة

لو أن من يحبه قلبك خذلك فربما لا يكون ذلك راجعاً للخوف من التقيد برباط الزوجية الذى عانيت منه ، وإنما يرجع للخوف المرضى من الأماكن المغلقة والاحتجاز ! هل كنت متعلقاً به بشدة ؟ إن الرغبة المفرطة فى الاحتفاظ بشريك الحياة يمكن أن تكون خطرة كالرغبة فى تجنُّب الالتزام بقيود الزواج تماماً ، وأى نقص فى الثقة بالنفس فى علاقة ما يمكن أن ينتج عنه إخماد لهيب العلاقة الرومانسية ، فهل أنت خائف - دون أن تشعر- من أنه قد لا يرغب شخص ما فى الارتباط بك ؟ إن نقص الثقة هذا يظهر فى أشكال مختلفة . فأفكارنا السطحية قد تجرى هكذا : « إنى قبيح وكبير فى السن وغبى وفقير لدرجة أنه ما من شخص يريد الزواج منى » . وهناك فى الداخل مخاوف أكبر من ذلك تقض مضاجعنا وتزعجنا بأن العالم مكان عدائى ، وأننا يستحسن أن نسد الأبواب لكى نوقف حدوث ما يعكر الصفو . إن هذه المخاوف تنبع غالباً من كلمات وأحداث قد سببت لنا الصدمة عندما كنا صغاراً ، وربما دعمتها صراعات فى حياتنا عندما أصبحنا عزَّاباً كباراً . خذ على سبيل المثال ، معركتى اليومية للحصول على عمل خلال فترة الكساد الاقتصادى فى أوائل التسعينيات .

إن ذلك قد زعزع ثقتى فى نفسى مما جعلنى أتوقع الرفض لا القبول . إن ضعف الثقة فى النفس مرض يدمر المناسبات الرومانسية . فمن البديهيات الأساسية أننا ندرك أنه إذا لم نحب أنفسنا ونحترمها فلا يمكن حقاً أن نتوقع أن يفعل ذلك أى شخص آخر . وإذا كان قاموسنا ملئ بألفاظ تدل على الاستخفاف بالذات ، وجسدنا يعانى من عدم الإحساس بالأمن ، فلن يهتم بنا أحد من الجنس الآخر . إن الناس لديها مشاكل بما فيه الكفاية ، فلا يرغبون فى إضافة مشكلات أخرى إليها ! وخلاصة هذه البديهيات ، يقول إن الشخص الذى لا يحب نفسه يكون غير قادر على أن يحب الآخرين . فزوجتى فى المستقبل لن تقدر على أن تحبنى بأكثر مما تحب نفسها . ولذا

فيستحسن أن أعتنى بها! هل هذا المنطق كامن وراء مناشدة بولس للأزواج بأن يحبوا زوجاتهم « كأجسادهم » وقول يسوع « فلتحب قريبك كنفسك » ؟ .

إننا حريصون على إخفاء عدم الثقة بالنفس من منطلق أن الناس الذين ليس لهم ثقة بأنفسهم عاشقون أردياء . وإذا كان هناك شئ نخاف منه أكثر من أن نجد أنفسنا مهملين متروكين ، فهو أن نكون يائسين محبطين ! . عندما نعانى من عدم الثقة بالنفس نعتبر التعارف فرصة للتعرض للرفض بدلاً من أن تكون فرصة للقاء شخص سوف يحبنا . فى هذه اللعبة الرومانسية ، يترتب الكثير من الأمور على لحظة عابرة - كنظرة أو انتهاز الفرصة لطلب رقم تليفونها - ولذا فأى شلل فى الإرادة ناتج عن خوف يقلل من فرص الشخص . إننا عاجزون عن اتخاذ المجازفات الضرورية لأننا فى حالة من الجمود خوفاً من الرفض .

لقد تعرفت على عدد كبير من أفراد الجنس الآخر ، ولكن عندما أتزوج سوف أشعر أنى أكثر ثقة فى نفسى ، ولكن كيف أجد الشخص الجدير بأن أتزوجه وأنا أعانى من أزمة الثقة ؟ إننا نرى حولنا أناساً يتمتعون بثقة كبيرة فى ذواتهم وقد فازوا بقلوب أشخاص كنا نرغب أن نكون معهم . وبعضهم أقل منا جمالاً ! من ينقذنى من أزمة الثقة هذه !

لى ثلاثة اقتراحات . **الأول** أنه يوجد أشياء كثيرة يمكن أن نعملها لزيادة احترامنا لذواتنا . فلو بدأنا نهتم بحياتنا فى اختياراتنا العادية اليومية بدلاً من أن نرى أنفسنا كضحايا الحياة ، فإن ثقتنا بأنفسنا سوف تزداد ، وسوف تكون الأشياء التى لم نكن نحلم بها أبداً فى متناول أيدينا . وسوف يكون ذلك بمثابة طريق صاعد لنا عندما تحفزنا ازدياد الثقة لاتخاذ المزيد من الخطوات التى تزيد من ثقتنا بأنفسنا . الق نظرة على حياتك ، وفتش عما يعوق هذه الثقة ، وحاول أن تغير هذه الجوانب ، فإن كان التعليم ينقصك فاشترك فى برنامج دراسى . وإن كان رئيسك ينتقدك على الدوام ، قم بتغيير الوظيفة . وإن كانت العلاقة الحالية تضعف من ثقتك ، تخلص منها . لقد كان ترك موطنى بالنسبة لى حداً فاصلاً فى الحياة . كنت أعانى من التعاسة فى المكان الذى كنت فيه ولكن أن أرحل بعيداً كان يعنى بالنسبة لى فقدان القدر القليل من

الإحساس بالزمن الذي تبقى لى ، وكالعديد من القرارات المصيرية فى حياتى ، كان اتخاذه صعباً فى البداية ، ولكنه قد أثبت بعد ذلك أنه قرار حكيم .

الاقتراح **الثانى** أن تحصل على العون المطلوب . إن أصدقاءنا ورعاتنا لن يستطيعوا تقديم التشجيع أو الحكمة التى نتطلبها ، ونحن بحاجة أن نحصل على عون خارجى . إنى أفضل كثيراً الطبيب النفسى المؤمن على الطبيب غير المؤمن ، ولكنك يجب أن تبحث هنا وهناك حتى تجد شخصاً يمتلك المهارات والوقت ليساعدك فى فهم نفسك . وعلى الرغم أن الأمريكيين لا يهتمون كثيراً بالذهاب للطبيب النفسى إلا أن البريطانيين يتحفظون عليه علاوة على اعتقادنا أن جرعة العلاج النفسى لا تعطى سوى للمرضى عقلياً، مما يجعلنا نمتنع عن طلب العون . ولذا فليس من المستغرب أن نكون أمة قلقة . ولذا فلن نحصل على العون - ما لم نستمتع بالسعادة . ولعلمك ، فالتعساء ، غير جذابين دائماً حتى وإن كانت طلعتهم بهية .

ثالثاً : ليس هناك ما يحرر المرء أكثر من الأفكار اللاهوتية السليمة ، ولذا تمسك بكتابك المقدس لتستمع إلى رسالة الله لك . « إن الروح القدس يمكن .. أن يشفينا من ألم السنين »، هكذا تكتب إلين ستوركى (Elaine Storkey) فى « البحث عن الألفة » . وتواصل حديثها قائلة :« إن جميع الرضوض والجروح الكامنة فى ذاكرتنا والتى تمنعنا من معرفة الحرية فى حياتنا يمكن أن تتلاشى هى نفسها عندما تبتلع فى المحبة الأعظم التى تسكب السلام فى أعماق نفوسنا » .

هناك الكثير من الدواء العاطفى فى الكتاب المقدس ! ونحن بحاجة لأن نصلى لشافى نفوسنا . أحب قصة الرجل المسيحى الذى وضع صورة لامرأة جميلة فى حجرته وكتب تحتها هذه الكلمات « أبوكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » ، وهناك المرأة المسيحية التى وضعت (بنطلوناً) رجالياً فوق سريرها وكانت تصلى كل ليلة طالبة من الله أن تجد رجلاً ليلبس هذا (البنطلون) - حتى استجاب الله لها !

وكما تصلى طلباً للمعونة ، فنحن بحاجة للصلاة يومياً للقدرة على الغفران لأجل الأمور التى

تجعلنا نشعر بالمرارة ، لأن الصفح أمر سماوى ليس فقط لفائدة أولئك الذين سببوا لنا الأذى - سواء كانوا والدين أو إخوة أو جيران أو محبين - ولكن لفائدتنا أيضاً حتى نبدأ من جديد . وبالصفح عن أولئك الذين أساءوا إلينا نصبح أحراراً فى التحرك نحو علاقات جديدة . فلا فائدة من محاولة البداية من جديد فى الوقت الذى نكون محملين فيه بأثقال الماضى . إن المرارة عبء أثقل من أن نحمله على ظهورنا .

فيجب علينا أن نتحرر من الداخل ، فعندما نكون أحراراً فى قرارة نفوسنا لكى نبقى عزاباً فإننا بالتالى يمكن أن نكون أحراراً بالتمام لكى نتزوج . ولكن لو شعرنا بأننا مُجبرون على الزواج بأى حال من الأحوال ، فلن يكون اختيارنا حراً عند ما نتزوج .

خذ مثلاً التوتر الجنسى . فبينما يعتقد معظم الناس أننا يجب أن نعبر عن دوافعنا الجنسية وأننا إذا كبتنا هذه الدوافع لا يكون تفكيرنا سليماً ، فإن الإيمان المسيحى يعلن أن الجنس يمكن بل ويجب قمعه . وأننا لا يجب أن نستسلم لدوافعنا ، وأنه إذا كانت لنا حياة قوية وممتلئة بالرغم من « عدم » الاتصال الجنسى ، فإننا بذلك نعلن للعالم بقوة أن الجنس ليس إلهاً .

وبالمثل فإن الدافع لإنجاب أطفال يسيطر على عدد كبير من الزيجات غير الموفقة والسيئة الحظ . ولكن العهد الجديد يعلن أنه لنا عائلة فى الكنيسة وأننا لسنا مضطرين لإنجاب أطفال من صلبنا عندما ندرك تماماً أن لنا عائلة إلهية ولدنا فيها . ونفهم بدلاً من ذلك أنه علينا أن نتحمل مسئولية مساعدة الآباء فى الكنيسة فى مشاركتهم أعباء ومسرات تربية الأطفال ، لأنهم جميعاً أبناء الكنيسة تماماً كما هم أبناء بالجسد . ولست مضطراً كذلك أن يكون لى أبناء لأضمن تخليد اسمى فى المستقبل ، وذلك لأن القيامة تعنى أننى أواصل الحياة فى الأبدية بعد أن يفنى جسدى الترابى .

وإن كان عدم التقدير يدفعنى نحو الزواج ، فنحن بحاجة مرة أخرى لنتعلم درس لاهوتى مفيد . يذكرنا رودنى كلاپ (Rodney Clapp) فى كتابه « عائلات عند ملتقى الطرق » ، أنه بينما « المسيحيون المتزوجون لديهم الامتياز الرسولى الخاص باستضافة القديسين ..

فالمسيحيون العزاب لديهم الامتياز الرسولى الخاص بحرية الحركة والتنقل من مكان إلى آخر » . واستبدال الزواج بالعزوبية يعنى ببساطة تغيير الإطار الذى نخدم به الله . واليوم فإنى أستطيع أن أقدم لله القدرة على الذهاب إلى أى مكان فى أى وقت . وعندما أتزوج فإن زوجتى وأنا سوف نستطيع أن نصبح مركزاً لاستقرار كل من حولنا . وقد اعتبر الرسول بولس بالطبع ، أن العزوبية لها الأفضلية على الزواج !

إن المسيحيين الذين يؤدون دورهم بالتمام ، سواء كانوا عزاباً أو متزوجين ، هم يكشفون عن طبيعة الله ، كما أنهم يجذبون الآخرين له . لأنه كما أن الزواج يكشف طبيعة عهد الثالوث ، فهكذا فى عزوبيتنا فإننا نظهر اعتمادنا الكلى على الله . ومهما تميزت علاقاتنا الأرضية ، فإن نفوسنا لن تشبع حقاً سوى بعلاقة قوية مع الله . كما تقول إلين ستوركى : « وفى النهاية فإن البحث عن الإلفة هو البحث عن الله » .

حيرة الجنسين :

فى البدء خلق الله الذكر والأنثى . وحيرتنا بشأن مهمة الذكر والأنثى تساهم فى ترددنا بشأن الحب الرومانسى . هل مازال يجب على الرجل أن يقوم بكل التحركات ؟ هل يجب على الرجل أن « يطارد المرأة حتى تقتنصه » ؟ أم أن فكرتنا العصرية عن الجنس تجعل من هذه الأفكار شيئاً عفا عليه الزمن ؟. عندما تخضع جميع افتراضاتنا للتحدى على الدوام ، فليس من الغريب أن تنقصنا الثقة بشأن الطريقة المناسبة للتقدم . فلو كان الرجل المسيحى حذراً حتى لا تعتبره المرأة المسيحية كحيوان ضار من الناحية الجنسية ، فإنه لن يتقدم إلى الأمام ، لأن تقدمه فى هذا المجال يعنى المخاطرة بأن يثار حوله الشك من الناحية الأخلاقية أو تفسر تحركاته بأنها غير سليمة . وعلى سبيل المثال فإنى أتحير بين الضحك والدموع عندما يحكى لى صديقى أن هناك شابة مسيحية يشعر نحوها بالتفاهم المتبادل ويحرص كل منهما على الآخر ، ومع ذلك يصعب عليه أن يأخذ خطوة إيجابية تجاهها . وفى بعض الأحيان تطارده بحرارة ، ولكن فى مناسبات أخرى فهى المسيحية الرزينة المحتشمة التى تنبذه لأنه « خطر على النساء » فيتصل بها تليفونياً

لتقول له : « لا تأت هذا المساء ، فسوف أعود للمنزل فى وقت متأخر » .

إن هذه الرسائل المتناقضة سببها تفكير متناقض . فبدلاً من مراجهة مخاوفها بأن تفقد سيطرتها على نفسها بطريقة مبشارة ، فإنها تعبر عن نفسها بطريقة متروحنة بالقول « الله أخبرنى ألا نخرج سوياً » ، فإدخال الله فى الموضوع بهذا الاتجاه الخاطئ يغلق باب الحوار . وعلى أى حال فإنها لا يمكن أن تعصى الله ، ولكنى أعتقد أن الله أكثر اهتماماً بالتعامل مع لب المشكلة ، وفى هذه الحالة على كليهما أن يعرف كيف يكونا مسئولين عن تكوين علاقة مقدسة بدلاً من توقف مسيرة العلاقة .. ومما يحزن ، أنه كلما تلقى صديقى مزيداً من الرسائل المتناقضة « بالشد والجذب » ، فإنه يصبح أكثر إحباطاً . إنهما بذلك ينفصلان ليمضى كل فى طريق . ويوماً ما ربما يندما بمرارة على ما فعلاه .

وفيما بين وجهتى النظر التى تقول إحداهما إن « كلا الجنسين يجب أن يقوما بالمطاردة » والأخرى القائلة بأن « كلا الجنسين يجب أن يشعرا بحرية التحرك » يوجد مجال واسع من الاختيارات . والأفضل أن يظل كل واحد على نفس الموقف فى هذا الحوار المتواصل حتى نعرف ما نتوقعه . ولكن بما أنه فى عالمنا السريع التغير يأخذ كل واحد موقفاً مختلفاً ، فعلينا كأفراد أن ندقق التفكير فى وجهة نظرنا ونتمسك بها . إننا بحاجة لأن نكون أمناء مع بعضنا البعض وحريصين قبل أن ننتقد أولئك الذين لهم وجهات نظر مختلفة .

ونحن بحاجة أيضاً لتفهم الفروق بين الجنسين فى توجيهنا النفسى . فالرجال عادة أقل خبرة فى مهارة الوضوح العاطفى . وعلى النقيض من ذلك ، فالنساء غالباً يدركن الفروق الطفيفة للحوار غير اللفظى الذى لا يدرك الرجال أنه يحدث فى الأصل . وما لم نكن نمتلك الثقة فى أنفسنا ، لن يكون عندنا الصبر لتعلم كل منا للغة الجنس الآخر .

الظهور بمظهر صعوبة المنال :

إن الظهور بمظهر صعوبة المنال ، لعبة تحبها النساء اللواتى ترغبن فى إخفاء عدم ثقتهن فى أنفسهن بالتخفى وراء مظهر يدل على الجزم القاطع . فبالإصرار على وجوب أن يظهر الرجال

التزامهم العاطفى ، فإن المرأة تبدو أنها تمارس السيطرة ، ولكن ذلك القناع يخفى عدم رغبة المرأة أن تكشف عن عواطفها - الخوف من الرفض .

ويظهر هذا التزامن في عدة قناعات . أذكر أنه بعد أن وجه إليّ عدد من النساء المسيحيات سؤالاً عن « كيف يفكر الرجال » أو أنهن قلن إنهن يرفضن آلياً طلب الرجل للخروج معهن فى أول مرة حتى يتأكدن من أنه جاد فى طلبه هذا . وفى نيويورك هناك كتاب جديد مشهور يدعى « القواعد » وهو مبنى أساساً على هذه النظرية الخاصة «بالظهور بمظهر صعوبة المنال» . إن هذا الكتاب عن التعارف يشجع النساء على أن ينهين دائماً المكالمات التليفونية واللقاءات فى وقت مبكر ليظهرن أنهن مشغولات كثيراً . وينصح القراء أن يصبح الرجال أكثر جدية إذا كانت المرأة التى يعجبون بها تتظاهر بعدم الاهتمام .

أريد أن أقول للنساء اللاتى تعاملن الرجال كما لو كانوا عرائس موضوعة على حبل . إن الرجال ذوى البصيرة النافذة سوف يعرفون الحقيقة . وعدد كبير من أولئك الذين لا يمتلكون هذه البصيرة إما أن ينتابهم الملل أو يفترضون أنكن غير مهتمات بهم فى حقيقة الأمر . وفى كلتا الحالتين ، فإنهم سوف ينصرفون بعيداً . إن النساء بحاجة لأن يتعلمن أن يصبحن أكثر وداً مع الرجال مع الاحتفاظ بكرامتهن واحترامهن لأنفسهن . فتجنُّب الظهور باللهفة الزائدة شئ ، واللجوء إلى التلاعب بمشاعر الآخرين شئ آخر .

إذا أردنا أن يحدث التعارف بسلاسة ، فنحن بحاجة لمزج الثقة بالوضوح فلتكن « نعمكم » « نعم » « ولاكم » « لا » .

إن خطورة روتين « الظهور بمظهر صعوبة المنال » أنه يمتزج بخبث مع ارتباك الرجال فيما يختص بوجوب قيامهم بالمطاردة أم لا . فإذا قمنا بالتحرك فإما أن نوصف بأن تحركاتنا كانت أكثر من اللازم أو نقابل ببرود من قبل امرأة يهمها كثيراً ألا تظهر أى قدر من اللهفة الزائدة . وهكذا فقد بدأنا نفهم السبب الذى يجعل عدداً كبيراً من السيدات يشكين أنه ما من أحد يطلب أن يخرج معهن . فإذا أردنا لعملية التعارف أن تجرى بسلاسة ، فنحن بحاجة لمزج الثقة

بالوضوح . فلتكــن « نعمكم » « نعم » « ولاكم » « لا » ! . إن ضعف الثقة في جاذبيتها تقود المرأة لتكون غامضة حتى إذا كانت مهتمة بالطرف الآخر . وهكذا تنشأ حلقة شريرة بالنسبة للرجل الذى يناشد من خلال شكه من امرأة أن تخرج معه فيجدها غير مستجيبة لطلبه (وهو غير مدرك أن ذلك كان نوعاً من التكتيك من جانبها حتى لا تبدو أنها حريصة عليه). وبعد أن يظن أنه قد رفض ، فإنه يتوقف عن مطاردتها (وإلا فإنه يخشى أن يتهم بالتحرش بها) . وتهتز ثقته بنفسه ويقل احتمال أن يطلب الخروج مع امرأة أخرى . أما بالنسبة لها ، فإن الشعور بأن هذا الرجل ، كبقية الرجال ، كان مهتماً بها ظاهرياً فقط ، فإن ذلك سوف يضعف من ثقتها بنفسها . وسوف يجعلها أكثر اقتناعاً بأن الرجال حريصون بأن يرونها تظهر بمظهر أنه يصعب الحصول عليها بعد .

ولذا فإن الرجال والنساء الذين تنقصهم الثقة يجدون أن القدرة على التعارف تنضب عندهم. ولكن هناك نوعية أخرى من الرجال والنساء لديهم ثقة داخلية بقدرتهم على اقتحام مخاوف الجنس الآخر ، وهؤلاء هم الرجال الذين يثابرون بالرغم من تكتيكات « الظهور بمظهر صعوبة المنال » ، وهناك نساء لديهن الثقة كي يستجبن بحماس عندما يُظهر الرجال الذين يحبوهن اهتماماً بهن . إن عالم الرومانسية يصبح من حق هؤلاء الناس . ولذا فمن له يعطى ويزاد ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه .

إن الثقة هى زيت الحياة ، إنها تمنع توقف آلة تسيير حياتنا الاجتماعية ، ففى بعض الأحيان تنقصنا الثقة لأن سنواتنا الأولى كانت صعبة ، أو لأننا قد صدمنا بسبب صراعات الحياة ونحن كبار . وغالباً ، وهذا ما يحدث كثيراً ، فإن ضعف الثقة فى التعامل مع الجنس الآخر قد تولد نتيجة لتجارب جنسية غير سارة ... وسوف تجد مزيداً من التفصيل فى هذا الموضوع في الفصل الثامن .

الفصل السابع

وماذا بعد ؟

بعد أن ألقينا نظرة على الطريقة التى تلحق مخاوفنا الداخلية وشكوكنا الدمار بحياتنا الرومانسية ، فإن هذا الفصل يتجه للأسباب العقلانية التى تجعل بعض المسيحيين يؤخرون عن عمد بحثهم عن شريك الحياة ، ويوجه هذا السؤال : ما هو أفضل سن للزواج ؟

حسناً ، إذا تحدثنا من الناحية البيولوجية ، فإن سن الخامسة عشرة يصلح للزواج ! فالأجسام الشابة الفتية لا تنتج فقط نسلاً سليماً ، ولكنها بما تمتلكه من طاقة جسمية مؤهلة للتعامل مع تلك الليالى الطويلة المؤرقة التى يجب على كل والد أن يجتاز فيها . ولكن بغض النظر عما هو غير شرعى (وأى ضمان فى زواج غير شرعى ؟) فإن عدم النضج العاطفى فى علاقات المراهقين مدمر دائماً لكل من الزوجين وطفلهما . إن طفل الوالدين المراهقين أقرب احتمالاً أن يكون به عيب ما .

ولذا فمن السخف أن يتم الزواج فى سن الخامسة عشرة . ولكن متى نكون مستعدين عاطفياً للزواج وإنجاب الأطفال بالضبط ؟ ما هو الوقت المثالى للزواج فى مفهوم التكامل البيولوجى والعاطفى والتطور الوظيفى ؟

دعنا نذهب إلى الحد الأقصى . فعدد كبير من الناس فى عصرنا يؤجلون الزواج حتى يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر . وهذا السن له ميزاته ، ففى هذه السن من المرجح أن تكون وظائف الجسم قد تطورت ويكونوا قد تجاوزوا أزمات سن العشرينات ، ويصبح لديهم تصوراً واضحاً فيما يتعلق بنوع شريك الحياة الذى يبحثون عنه ، (باقتراض أن الشريك المحتمل للزواج يكون فى نفس العمر) ، ويمكنهم أن يعرفوا إن كان هذا الشريك ناجحاً أو فاشلاً فى الحياة .

ولكن ما يسيطر على الموضوع كله هو موضوع الساعات البيولوجية . وهنا ، كرجل ، أحاول

أن أخوض فى هذا الموضوع بحذر لأن النساء لسن بحاجة لمن يذكرهم بتأثير السن على الخصوبة وصحة الأم والطفل . إن معظم السيدات اللاتى تخطين أوائل الثلاثينات يقلن إنهن لم يقصدن تأجيل الزواج لهذا السن المتأخر . ولأسباب عديدة - بعضها قد أثير فى فصول سابقة - لم يصادفن الرجل الذى يسعدهن أن يكون أباً لأطفالهن . كما أن الضغط الواقع عليهن بتحسين وضعهن فى عمل يتطلب المنافسة لم يجعل البحث عن شريك الحياة متيسراً . فمن الصعب أن تجدى زوجاً إذا كنت قد تزوجت الوظيفة . ولكن من الناحية الأخرى فهل يجب التخلى عن مهنة تم الحصول عليها بصعوبة بالغة للتسكع بحثاً عن رجل ؟ .

والرجال ، فى المقابل ، يخلطون بين مقاييس متضارية . إنهم يرون أنه من الحكمة تأجيل الزواج ، وأن النساء حمقاوات - صورة « العانس الحزينة العجوز » فى مقابل «الرجل العاقل» . ولكن هل الرجال محقون فى قولهم إنهم يرفضون من قبل النساء اللواتى يتظاهرن بأنهن لا يرغبن فى الارتباط إلا إذا اضطررن لذلك ؟ إن ميل المرأة العصرية لتأجيل الزواج حتى وقت متأخر يضيف إلى الضغوط المتزايدة على الرجال المسيحيين فى انتهاج حياة طاهرة فى وسط مجتمع فاسد جنسياً ؟ إن طاقاتنا الجنسية متيقظة منذ أوائل العشرينات ، ولكن شركاء الزواج ليسوا على استعداد لقبول الزواج حتى يبلغن الثلاثينيات من عمرهن . وعلى الرغم من أن الحقيقة قد تكون مختلفة عن ذلك ، إلا أن الرجل يفسر ذلك بأن المرأة ترى أن عملها أكثر أهمية بكثير من الزواج وإنجاب الأطفال . وكالمرأة ، فلا يوجد رجل يرغب أن يكون فى المرتبة الثانية بعد الوظيفة . ولا يرغب الرجال كذلك أن يجبروا على تأسيس عائلة بعد الزواج مباشرة - أو يواجهوا المجازفة بعدم إنجاب أطفال بالمرة . وينعكس عدم ارتياح الرجال للزواج بامرأة كبيرة فى السن وذلك فى الإحصائيات التى تبين مشكلة ثانية تواجه النساء اللاتى تلجأن لمذبح الزواج فى وقت متأخر . وهو الاختيار السيئ للرجل الذى ترتبط به . هناك إحصائية مذهلة تقول إنه لكل ١٠٠ امرأة فيما بين العشرين والرابعة والعشرين يوجد ١٥٧ رجلاً يتقدمون إليهن. وهذا يعنى العديد من الاختيارات ، ولكن بعد عشر سنوات ، فيما بين الثلاثين والرابعة والثلاثين ، يبلغ عدد الرجال المتقدمين ٩١ رجلاً . وبالنسبة للنساء فيما بين الأربعين والرابعة والأربعين ينخفض عدد

الرجال ليصل إلى ٧٨ رجلاً فقط . ولذا ففى السنوات العشر الأولى فإن نسبة الاختيار قد هبطت إلى ٤٣٪ . وفى حين أنه على مدى عشرين سنة ، لا يزال هناك نسبة معقولة إلا أنها انخفضت إلى النصف . وهناك أيضاً دليل على أن نوعية هؤلاء الرجال فى مرتبة أدنى .ويرجع سبب انخفاض عدد الرجال إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين الرجال (بعد أن كانت النسبة أكثر ارتفاعاً عند الميلاد) ويرجع أيضاً بسبب التفضيل التقليدى للرجال بالزواج من نساء أصغر منهم فى السن .

وبالنسبة للنساء المسيحيات فإن المشكلة تتضاعف بنقص عدد الرجال المؤمنين ، فقد أظهر البحث الذى قامت به الرابطة الإنجيلية للمملكة المتحدة بين أفراد كنائسها ، أن فى الفترة السنية لما قبل الثلاثين من العمر ، يوجد ١٣٠ فتاة لكل ١٠٠ رجل (وفى الفترة السنية لما بعد الستين من العمر يوجد ١٠٠ رجل مقابل كل ٦٠٠ امرأة) .

إن هذه الأرقام لها دلالات قوية لشرح الضغوط المتزايدة على النساء المسيحيات الأكبر سناً للتعرف على رجال غير مؤمنين (قضية سوف أتعامل معها فى فصل لاحق) . ولكن التعارف المبنى على الإحباط أو الخوف ليست حلاً نافعاً للمشكلة . والآن دعنى أقول إن الكنيسة يجب أن يكون لها استراتيجية للتعامل مع فشلها فى تجديد الرجال . والنساء المسيحيات بحاجة للقسوة على الرجال « المؤمنين » الذين يحاولون الاستفادة من الفارق الكبير من العدد بين الجنسين لإجبارهن على الزواج . ولأكتفى بهذا القدر فى هذا الموضوع بالقول إن الاحصائيات توضح أن المرأة المؤمنة بحاجة لحجج قوية مقنعة بنفس القدر من الأهمية إذا كان لابد أن تتبع سياسة متعمدة . لتأخير الزواج .(بالنسبة للرجال المؤمنين تقول الاحصائيات إنهم إذا انتظروا ، سوف يتحسن اختيارهم . وربما تعتبر هذه فكرة ذكية أخرى لصالح الرجل المسيحى الذى يخاف من التقيد برباط الزوجية) .

« بولا » فتاة جميلة – ذكية ، لماحة ، مرشحة أن تكون زوجة عظيمة ! لما كانت فى الجامعة ، كانت محط إعجاب عدد كبير من الشبان المؤمنين اللائقين للزواج منها ، ولكنها وقد بلغت

منتصف الثلاثينيات من عمرها ، فإن نقص الرجال المؤمنين الملائمين معناه أنها تتعرف حالياً بشخص غير مؤمن . ومن بين الضغوط التى تتعرض لها أن كنيستها لا تتفهم موقفها كما أنها توبخها بشدة « للنير المتخالف » من الناحية الروحية الذى حذر منه بولس الرسول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين » (٢كو ٦: ١٤) ، واقترحت عليها على الرغم من أنها تحمل شهادة الدكتوراه فى الفلسفة أن ترتبط بدلاً من ذلك بنير متخالف من الناحية الفكرية ، مثل ميكانيكى للجراجات فى كنيسة مجاورة . إنها فتاة يرثى لها لسذاجتها . عندما كانت طالبة كانت تقول « كنت أعتقد أن الرجال المسيحيين الذين كانوا يغيرون خط سيرهم ليمشوا معى إلى المحاضرة أو يقدمون الزهور ، إنهم يفعلون ذلك من باب الصداقة فقط ! » .

دعنا نتفهم بالتفصيل الأسباب التى تجعل كلاً من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات يعطون أولوية أكبر لوظائفهم عن التى يعطونها للزواج . إن الاختيار يبدو بالنسبة لهم منحصراً فى المفاضلة بين عمل ناجح أو زواج ناجح . ولكن هل هو صراع زائف ؟ إن عدداً كبيراً من الأزواج والزوجات متعاونون ، ويساعد كل منهم الآخر باقتسام الأعباء العاطفية والعملية . وعندما يكون الضغط كبيراً فى العمل ، فإن شركاء حياتهم يجدون أنهم يستمدون العون من البيت . وكما يقول كاتب سفر الجامعة : « اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة ، لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه ، وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقيمه » . (ولسوء الحظ ، فإن عدداً قليلاً من الرجال قد يقتنعوا من أن أعمال زوجاتهن لها نفس القدر من الأهمية كأعمالهن تماماً . إن الاختبار الحقيقى لذلك أن نكتشف مقدار عدد الرجال الذين على استعداد أن يتركوا وظائفهم للتلاؤم مع عمل زوجاتهم) .

الطريقة الأخرى التى يمكن بها للزواج أن يفيد وظيفتك هى أنك إذا كنت واحداً من أولئك المؤمنين العديدين الذين كرسوا قدراً كبيراً من حياتهم الفكرية فى مطاردة شريك الحياة المستقبلى أو شريكة الحياة المناسبة (وينطبق هذا على الارجح على معظمنا !) ، ففى هذه الحالة يصبح الزواج أفضل شئ يحدث لوظيفتك لأنه حرر وقتـك وطاقتك العاطفية بعدم مطاردة أحد بعد ذلك .

سبب آخر يجعلنا نؤجل الزواج هو حاجتنا للتناغم مع أنفسنا أولاً بالتخلص مما يضايقنا ، ولكن ، أليس بيت الزوجية أفضل مكان للزوجين لمساعدتهما على تفريغ كل منهما للشحنة العاطفية التى تثقل كاهله ؟ يخطر ببالى عندما أسرع بخطواتى خلال الثلاثينات أنه لا أحد من أصدقائى العزاب يشعر بالخطر حين يحاول أن يتخلص تماماً مما يضايقه لوحده ! .

قد يكون الزواج أفضل شئ حدث لوظيفتك ، وذلك لأنه حرر طاقتك العاطفية ووقتك بعدم مطاردة أحد بعد ذلك .

إن حقيقة وجود أعداد كبيرة من أصدقائنا يؤجلون الزواج لوقت طويل يسهِّل علينا تجنب فحص الأسباب الخاصة بنا بخصوص تأجيل الزواج . وكما أن الشباب العبرى منذ ٢٠٠٠ سنة مضت كان يشعر بضغط كبير لكى يتزوج قبل بلوغ العشرين ، هكذا فإننا نستحدث الزواج المتأخر فى تقاليدنا الثقافية السائدة . ولكن هل هذا صواب بالنسبة لنا أو لأطفالنا ؟ ما الذى يفضله أى ابن يبلغ العاشرة من العمر ؟ أم وأب فى أواخر الثلاثينيات أو أواخر الأربعينيات ؟ أنا أعرف أيهما أفضل فى لعب كرة القدم !! وعندما نتطلع إلى الألفية التالية ، فماذا يكون بشأن أحفادنا ؟ هل يحبون أن يكون لهم أجداداً على قيد الحياة ؟ لأنه إذا لم يكن لك ، أنت وأنا ، أطفال حتى نبلغ الأربعين من العمر ، ثم فعل أطفالنا نفس الشئ ، فنحن بحاجة لنعيش حتى نبلغ الثمانين لكى نرى أحفادنا .

ماطول مدة الزواج التى تتمنياها لنفسيكما إذا التحقتما بفريق الزواج المتأخر ؟ إن أكبر خطر يمكن أن تتعرضا له ويسبب فى عدم احتفالكما بعيد زواجكما الذهبى ليس هو الطلاق بل الموت . إن بعض الزيجات قد شهدت ثروة استغرقت عقوداً زمنية تمت فيها اقتسام التجارب المشتركة . إنه ثراء يصعب على جيلنا الذى يريد الحصول على كل شئ فى الحال أن يتفهمه .

كم واحد منا فكر بعمق فى الوقت المثالى للارتباط بشريك الحياة ؟ فما أن ندرك أن معظم أصدقائنا قد ارتبط بعقد الزواج - وأننا قد تُركنا لوحدنا نضيع وقتنا بلا طائل ، حتى نفكر قائلين « يجب علىَّ أن أتزوج » .

وبالنسبة للنساء ، فإن نقطة التحول يمكن أن تأتى عندما يشاهدن صديقاتهن يرسلن أطفالهن إلى المدرسة أو عندما تظهر التجاعيد فى المرآة ! وفجأة نمسك بخيوط اللعبة فى أيدينا لنقرر ما يحدث « إذا كان لابد من الزواج ، فليتم الآن » - فنندفع فى بحث محموم عن شريك حياة مناسب . وكما نعرف كلنا ، فالأعمال المتسرعة تكون غالباً غير متقنة .

وهناك فكرة أخيرة تحمل قدراً كبيراً من الحكمة والكياسة من الرسول بولس : « التزوج أفضل من التحرق » فكرة عملية جداً ! فإن كنت ، كالكثيرين من إخوتك وأخواتك فى الإيمان ، تجد أن ضبط نفسك أمر صعب ، فلا تؤجل الزواج إلى وقت غير محدد . وهذا لا يعنى أن تتزوج من أول شخص تصادفه ، ولكن عدداً كبيراً من المسيحيين ينسفون حياتهم الروحية بالفساد الأخلاقى حتى أن « المتحرقين » الذين يؤخرون الزواج يتبعون استراتيجية غير حكيمة .

الفصل الثامن

الجنس

ربما قلَّبت الصفحات بسرعة لتصل أولاً إلى هذا الفصل عن الجنس ! (وربما ما كنت التقطت الكتاب من على الرف لو لم تجد كلمة الجنس في عنوان الكتاب !) . إننا حريصون على قراءة الكتاب بسبب سيطرة الجنس على مجتمعنا وفشله الذى يدعو للرثاء فى معالجة قضايا الجنس . لأنه على الرغم من أننا نتطلع إلى ممارسة الجنس ، إلا أننا فى نفس الوقت ندرك أن إساءة استعماله يمكن أن يدمر نفس العلاقات التى نحاول تكوينها . إننا نتعلم ذلك أحياناً من خلال التجربة الشخصية المريرة . ويركز الفصل التاسع على تلافى النتائج المترتبة على هذا الفشل فى محاولة لضمان أنه لن يؤثر تأثيراً سيئاً على علاقاتنا المستقبلية . ولكن سواء تجنَّبت هذه الشراك فى الماضى أم لا ، فإن هذا الفصل يلقى نظرة على سلوكنا المستقبلى كمسيحيين عزاب ، محاولاً أن يضع الجنس فى منظور صحيح : كشئ هام ولكن ليس كلى الأهمية ، كشئ قوى ولكن يمكن السيطرة عليه .

وإذا لم اؤمن بإمكان السيطرة على الجنس فإننا نقع فى شركين : فإما أن نجد عذراً للنجاسة قائلين :« لم أستطع أن أتفادى ذلك أو نتجنب العلاقات لأنها تتحول دائماً إلى علاقات جنسية». لأن الفساد الأخلاقى لا ينهى العلاقات الرومانسية فقط ولكن الخوف منه يوقف تكوين العديد من العلاقات . إن علينا أن نتوقف عن الاعتقاد أنه عندما يخرج الرجال والنساء معاً ، يصبح الجنس كل شئ بسرعة . إن ذلك أكذوبة .

القواعد التى نسلك بموجبها :

عندما كنت مراهقاً ، تعلمت قاعدتين أساسيتين : أولهما ألا أخلع أى ملابس وثانياً ألا ألمس أى شئ لا يخصنى . ولكن يالبراعة الشهوة ! فعلى الرغم من التمسك تماماً بحرفية هاتين القاعدتين ، فإنه يمكننا أن نفعل الشئ الكثير بالتعدى على مضمون هاتين القاعدتين . وهنا

تكمن المشكلة ، لأنه مهما كانت القواعد التى يقصد بها السيطرة على السلوك الجنسى - وجميعنا لدينا قواعدنا الخاصة - فإننا على الدوام نتلمس الحدود ، كما أننا نضغط على الحدود ، إذا لم يكن لدينا اتجاه مقدس نحو الجنس . وعندما ندرك تماماً مدلولات الجنس وتطبيقاته، وعندما نفهم الناس وحقيقة المتعة ، فإننا نبدأ فى جعل قلوبنا وأفكارنا تحترم أجسادنا .

فهم الجنس الحقيقى :

هل هناك أى شئ مادى يمكن أن نفعله يرمز للالتزام برباط الزوجية أكثر من الجنس ؟ هل هناك شئ أكثر ألفة من الجنس ؟ كلا ، لأنه ليس هناك تعبير جسدى عن الثقة أعظم من جسدين متحدين . فنحن لا نخفى شيئاً - فإنها أكثر الإعلانات خصوصية عن أنفسنا يمكن تقديمها لشخص آخر . إننا نعطى كل ما يمكن للآخر . ومثل هذا الالتزام والكشف يمكن تبريره فقط عن طريق علاقة عميقة وآمنة فقط عن طريق حمايتها . إن الجنس لا يمكن أن يكون حقيقياً إذا احتفظ طرف واحد أو كلا الطرفين بالحق فى رفض الآخر فى اليوم التالى . ولهذا السبب فإن الجنس الذى يمارس قبل الزواج لا يمكن أن يكون جنساً حقيقياً .

إن التعبير الجنسى الحقيقى يحوى عنصراً سماوياً : اثنان قد كرسا نفسيهما وكل عنصر فى حياتهما المشتركة ، كل للآخر أمام الله ، وقد وجد كل منهما الراحة فى حضن الآخر ، عالمين أن الأمن الذى يجده كل واحد لدى الآخر هنا على الأرض مصدره الضمان الأبدى فى الله . ومن خلال الجنس يمكنهما أن يتواصلا ، تواصلاً دائماً وليس عابراً . إنهما يتبادلان ويعبران عن الثقة وليس الشهوة .

فى ظل هذه الألفة يزداد احترام الذات ، لأن شريك الحياة قد جعل الآخر يشعر بقيمته . وعلى خلاف جنس ما قبل الزواج ، فالجنس الحقيقى لا يترك الناس ليشعروا أنهم قد استغلوا استغلالاً سيئاً لوحدهم . إن الجنس الحقيقى ليس تعبيراً عن متعتى ونشوتى بل متعتك ونشوتك . فى علاقة الجنس الحقيقى نطلب أولاً وقبل أى شئ متعة شريك الحياة . إن كفايتنا العميقة أننا يمكن

أن نعتمد على شريك حياتنا في العطاء ، ولكن ليس هناك ما يضطرنا للأخذ .

وهذا لا يعني أن كل العلاقات الجنسية في الزواج رائعة . فالجنس في البداية لا يمكن أن يكون عملاً مكتملاً ، وعندما يواجه الزوجان الراسخان مشاكل في الفراش ، فإن لب المشكلة يكون في الغالب راجعاً للأنانية . إن الجنس الحقيقي لا يمكن أن يكون أنانياً .

الممارسة غير الروحية للجنس :

هذه وجهة نظر سامية عن الجنس كهبة ثمينة من خالقنا : ماسة فائقة الجمال يجب أن يُحتفظ بها سليمة ، بالمشاركة مع شخص آخر بدلاً من تحطيمها إلى عشرات من القطع باقتسامها مع عشرات من الشركاء . إن عدداً كبيراً من غير المؤمنين يتفقون على هذا الأسلوب المثالي للتعامل مع الجنس ولكنهم يعتبرون ذلك شيئاً غير واقعي . وحيث أن تفكيرهم يحيط بنا في كل مكان ، فدعنا نبدأ في توضيح وجهة النظر الدنيوية عن الجنس ونرى الضغوط التي تفرضها علينا لكي نتخلى عن هذا الطريق المثالي .

ما مدى إجادتك لفنون الجنس :

ووفقاً لكلمات الأغنية التي تقول : « لا أحد أفضل منك - هذا يجعلني أرثي للباقين . لا أحد يستحق نصف ما تستحقينه - يا طفلتي ، إنك أفضلهن جميعاً ! » . لا أحد ؟ كيف يعرف المغني ذلك ؟ هل فنون الجنس والأداء هي آلهتك . ما هي الدرجات التي يمكن أن تعطيها لنفسك من أجل أدائك الجنسي ؟

إن هذا يبدو سخيفاً لكن هذا هو منطق المجتمع . إن الجنس الجيد يقدر على أساس نوعية التجربة اللحظية ، وليس على ما حدث قبل أو ما يحدث بعد ذلك .

عندما يحاول الناس المساومة على أهمية وجود التزام لتبرير الاتصال الجنسي ، فهم يركزون على فنون الجنس . فوصولي للحظة الذروة تصبح هدفي بدلاً من التساؤل إن كان الجنس قد قرَّب كل منا للآخر أم لا . فلو كان الأمر متوقفاً على لقاء ليلة واحدة فقد لا أتذكر اسمك ولكني آمل أن أتذكر مقدار النشوة التي حظيت بها .

إن مأساة هذا الاتجاه الخاص الذى يضع مواصفات أفضل تجربة جنسية - كما نشهدها بداية من العائلة المالكة حتى عامة الناس مثلى ومثلك ينتهى إلى مأساة الفشل . إن الجنس أكثر بكثير من مجرد شئ يؤدًى للحصول على المتعة ، واعتباره مجرد مخدر لآلام هذه الحياة ، فالتعلق بشخص آخر بهذا المفهوم يشبه ما يفعله المدمن للخمر عندما يحتسى الخمر من زجاجة لينسى العالم لحظة من الزمن . لكنه أكثر من مجرد محاولة للتعلق بشخص قد لا يريد أن يبقى معنا .

أقصر طريق للالتزام :

عندما لا نستخدم الجنس للحصول على المتعة ، فنحن نستخدمه فى محاولة للإبقاء على علاقة مشتركة . ولأن حكمنا يتأثر غالباً بتجربة « الوقوع فى الحب » ، فإننا نقنع أنفسنا بأن الجنس سوف يدعم العلاقة ، وأن الجنس سوف يقود إلى التزام فورى . ولكن الشئ الوحيد الذى يخلق الالتزام هو قوة الشخصية ، وقوة الشخصية لا تصلح عندما ننغمس فى علاقات جنسية قبل الزواج .

وهنا نجد التناقض : فعندما نتورط فى علاقة جنسية فإننا نأمل أن ذلك سوف يضاعف من التزام الطرف الآخر نحونا ، ولكن فى الحقيقة فإن ذلك يؤدى إلى العكس ، لماذا ؟ لأننا عندما نختار شريك الحياة فنحن نبحث عن قوة الشخصية والتمييز اللذان يدومان سنين طويلة .إننا نبحث عن شخص يكون مخلص لنا روحاً وجسداً مهما كانت الإغراءات . وأى امرأة أو رجل على استعداد للتورط فى علاقات جنسية قبل الزواج يظهر بهذا العمل أنه شخص ضحل الشخصية . إننا نظهر عدم استعدادنا للزواج باستعدادنا للذهاب إلى الفراش . وفى صباح اليوم التالى نكون مرتبكين مع شعورنا بعدم وضوح الرؤية . إن الجنس قد هز استقرار نفس العلاقة التى كنا نأمل أن يثبتها . إن الكثير من المخاطر تحيط الآن بالعلاقة التى لم تنمو إلى الدرجة التى تستطيع فيها أن تصمد لهذه المخاطر .

إن الشئ الوحيد الذى يخلق الالتزام هو قوة الشخصية . وقوة الشخصية لا تصلح عندما ننغمس فى علاقات جنسية قبل الزواج .

إن علاقتك لا تصبح ثابتة بممارسة الجنس ، ولكن الجنس يصبح متيناً بنوعية علاقتك . فكلما توطدت العلاقة ، أصبح النشاط الجنسى أكثر مشروعية .

المتعة الوحيدة :

ولكن هناك سبب أعمق لاندفاع مجتمعنا نحو ممارسة الجنس قبل الزواج ، وهو أننا نشعر كثيراً بالوحدة . إن مجتمعاتنا قد انقسمت ، ولم يعد هناك حوار بين أفراد الأسرة الواحدة ، وقد انهمكنا لدرجة أن الحوار مع جيراننا قد انقطع ونحن لا نستطيع أن نحدد ميعاداً لأعز أصدقائنا فنحيلهم إلى يوميات الشهر القادم لأننا لا نجد موعداً مناسباً قبل ذلك التاريخ . إن مجتمع الأنترنت يقلص أوقات اللقاءات التى نلتقى فيها وجهاً لوجه . إننا أقل مقدرة بكثير على إنشاء علاقات متينة عما كان عليه الناس فى جيل آبائنا . كما أن فترة العزوبية التى كانت تدوم عدة سنين قليلة تستمر الآن عشرات السنين .

إن أكثر الأمراض شيوعاً فى التسعينيات هو الحرمان من العناق . عندى زجاجة ماء ساخن ولكنى أفضل أن أحتضنك .

ولذا ففى دوامة مشغوليتنا عندما نلتقى بشخص يهتم بنا ، فإننا نقاتل للحصول على عطفه وحبه . ونتخلى عن أشياء كثيرة - وربما نتنازل عما نعتقده بشأن ممارسة الجنس قبل الزواج - لننهى عزلتنا . خاصة عندما يأتى مع العطف تلك اللمسة التى تغذى بطوننا الجائعة للعاطفة والتى كانت تصرخ بحثاً عن شخص قريب . إن أكثر الأمراض شيوعاً فى التسعينيات هو الحرمان من العناق . عندى زجاجة ماء ساخن ، ولكنى أفضل أن أحتضنك بدلاً من ذلك .

استعادة الطهارة أمر بعيد المنال :

سواء مارسنا الجنس قبل الزواج مرة واحدة أو مرتين أو آلاف المرات ، فنحن نعرف أننا قد عوّجنا المستقيم . فلماذا إذن نلتزم بالقواعد الآن ؟ نعم ، إن الحماقة التى ارتكبت بالأمس لا

تجعل الحماقة اليوم أقل ، بل إن كل مرة يخالف المرء فيها القواعد يصبح من الصعب عليه أن يعود إلى الصواب مرة أخرى . يمكنك أن تصل إلى مرحلة تكون فيها نشطاً جنسياً لدرجة أنك تعانى جسمياً وعاطفياً عندما تتوقف عن هذا النشاط . لقد أصبحت مدمناً جنسياً ، والجنس المدمر يجعلك تتنقل من شخص إلى آخر بكل توجهاتك العاطفية مثل كرة البلياردو . إن مثل هذا الجنس المتكرر والعابر يجعلنا نشعر أننا أكثر إيلاماً وأكثر انتهاكاً لآدمية شريك الحياة دون أن نعى ذلك تماماً لأننا فى حالة من اللاوعى . إذا لم نوقف هذا النوع من الجنس ، فالعلاقة الحقيقية بمافيها من جنس حقيقى تصبح مستحيلة .

الحياة معاً أولاً : التعايش على طريقة الأزواج .

١ – نوع من العلاقة يتم التوصل إليها عن طريق المساومة ، وهى من تصميم رجل ويمكنه بمقتضاها أن يمارس الجنس مع امرأة ويجعلها تقوم بكى ملابسه دون أى التزام فى المقابل .

٢ – حالة سيكلوجية لامرأة تخدع نفسها معتقدة أن الزواج أكثر احتمالاً لو عاشا معاً أولاً .

٣ – زواج تجريبى هو تجربة وليس زواجاً .

هل هدفك الحصول على الطلاق ؟ حسناً ، فلتتعايش على طريقة الأزواج قبل الزواج . إن الأبحاث القومية فى بريطانيا والسويد والولايات المتحدة وكندا تظهر أن الأزواج الذين يعيشون معاً قبل الزواج أكثر عرضة للطلاق بنسبة تتراوح بين ٣٠ و ٨٠ بالمائة عن الأزواج الذين لم يتجاوزوا ترديد التعهدات الزوجية . ويرجع ذلك جزئياً لأن أحدهما أو كلاهما يشعران بأنهما قد وقعا فى الفخ ، ويرجع كذلك مبدئياً لعدم متانة الأخلاق ، ويتضح ذلك فى رغبتهما أن يعيشا معاً قبل التقيد برباط الزوجية ، ويظلان كذلك بعد أن ارتبطا معاً . وما ذلك إلا نوع من التعامل مع علاقات التعايش على طريقة الأزواج التى تحل محل الزواج . إن زيجات « القانون العام » عادة تنهار بعد سنتين أو ثلاثة أعوام . ولكن الزواج العادى يظل قائماً حتى ما يقرب من ٢٥ سنة . ليس هناك وجه للمقارنة . وما يحزن فى الأمر أن عدداً كبيراً من النساء ترتبط بهذه العلاقة بدافع الرغبة المحمومة بأنها سوف تؤدى لزواج دائم . وترى أخريات أنها وسيلة جوهرية لاختبار صلاحيته كزوج واكتشافه على حقيقته . ولكن المراقبة الذكية لشخصية الرجل لا تتطلب

مشاركته الفراش . إنك إن فعلت ذلك فإنه سوف يعتبر سهولة الحصول عليك أمراً مفروغاً منه .

كيف يمكن لامرأة أو رجل ، أن يشعر بالاسترخاء تماماً فى علاقة يمكن أن تنفصم ببساطة لمجرد خروج شريك الحياة من الباب الأمامى ؟

فى كتابها « عشر حماقات ترتكبها النساء تربك حياتهن » تصف الدكتورة لورا تشلسنجر (Laura Schlessinger) التعايش على طريقة الأزواج بأنه « أكبر خداع للنفس تمارسه النساء » ، على أى حال ، هناك عدد كبير من علاقات التعايش فيها قدر من الحب الحقيقى والاهتمام . ولكن كيف يمكن لامرأة أو رجل أن يشعر بالاسترخاء تماماً فى علاقة يمكن أن تنفصم ببساطة لمجرد خروج شريك الحياة من الباب الأمامى ؟ . إنه فى الحقيقة طلاق سريع . عندما توافق امرأة على التعايش مع رجل على طريقة الأزواج (وفى الغالب فإن الرجل أكثر حرصاً على فكرة « الاستمتاع دون تحمل المسئولية » من المرأة) فإن الخوف من أن تفقده يكون على قائمة اهتماماتها . فهل تصبح العلاقات قابلة للنضج حتى تصل إلى القمة بسبب التعايش على طريقة الأزواج أو بأن يعيش الطرفان متباعدين ؟ . إن تعايش الطرفين معاً يصبح فى الغالب علاقة راكدة يكون فيها الرجل قانعاً راضياً ، ولكن المرأة لا تكون كذلك . ولأنه يكون قانعاً ، فإنه لا يشعر بحافز يدفعه للالتزام ، فهو يحصل بالفعل على كلا الامتيازين .

إن هدف النساء يجب أن يكون استعادة قيمتهن كنساء التى أطيح بها فى « التحرير الجنسى » فى الستينات . إن هذا الانتهاك للحقوق الجنسية للنساء قد تم التعبير عنه بأسلوب يبدو ظاهريا أنه يدافع عن النساء ، وأن حريتهن الجنسية أظهرت أن النساء لن يتقيدن بمؤسسة الزواج التى يسيطر عليها الرجال . ولكن بدلاً من ذلك فقد تُرك النساء ليشعرن بأنهن أكثر تعرضاً للضغوط لممارسة الجنس ، وهكذا أصبحن أقل قوة فى مطالبتهن بالتزام ملموس فى المقابل .

إذن فما هى تعليمات الخالق :

إذا كنت تعتقد أنه من الصعب أن تكون طاهراً فى ظل الثقافة العصرية اليوم ، فما عليك إلا

أن تتأمل فى مدى صعوبة ذلك فى تاريخ الكتاب المقدس .

إن الديانات المحلية الوثنية كانت تنص على وجود البغايا فى المعابد ، ولذا فقد مُورس الجنس كطقس من طقوس العبادة . تجول فى أطلال أفسس وأنت ترى حى المواخير فى منتصف المدينة . ونحن مثل العُزّاب المسيحيين فى أفسس وكورنثوس فى القرن الأول الميلادى ، نسبح ضد التيار . وعلينا أن نميز بوضوح الفكرة مع قوة التصميم إذا كان لابد لنا أن نضئ كأنوار فى هذا العالم المظلم . ولكن دعنا نتأكد بأن وجهة نظرنا تتميز بالصلابة الفكرية ، وليست آراء أصدقائنا الدنيويين الذين يكون دفاعهم الرئيسى بالقول : « إن الجميع يفعلون ذلك » .

إن اختياراتنا بالنسبة لموضوع الجنس تجلب الاحترام أو عدم الاحترام لشركاء حياتنا ولأنفسنا على حد سواء . وهذه الاختيارات تشكل المجتمع بقوة . والمجتمعات التى تمتهن الجسد عن طريق الاتصالات الجنسية المتكررة خارج نطاق الزواج تخلق أمماً لا يشعر فيها الكبار بالأمن وينقصهم إحساس عميق باحترام الذات . إن الكبار الذين لا يشعرون بالأمن لا يستطيعون تكوين علاقات عميقة أساسها الثقة المتبادلة . وحين لا يثق الرجل والمرأة كل منهما فى الآخر فى الفراش ، فلن يثق كل منهما فى الآخر فى المهمة الحاسمة الخاصة بإنشاء عائلات وإنجاب أطفال ينشأون فى ظل والدين متعاونين .

ولهذا السبب ففى كل أجزاء الكتاب المقدس هناك تأكيد قوى على الاحتفاظ بالجنس فى نطاق الزواج . لقد تعلم اليهود من واقع التجربة ، وقد علمهم الله من خلال الأنبياء أن الانحراف الجنسى يدمر المجتمعات . ولذا نجد فى سفر التثنية ٢٢ : ١٣ - ٣٠ عقوبات شديدة على ممارسة الجنس قبل الزواج (يتزوج الرجل المرأة التى اعتدى عليها ، ويقدم غرامة ، ويحرم عليه بشدة أن يطلقها) .

ويقسو العهد الجديد على كل الخطايا الجنسية (الكلمة Pomeia هى كلمة يونانية - تترجم « عهارة ») . وكان الفساد الأخلاقى شائعاً فى مدينتى أفسس وكورنثوس مما أدى لإدانته بصورة مستمرة . لقد كان بولس مهتماً بنوع خاص بتعنيف المؤمنين الذين يمارسون الجنس مع

بغايا المعبد ، ولكن لا داع لأن نخدع أنفسنا بالقول إنه كان يمكن أن يكون أكثر تساهلاً مع ميل جيلنا المتكرر ليصبح « جسداً واحداً » مع العديد من الشركاء فى مرات متعاقبة .

ما هو الحد الذى أقف عنده ؟

ماذا تريدنى أن أقول - إن اللمس صواب بعد الموعد الثانى ؟ وإن الاتصال الجنسى مناسب بعد الخطوبة ؟ أو إن تشابك الأيدى صواب إذا كنت جاداً ، ولكن القبلة الأولى يجب الاحتفاظ بها بعد أن يعلن القسيس أنكما زوج وزوجة ؟ إنى لا أريد أن أقول « هذا حرام وذلك حلال » لأن القوانين وحدها تؤكد فقط سلبية الكوابح الجنسية ويميل الناس لتجاهلها أو الالتفاف حولها . ما أريد أن أفعله أن أعطيك أسباباً إيجابية للكبح الجنسى - طرقاً لمساعدتك لتكرم جسدك وجسد شريك حياتك وإلهك .

إن الفكرة الأساسية وراء السؤال « ما هو الحد الذى يجب أن أتوقف عنده ؟ » خاص بوضع ضوابط على الاتصالات الجنسية قبل الزواج . ولماذا لا نعكس السؤال رأساً على عقب ليصبح هكذا « ما هو الحد الأدنى للتورط الجنسى الضرورى لتنمية هذه العلاقة العاطفية ؟ » ، والإجابة ربما تكون « أقل القليل » لأن هناك العديد من الزيجات الممتازة التى لا يتم فيها أى تورط جنسى قبل الزواج . من الواضح أن هذه الإجابة تسبب الإحباط ، ولكنى أقول إنها أقل إحباطاً من الاندفاع نحو حافة الهاوية ثم التراجع بسرعة ، وهو ما يميز سلوك كل زوجين قد ارتبطا برباط الخطبة فى فترة ما قبل الزواج . وما هو أهم من ذلك أن الاحترام الذى يظهره كل طرف للآخر يزداد زيادة كبيرة مما يطور العلاقة بينهما . وبالاختصار ، فليس من الضرورى أو المرغوب فيه أن يكون هناك أى ملاطفة جنسية قبل الزواج . وعلى الرغم مما يقوله أصدقاؤنا غير المؤمنين ، فكما أننا لسنا مضطرين لممارسة الجنس قبل الزواج ، فلسنا مضطرين أيضاً للملاطفة أو العناق أو استثارة الطرف الآخر . وقبل أن تنتهى من قراءة الجملة الأخيرة ، عندى سؤال لك . إذا كنت خارجاً الآن فى صحبة شخص ما ، أيهما أكثر أهمية - العلاقة أو النشاط الجنسى ؟ أيهما أكثر أهمية ، العلاقة أو النشاط الجنسى ؟ إن التكرار هنا ليس خطأً مطبعياً . إن الهدف

منه أن يثير تفكيرك . لأنه سواء كانت مشكلتك هي التعدى على الحدود القائمة أو سواء كنت أنت مدفوعاً للمساومة على مبادئك ، فإن العلاقة هي التي سوف تعانى . غالباً لأن شريك حياتك سوف يستنكر محاولاتك لاستدراجه للانحدار نحو مبادئك . وحتى إذا لم تشعر بالحيرة والذنب ، فمن المرجح أنه يشعر بذلك . ولذا فلا تكن أنانياً تجاه الشخص الذى تقول إنك تحبه .

وبممارسة الجنس فإنك تقدم رسالة مفادها أنك لست متأكداً إن كانت هذه العلاقة سوف تدوم أم لا ، ولذا فإنك تحصل على ما يمكنك الحصول عليه منها الآن . إننا ننتقل من الاهتمام بما فيه صالح شريك حياتنا (إذا كنا بالفعل كذلك) إلى موقف فيه لسان حالنا يقول :« دعنا نستمتع بالعلاقة مادامت قائمة » . والعلاقة التى يكون فيها طرف (أو الطرفان) أنانياً هى علاقة تسير نحو الهاوية .

إذا أردت لعلاقتك أن تدوم ، فلا تكن غبياً فتضحى بصداقة يمكن أن تقدم سعادة مدى الحياة لأجل نزوة عابرة . إنك بذلك تظهر أنك ضعيف في ضبط النفس والشخصية ، وهى ليست أفضل رسالة تنقلها لشريك حياتك حتى يعتبرك شريك الحياة المناسب .

قرر الآن إن كنت تحب أن تعطى أو تأخذ ، وإن كنت تريد أن تكون الشخص الذى يبنى الآخرين أو يهدمهم لأن كل ما نفعله عند الخروج معاً مع شريك الحياة إما يزيد من احترام شريك حياتنا لنفسه أو يقضى على ذلك الاحترام . هل أنهينا آخر علاقة لنا ونحن نشعر أننا أكثر ثقة بالحياة أم أقل ثقة بها ؟ وماذا بشأن شريك الحياة السابق ؟ إن هناك عاملاً مشتركاً موحداً بين التورط الجنسى وإيذاء المشاعر ، فكلما ازداد تورطنا الجنسى ، زادت حدة خدش مشاعرنا عند الانفصال .

إذا اردت لعلاقتك أن تدوم ، فلا تكن غبياً فتضحى بصداقة يمكن أن تمنح سعادة مدى الحياة مقابل نزوة عابرة .

وإذا لم تكن العلاقة شيئاً تعتقد أنه يؤدى لزواج جيد ، فما الذى تفعله فيها (دع عنك التورط الجنسى) ، فى المقام الأول ؟ اسأل نفسك هل هذه شهوة أم حب ؟ . إنى أذكر أن تعريف

المحبـة يقـول : « إنهـا تصبـر على كل شئ وترفـق ولا تطلب مـا لنفسـهـا ولا تفـرح بالإثم » .وإذا كنت من النوع الذى يتلاعب بالآخرين ويحاول أن يضغط على شريك حياته لممارسة الجنس ، تذكر أنك فى نفس الوقت تودى بنفسك إلى الجحيم . وإذا لم تكن تصدقنى ، حاول أن تقـــرأ مـا جاء فى (١ كو ٦ : ٩) .

ولذا توقف عن عمل أشياء معينـة كالعبث بالأيدى ، فلتتـوقف الآن لأنه فى ظرف ثوان قليلة سوف يفلت منك الزمام . ولتـحاول أن تنشغل بشئ آخر ، فلتتـذكر أنه عليك أن تتـصل بوالدتك وأن تطعم القطة أو تخرج القمامة خارجاً . أو أى شئ يجعلك أن تهرب من الشر .

إن العزاب المؤمنين الذين يعـيشـون حيـاة مقدسـة يعـانون من التعطش للـجنس ، وعـندما نجد أنفسنا فى واحة العـلاقـة نشـعر بإغـراء شـديد لكى ننهل من مـاء الجنس لنطفئ ظمـأنا الجنسى ، ولكننا يجب أن نبـحث عن ضبط النفس ، ويكفى أن نـتذوق الـلمسـة الحـانيـة أثنـاء فـترة الخطوبة لكى نستمتع بالوجبة الرئيسية للجنس بعد الزواج .

أنت تكافح ؟ وكذلك أنا ؟

ولنكن عمليين حقاً . إنك وحدك مع صديقك / صديقتك ، وكلاكما فى مواجهة الآخر . كيف يمكن أن تستمتع بأمسية جميلة دون أن تصبح نـادماً عليها فيما بعد لأنك قد ذهبت إلى أبعد مما كنت تتوقع ؟ . خذها نصيحة منى – لو تعانق رجل وامرأة ، فكما يجرى النهر دائماً إلى أسفل ، سيكون هناك تنازلات دائماً واحداً وراء الآخر . ومهـمـا كـانت نواياك جيـدة ، فـكلمـا طال وقت العناق زاد تورطكما . ولذا فكن حازماً فى قرارك . فلينتهى العناق فوراً ولتفعلا شيئاً آخر . أى شئ ! (إذا لم تجدا أى شئ ممتع آخر تفعلانه بـدلاً من عناق أحدكما للآخر ، فإنى أقـول برفق إن كليكما إما غير ناضجين تماماً أو غير متناغمين بدرجة كبيرة . إن قوة العـلاقة تظهـر فى القدرة على التواصل بينكما بوسائل عديدة ، وما الجانب الجسدى إلا جانب واحد فقط) .

عندما تكونا معاً ، حاولا أن تضعـا حدوداً لعلاقتـكما الجسدية . فإذا قال أحدكمـا .« لا » لشئ ما ، فعلى الآخر أن يحترم ذلك . لا تحـاولا الاندفاع فى ذلك الاتجاه لعدة لحظات أخرى .

إن إضعاف مقاومة شخص آخر ليس من المسيحية فى شئ . ولا تدع الماضى يؤثر على الحاضر . فلو كنت قد تورطت فى شئ غير لائق منذ خمس سنوات مضت أو خمس دقائق فهذا لا يعنى أنك يجب أن تفعل ذلك أو أى شئ مشابه الآن . ربما تكون قد احتقرت ما فعلته وقتئذ ، ولكنه الآن هو وقت لتظهر فيه أنك تهتم بعدم تقديم جسدك لعمل ما لا يليق . إنك عندما ترفض عمل شئ خاطئ فهذا يوضح ثقتك بنفسك واحترامك لها . لا تسمح لنفسك بالاعتقاد بأن السلطة فى يد الشخص الذى يدفعك أكثر نحو الممارسة الجنسية . إن السلطة فى يد الشخص الذى يقول « كفى يعنى كفى » . وإذا كنت على استعداد أن تنهى علاقتك إذا لم يحترم زميلك جسدك كما تفعل أنت ، فإما أن يتوافق معك أو يخرج من حياتك ، فماذا تفعل إذن إذا رفض زميلك بإصرار أن يحترم حدودك المتعلقة بالجنس تخلص منه . فعلى الرغم من أنه كان يبدو ذات مرة مطمع تحقيق أحلامك ، فإنه أصبح الآن كابوساً بالنسبة لك . إن ما يهم أكثر هو سيرك مع الله ، والانغماس فى الأمور الجسدية يفسد كل ذلك .

عشرة وسائل لتسلك بفطنة الليلة :

١ - قرر مقدماً . ما الذى يسعدك أن توضحه لله فى خلوة باكر .

٢ - أخبر صديقاً مؤمناً أنك مجرب وصليا معاً .

٣ - قرر أنك سوف لا تتأثر بعلاقاتك الماضية أو بعلاقات شريكك الماضية .

٤ - قرر عدم تقيدك بأى عبارات مبتذلة مثل هذه العبارة : « لو كنت تحبنى ، فقد كان فى إمكانك أن تظهر ذلك » .

٥ - كن حكيماً تجاه القلاقل فى حياة صديقك ، والتى تدفعه أو تدفعها للتورط غير اللائق.

٦ - لا تصدق أكذوبة أن السلوك الجنسى سوف يجعل صديقك أكثر التزاماً . فالعكس هو الصحيح .

٧ - كن حكيماً إزاء المسكرات .

٨ - كن حذراً تجاه الإجهاد الذى يمكن أن يكون له تأثير على قراراتك .

٩ - لا تذهبا إلى حجرات النوم أو أى مكان آخر حيث تتعرضا للإغراء .

١٠ - لا تبرح المنزل دون أن تأخذ معك احترامك لذاتك ، وتأكد أنك ترجع للمنزل دون أن تكون قد فقدته .

هل الممارسة الجنسية ممكنة مادام كل منا يحب الآخر ؟

ولكنى أسمعكما تقولان : « ولكنك لا تفهم ، فإن كلاً منا يحب الآخر بعمق ، ونريد ممارسة الجنس ، ولكننا لا نستطيع الزواج حتى : (أ) ننتهى من دراساتنا ونحصل على درجاتنا العلمية (ب) نستطيع أن نتحمل نفقات استقبال الضيوف (جـ) نستطيع أن نجمع كل أقاربنا معاً العام القادم لحضور حفل الزفاف . يمكنكما أن تتهمانى بأن مشاعرى جامدة إذا أردتما، ولكنى أعتقد أن ما تقولانه ما هو إلا مبررات لا قيمة لها لارتكاب أعمال منافية للأخلاق . فإذا لم تكن علاقتكما قوية بما فيه الكفاية للزواج الآن ، فلن تكون قوية بما فيه الكفاية لممارسة الجنس الآن . وإذا كنتما أنتما وأصدقاؤكما وراعيكما مقتنعين بلياقتكما كل للآخر ولكنكما تجدان أن ضبط النفس صعب عليكما إذن فلتتزوجا الآن . وليستحسن أن تحتفلا بزواج بسيط غير مكلف هذا العام بدلاً من مظاهر البذخ الأجوف العام القادم . فلا فائدة من التركيز على المظهر الخارجى الكاذب بدلاً من الجوهر الحقيقى .

إذا لم تكن علاقاتكما قوية بما فيه الكفاية للزواج الآن ، فلن تكون قوية بما فيه الكفاية لممارسة الجنس الآن .

« ولكننا فى طريقنا للزواج »

حسناً : إنكما مخطوبان ، وتاريخ الزواج لم يتبق عليه سوى شهور قليلة ، ولكن المفروض ألا تباشرا الجنس الآن . فبالنسبة لشخصين ، يلتزم كل واحد منهما أمام الآخر ، فأن تخبرهما بالابتعاد عن الفراش فهذه عقوبة قاسية وحكم بالسجن تحصيان أيامه حتى تصلا لذلك اليوم السعيد الذى يعلن فيه أنكما زوج وزوجة . فلماذا التباعد بينكما ؟ :

السبب الأول لذلك التباعد أنه يمكن التراجع عن الزواج حتى آخر لحظة ، فما لم تعلنا على الملأ تكريس كل منكما للآخر ، فإن اختياراتكما لا تزال مفتوحة . كنت مرتبطاً برباط الخطوبة ذات مرة ، وإنى مسرور لأننا لم نباشر الجنس معاً - لأسبالب كثيرة وليس لأجل المرأة التى يمكن أن أتزوجها يوماً ما بنوع خاص - لأن الخطوبة لاتزال وقتاً للتقييم . وكل منكما لديه حرية الاختيار لإنهاء العلاقة حتى يأتى الوقت لترددا تعهداتكما . إن مشكلة العلاقات الجنسية قبل الزواج أنها تطغى على قراراتكما . إن الارتباط العاطفى للجنس ، والنشوة التى يحس بها كل منكما تجاه الآخر سوف يعوقكما عن إلقاء النظرة الأخيرة الفاحصة قبل الاندفاع نحو الزواج . ولنلق نظرة على حالة كيفن (Kevin) و إيلين (Eileen) وهما مؤمنان . لقد بدآ بممارسة الجنس قبل زواجهما بمدة طويلة ، وكان كل منهما يحب الآخر ، وكان كل منهما يكرس نفسه لأجل الآخر وتزوجا ، ولكن لأن الجنس قد أعماهما ، لم يدركا أنهما غير متلائمين كل مع الآخر كما كانا يعتقدان قبل الزواج . ثم فى دوامة الحياة المعتادة للزواج تم افتضاح عيوب صداقتهما ، وهما مطلقان الآن . فلتحذر المقامرة .

قد تعتبر أن رغباتك فى ممارسة الجنس تهدف لاختبار الناحية الجنسية من العلاقة قبل اتخاذ القرار النهائى بالزواج ؟ فماذا يحدث ، لو أنكما كخطيبين مارستما الجنس ، واكتشفتما كما يفعل كثيرون ، أنه ليس رائعاً كما توقعتما ؟ هل تخافان وتنفصلان ؟ هناك متسع من الوقت لطلب الاستشارة فيما يتعلق بتحسن الجانب الجنسى من العلاقة بعد زواجكما . ولكن من الحرج أن تذهبا إلى راعيكما قبل زواجكما لتطلبا منه النصيحة بشأن تحسين الجانب الجنسى من علاقتكما !

وسبب آخر يجعل من الاتصالات الجنسية قبل الزواج سبباً فى خلق المشكلات (بعيداً عن عدم الخبرة !) . إن الجنس الناجح يتسم بالصبر ومراعاة مشاعر الآخرين واحترامهم بألا تظهر ممارسة الجنس قبل الزواج لأنه بطبيعتها ، عدم الاستعداد للانتظار ورغبة كل طرف فى الحصول على المتعة بدلاً من رغبة كل منهما فى الآخر . يا أصدقائى ، يستحسن الانتظار عدة شهور أخرى ، قبل الزواج ؟

رسالة إلى زوجة المستقبل

ياأعز صديقة :

إننا لم نلتق بعد ، ولكنى أردت فقط أن أشرح معنى ما يقال فى أثناء خدمة الإكليل عندما أتعهد بأن « أكرمك بجسدى » . إنه يعنى أننى فى هذه الليلة ، ومع الفتاة التى أخرج معها ، سوف أكرمك بألا أجعل يدى تعبث (أو يدها) حيث لا يصح . إن هذا يعنى الاحترام – لك ولها ولى . وهو يعنى أيضاً أنه عندما يرى كل منا الآخر ، سوف أضبط عاطفتى لأجلك ، لأتجنب الإخلال من احترامك لنفسك واحترامك لى .

وأخيراً ، عندما نتزوج ، فهذا يعنى أنى سوف أكرمك بجسدى بأن أتحدث إليك بلغة الجنس ، ولك وحدك .

صديقك

إيان

الفصل التاسع

مواقف شخصية

إن الجنس موضوع شخصى جداً حتى إنه يصعب مناقشة كل ما يهمنا فيه - حتى مع أوثق أصدقائنا . وعلى فرض أن بعض معلوماتنا عن الجنس كانت مستقاة من مصادر لا تحتذى بالنموذج المسيحى ، إلا أن هناك بعض القضايا لم يتم الإفصاح عنها ، ولكنها تشغل تفكيرنا .

وإذ نبدأ بالضغوط التى تواجه أولئك الذين لم يمارسوا الجنس إطلاقاً ، فإنى أرجو أن تقدم لنا الصفحات المقبلة الفائدة المرجوة .

البتولية كمادة للسخرية :

« ما لم تكن قد مارست الجنس فأنت لست رجلاً أو امرأة بمعنى الكلمة . إنك غير مكتمل النمو ولا يحق لك أن تنتمى إلى الجنس الذى تتبعه وغير ناضج من بعض النواحى » .يا له من هراء وسخف ! ولكن هذا ما توحى به الاتجاهات السائدة فى المجتمع . فالذين لم يمارسوا الجنس ينظر إليهم بأنهم ليسوا بالغين مكتملين . وسواء كان مصدر ذلك مجلات المراهقين التى تشجع قراءها على ممارسة الجنس قبل الأوان ، لأن الجميع يفعلون ذلك أو البرامج التليفزيونية ، فهناك ضغط كبير للسير مع التيار ...

إن ممارسة الجنس لا يحتاج لمقدرة كبيرة ، والفعل الجسدى لا يتطلب جهداً جسدياً خارقاً . وعلى أى حال ، فالطيور تفعل ذلك ، والنحل أيضاً ، وحتى القطط والكلاب تفعل ذلك . والبشر لا يمتلكون قوى خارقة لمجرد أدائهم البسيط للفعل الجنسى . ولكن إنسانيتنا وتميزنا عن مملكة الحيوانات ، تظهر فى قدرتنا على كبح شهوانيتنا ، وتحويلها لمسار العلاقات - وليس للتزاوج بكل من هب ودب . إن التزاوج غير القاصر على امرأة واحدة يحط من قيمتنا .

ولكن جيلنا المنحرف قد استطاع تحويل ضبط النفس الخاص بالبتولية إلى رمز للسخرية .

والذين ضبطوا أنفسهم وابتعدوا عن الممارسات الجنسية قبل الزواج ، لا يصح أن يشعروا بالمرارة على ما فاتهم ، لأن الذين انغمسوا يعلمون أن الجنس بدون التزام يعنى الألم . إن طريق الآلام هذا قد سار فيه عدد كبير من الناس .

فالتملق والمسكر والوحدة أو اليأس قد دفع بهم إلى ممارسة الجنس ، وكذلك الوقوع فى الحب والاشتياق أن يأتى الالتزام عقب ممارسة الجنس ، ثم الدموع عندما لا يحدث ذلك . إنه قانون صارم للخليقة بأن الجنس خارج نطاق علاقة طويلة الأمد وملتزمة ، شئ مدمر دائماً .

رياء الرجال

إن مناقشة مثل هذه « الأمانة الجنسية » تأتى بنا إلى موضوع رياء الرجال . « إن الرجال يفعلون ذلك ، فلماذا لا نفعل نحن أيضاً مثلهم ؟ » .تلك كانت الصيحة العالية للنساء فى الستينيات .. إن حبوب منع الحمل قد علمت النساء الجرأة فانطلقن يحاولن اللحاق بالرجال . ولكن هذه الحرية لم تكلف النساء ثمناً باهظاً فقط من الناحية العاطفية ، ولكنها كانت ألعوبة فى يد الرجال الذين ابتهجوا بممارسة الجنس دون قيود ،فليس هناك زواج قسرى هذه الأيام للقول بأنه مادمت قد مارست الجنس معها عليك أن تتزوجها . وإذا أصبحت حاملاً ، فهذه غلطتها لأنها لم تستعمل حبوب منع الحمل . كل ما عليك من مسئولية أن ترسل لها بطاقة من الأمنيات الطيبة بعد الإجهاض . ليس هذا نعيم الجنس ولكنه حرية الدخول إلى الجحيم .

ليس كل الرجال مرائين بلا قلب ، وليس الجميع يتوقعون الزواج من امرأة عفيفة بغض النظر عن تاريخهم الملوث . إن بعض الرجال لا يعتبرون أجساد زوجاتهم ملكاً خاصاً لهم . ولكن هناك حاسة بيولوجية يمكن أن تساعد النساء فى فهم السبب الذى يجعل الرجال حساسين بنوع خاص تجاه « زوجاتهم » بعد أن تكون قد مارست الجنس مع شخص آخر . إن « نظرية الاستفادة من الأبوة » مبنية على الافتراض بأننا جميعاً نرغب فى توريث جيناتنا إلى الجيل التالى . وفى حين أن الرجل ، نظرياً ، يمكنه أن يكون أباً لعدد لا يحصى من الأطفال ، إلا أن المرأة قاصرة على نطاق ضيق من سنوات الخصوبة . وبالنسبة للمرأة فإن الخطر يقوم على أساس أن الرجل يمكن أن

يهجرها بعد أن تلد طفلها . أما الرجل فمصدر الخطر عنده أن المرأة يمكن أن تخدع الرجل بأن توهمه بأن طفلها الذى حبلت به عن طريق رجل آخر واحد من أطفاله . ودون أن نعلق أهمية كبرى على هذه النظرية ، فهى تقدم تفسيراً مقبولاً لغيرة الرجال الجنسية وغيرة النساء العاطفية . « إن مجموعة الدوائر العصبية » التى تطورت فى رؤوسنا تجعل النساء أكثر اهتماماً بالولاء العاطفى لرجالهن ، والرجال أكثر اهتماماً بطهارة زوجاتهن .

إن الطهارة أكبر بكثير من مجرد حالة جسدية . إنها بيان يشتمل على رؤية وإعلان يدل على الشخصية ومثال على الرأى السديد .

صديقى ارتكب الخطية ولكنى لم أرتكبها :

إن خطايا الجسد تسئ إلى الله لأنه يرى إلى أى حد نضر أنفسنا والآخرين بتعدينا على وصاياه وإرشاداته . وفى حين أن المسيحيين يعلمون أن الله يغفر كل خطايانا ، إلا أن خطايا الجسد لها خاصية الاستمرار فى تسميم جو حياتنا بطرق كثيرة من بينها أن تكون هناك علاقة جديدة يكون أحد طرفيها له « تاريخ » والطرف الآخر ليس له تاريخ . والطرف « المذنب » قد حصل على غفران من الله بشأن هذا الموضوع ، ونجد أنه من الصعب عليه أن يفهم السبب الذى يجعل صديقه أو صديقته لا تستطيع أن تصفح عنه . ومن الأمور المحزنة ، أن العلاقات الواعدة يمكن أن تفشل أمام هذه العقبة – علاقات كان يمكن أن تؤدى لزيجات ناجحة . وإذا كان لابد لنا أن يتصالح كل منا مع الآخر ، علينا أن نفهم أولاً فكرة لاهوتية بسيطة .

فى البداية ، علينا أن نعرف أن الله يعفو عن أولئك الذين ينبذون خطايا الجسد « إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج » هذه هى الصورة الرائعة التى يقدمها إشعياء لإيضاح الطريقة الرائعة التى يغفر بها الله خطايانا . هذا هو الغفران الحاسم الذى يمكننا من التصالح مع خالقنا . وهناك شئ آخر ، فهناك فرق بين أولئك الذين عرفوا أن خطية الجسد خاطئة ولا يزالون منغمسين فيها ، وأولئك الذين مارسوا خطية العصر بجهل واعتبروا الاتصال الجنسى شيئاً عابراً . ولكن حتى على الرغم من أننا فعلنا ذلك بجهل ، وعلى الرغم من أننا نثق أننا نقف الآن أمام الله

متسربلين بثوب البر فى يسوع (الطريقة الوحيدة التى تمكن أى واحد من الوقوف أمام الله) ، إلا أننا بالرغم من ذلك علينا أن نواجه عواقب أعمالنا . إن التوبة تفتح أمامنا طريق إنشاء علاقة مع خالقنا ، وتنهانا عن إحداث المزيد من الإتلاف لخليقته . إنها تعطينا الفرصة لإعادة البناء ، ولكنها لا تصلح فوراً كل ما أفسدناه .

الصليب والماضى

في هذا المساء ، وأنا فى الكنيسة فعلت شيئاً نادراً ما أعمله . جلست فى الصف الأمامى ، وبحركة مفاجئة انتقلت إلى منتصف الكنيسة (عادة فى مكان غير معين خلف العمود فى الصف الرابع عشر حتى لا يرانى الواعظ وأنا أملأ يوميات الأسبوع القادم خلال العظة) . على أي حال ، فبعد انتهاء العظة تم إحضار صليب خشبى كبير إلى وسط المنبر ، أمامى مباشرة . وخلال النصف ساعة التالية ، كنت أنظر إلى ذلك الشئ الذى كان يبلغ ١٢ قدماً فى الارتفاع . إنى أعتقد أننى كنت « المقصود » لأنى كنت مدركاً لبعض الخطايا الماضية . كيف كنت طائشاً إلى هذا الحد ؟ وبعد كل هذه السنوات ، كنت مسيحياً بالاسم . كيف كنت غبياً إلى هذا الحد ؟ كان قلبى مليئاً بالألم والغضب لحالتى . كيف يسامحنى الله ؟ نعم ، كانت الإجابة تطل علىَّ من فوق المنبر . وحيث أنه بالفكر والقول والعمل كلنا نخطئ بالجسد - بطريقة أو بأخرى - فهذه الصلاة لك ولى أيضاً .

صلاة :

يا أبانا ، فلتغفر لنا حماقتنا . سامحنا من أجل الألم الذى سببناه لك ، وللآخرين ولأنفسنا . إن كل طرقك كاملة ، ومع ذلك فقد عوَّجنا المستقيم وأفسدنا خليقتك . ساعدنا حتى نفهم مقدار الحزن الذى سبَّبته خطيتنا ضدك ، حتى لا نكون أغبياء مرة أخرى . إننا مسئولون عن خطايانا . ومع ذلك فعندما نرى مقدار ما فعلناه ، ساعدنا لنتطلع إلى الصليب الذى يعلو فوقنا ، ولنرى أن محبته أعظم بكثير من خطايانا . ساعدنا لكى نترك خطيتنا هناك ، ولا نتحملها كل يوم . إن يسوع قد مات ليعطينا بداية جديدة ، ولذا ساعدنا أيها الآب لنكرم ذبيحته بترك الماضى خلف

ظهورنا ، ولندرك أنه حيث أنه قد غُفر لنا كثيراً ، فعلينا أن نحبك كثيراً في المقابل . آمين .

الأسباب التي تجعلنا نبقى طاهرين :

في مجتمعنا الفاسد اليوم ، علينا أن نكون أكثر من متحمسين لنبقى طاهرين . إن الشخص الذي يحيا حياة التبتُّل قد برر إنكاره لشهواته عدة مرات على عدة أسس . هناك العوامل الجسدية – تجنُّب شراك حدوث حمل غير مرغوب فيه والتعرض لأمراض جنسية وخيمة العواقب – وهناك الأسباب النفسية ، فالاتصال الجنسي وهو أكثر العلاقات ألفة ومودة مخصص لأكثر العلاقات التزاماً . والطاهرون يقنعون أنفسهم بحق ، أن ممارسة الجنس مع أكثر من شخص يحط من شأن الجنس ويقضي على احترام الذات بالنسبة للمنغمسين فيه . ثم هناك التقييم الفكري : فالشخص الذي لا يحفظ نفسه طاهراً حتى الزواج يكون أكثر احتمالاً أن يرتكب خطية الزنى من الشخص المنضبط جنسياً . وهناك أيضاً الخوف ، عن وعي أو دون وعي ، أن غير المتبتل يمكنه أن يقارن الأداء الجنسي لشريك الزواج بأداء العشاق السابقين . وبالنسبة للزوج الذي له ماضٍ ، فإن ذكريات العلاقات الجنسية السابقة يمكن أن تلقي بظلالها على العلاقة الزوجية . بالإضافة لذلك هناك الحافز الروحي النابع من الكتاب المقدس الذي يتحدث عن العلاقة الجنسية التي تجعلنا « جسداً واحداً » ، والمسيحي المتبتِّل لديه العديد من الأسباب المنيعة الواقية التي تجعله يعتقد أن الجنس خارج إطار الزواج يجب تجنبه بأي ثمن . ولذا فإن ظهر شخص ما في حياة ذلك الشخص ولم يكن ملتزماً بالقواعد ، فإن القيم الماضية لذلك الشخص ونمط حياته السابقة تجعله يسخر من انضباط صديقه المتبتِّل .

ولذلك هناك مبررات لعدم الثقة التي يزحف على عقل ذاك الذي سلك مسلك الطهارة في حين أن شريك حياته له ماضٍ . هل عنده مرض الزهري أو مرض نقص المناعة (الإيدز) ؟ لماذا أكون منضبطاً أثناء فترة الخطوبة في حين أنها قد سلمت نفسها لآخرين في الماضي ؟ هل هناك شئ ما في شخصيته سوف تجعله يندفع للاتصال بنساء أخريات عندما أكون حاملاً ؟ هل لا نزال « جسداً واحداً » مع الشبان الذين عاشرتهم ؟. كل فكرة من هذه الأفكار تحتاج للتعامل معها ،

سواء بالنسبة للزوجين معاً أو مع الراعى . ويمكن بناء جسور الثقة عندما يحصل الطرفان على وقت كافٍ في محاولة أن يفهم كل منهما الآخر .

وعندما يلتقى شخصان لم تكن لهما علاقات جنسية سابقة ، فإن سلوكهما المنضبط سابقاً يتيح قدراً كبيراً من الاحترام المتبادل والثقة تجاه كل منهما نحو الآخر . ولكن هذا الجدار الصلب من الثقة يصاب بالتلف فى كل مرة يباشر فيها أحد الطرفين الجنس خارج إطار الزواج . وحتى عندما تحصل على الغفران الكامل أمام الله ، فإن جدار الثقة لا يزال بحاجة لإعادة البناء . وما الذى يبنيه ؟ إن كل شهر وكل سنة تظل فيهما أميناً دون ارتكاب خطايا الجسد ، فإن هذه الأمانة تظهر لشريك حياتك فى المستقبل استقامتك والتزامك نحوه .

إن إعادة البناء هذا يتطلب وقتاً وصبراً . وما يضر هؤلاء المتبتلين أن يستغلوا نقاءهم الأخلاقى فى تبرير قراراتهم التى تتسم بالبر الذاتى . ودون تواضع لإدراك أن الفشل الأخلاقى يمكن أن يكون بسهولة اختباراً لهم ، فإنهم يجازفون بأن يصبحوا فريسيين . والفريسيون أناس غير جذابين .

الغفران والثقة :

ما أحاول أن أفعله أن أحدد الفارق بين الغفران والثقة . عندما يأتى شخص إلى الصليب ويبدأ فى فهم المعنى الكامل لآلام يسوع ، فإنه لا يرى خطاياه لوحده أو خطايا شريك حياته بعيدة عن متناول غفران الله . ليس لإنسان الحق فى إدانة أولئك الذين غفر لهم الله ، لأن ذلك يعنى تحدى سلطة السماء .

ولكن الثقة هى اختيار . وسواء كانت خطية زوجة أو نظام حياة ملوث لصديق سابق ، فإننا مضطرون أن نغفر كما غفر لنا الله . هذه هى وصيته الإلهية التى تحررنا من المرارة . ولكن ليس هناك من يجبرنا على أن نثق مرة أخرى . فى الغالب تكون الثقة لصالحنا ، ولكن علينا أن نختار .

صراع خاص :

ولنترك الآن صراعاتنا مع الآخرين لنلقى نظرة على صراعاتنا مع أنفسنا ، وبنوع خاص على موضوع يسبب للمؤمنين قدراً كبيراً من القلق ، ولكن لا يصح أن يُذكر فى حفل شاى أقامه أحد القساوسة (هذا ما لم تكن تريد أن تجعل وجوه الجميع تحمر خجلاً وتجعل الخادم يشعر بالضيق الشديد) .إنى أتحدث بالطبع عن موضوع شديد الحساسية ألا وهو الاستمناء (العادة السرية).

عندما يعفو عنك الراعى لأنك تسببت فى وقوع أكواب الشاى من أيدى الأفراد الذين يحضرون الحفل بسبب الصدمة ، فربما لن تحصل على نصيحة مفيدة فى هذا الصدد . قد تحصل على إشارة غامضة من سفر التكوين عن الخطايا المنسوبة لشخص يدعى أونان ، وإذا كنت سيئ الحظ ، فقد تسمع نصيحة عن « قلع عينك »! المشكلة إن الذين كتبوا الكتاب المقدس لم يزعجهم موضوع الاستمناء . ولم يكونوا بحاجة لذلك - فقد كانوا جميعهم متزوجين قبل العشرين . ولذا فعلماء الكتاب المقدس الذين يحاولون أن يكونوا قساة تجاه الاستمناء يتخبطون فى الظلام .

قد تقول إذا لم يكن الكتاب المقدس مليئاً بالإدانات التى تدين الاستمناء ، إذن فلابد أنه شئ لا غبار عليه . تمهل قليلاً ولا تتسرع ! إنى أعتقد أن أكبر مشكلة بالنسبة للاستمناء هى مقدار قلقنا بشأنه (والقلق شئ يحاربه الكتاب المقدس) . فمتاعب الشعور بالذنب التى يتحملها البعض لابد أنها تجعل الشيطان نفسه يسخر منهم . لقد صادفت شباناً توقفوا عن الذهاب إلى الكنيسة لأنهم كانوا يشعرون بالذنب تجاه هذه العادة . لنكن صرحاء . فلو أننا نشعر بالوحدة والتعب والاكتئاب أو بالإحباط الجنسى ، فمعظمنا يمكن أن يمارس هذه العادة . والنساء أيضاً كالرجال . لقد أظهر تقرير حديث بين المتدينين الأمريكيين أن من يمارسون هذه العادة تصل نسبتهم إلى ٧٥٪ . ولذا فلو أن كل من مارس هذه العادة لم يذهب إلى الكنيسة ، لقلّ عدد الحاضرين بنسبة كبيرة .

علينا أن نتعرف على الفارق بين « الإدانة » - حيث نشعر بعدم جدارتنا أمام الله وأمام

زملائنا المؤمنين - وبين « التبكيت » الذى يأتى من الروح القدس . والأخير خاص وعملى . وهدفه إرجاعنا فوراً إلى علاقة مع الله ، مع التصميم بتجنب الخطية فى المستقبل . ولذا فمن فضلك أرجو ألا يختلط الأمر عليك فى هذا الموضوع لدرجة أنه يضعف من علاقتك مع الله .

ولنكن واقعيين ، ماذا بشأن الشهوة الجنسية - التوتر الذى ينشأ ويتطلب مخرجاً ؟ إن هذا صعب بالنسبة للمتدين الأعزب لمدة طويلة ، وصعب جداً بالنسبة للمتجدد الحديث الذى أنهى علاقة جنسية لتوه . ولكن من الأفضل أن يضبط الشخص نفسه من الاستنماء لكى لا يدمر نفسه جسمياً ونفسياً وروحياً . ولكن ليكن هدفك النهائى أن تصبح بالتدريج أكثر سيطرة على جسدك . وإذا كنت مدمناً للاستمناء - أى إذا لم تستطع أن تتوقف عنه لمدة أسبوع - إذن فأنت فى الواقع غير قادر على السيطرة على جسدك . تعلم السيطرة على دوافعك الجنسية الآن وسوف تتعلم أن تصبح عاشقاً أفضل عندما تتزوج ، لأن الحب كشئ متعارض مع الحديث عن الحب ، له صلة بالصبر والاهتمام . وفى أحيان كثيرة تكون أحلام اليقظة الجنسية عندنا متعلقة بالحصول على إشباع شهواتنا فقط دون تركيز على ما يرضى شريك حياتنا يوماً ما . دعنا نحذّر مما يمكن أن يؤدى إليه الاستمناء فى جو من الأنانية ، فنحن لا يجب أن ننكر أننا خلقنا كائنات جنسية ، لأن هذا يعنى الكبت . ولكننا بنفس القدر لا يصح أن ندعم الأنماط الفكرية الجنسية الأنانية التى تضرنا عند الزواج .

ما أريد أن أنهى به حديثى عن الاستمناء أنه مضيعة للوقت . فهناك آلاف الأشياء المختلفة التى يمكن أن تعملها بدلاً من النوم فى الفراش للاستمناء ، كأن تقرر أن تتصل برقم تليفون شخص من الجنس الآخر لتطلب تحديد موعد للخروج معه . إن هذا تركيز على شئ واقعى - محاولة تكوين صداقة حقيقية بدلاً من تخيل صداقات ذهنية ، وأكثر إشباعاً . وماذا عن الله ؟ عندما تكون فى لحظة من الوحدة والإحباط الجنسى حيث يمكن أن تندفع لممارسة العادة السرية ، لماذا لا تفكر فى خالقك وتتحدث إليه عندما تكون فى أشد الاحتياج إليه ؟ ناقش مع الله نوع الشريك الذى تريده ، واطلب منه أن يستجيب طلبتك بسرعة !

وأخيراً إذا كان الراعي يشعر بالضيق بسبب إثارة هذا الموضوع ، اسأله هذا السؤال : كم مرة مارست هذه العادة قبل زواجك .

إذا كانت النظرات تقتل :

إذا لم تكن العادة السرية موضوعاً يصلح لحفل شاى راعى الكنيسة ، حاول أن تخبره أنك تعانى من مشكلة بالنسبة للصور الإباحية ، لتجد أن الطعام انحشر فى بلعومه وكاد يختنق . وفى هذه المرة أنا أتعاطف مع راعى الكنيسة . أقصد ، أنه ليس مسراً لله أن يتطلع من السماء ليرى واحداً من أبنائه يتصبب عرقاً أمام صورة (وفى العادة فإن الشبان هم الذين يفعلون ذلك لأن عدداً قليلاً جداً من الشابات يعانين من الفن الإباحى) . وكالاستمناء ، فإن إدمان الفن الإباحى يقترن بالإحباط الجنسى . ولكن على الرغم من أن الاستمناء أحياناً يضع قيوداً على عقول الناس تمثل الأنماط الفكرية الشهوانية ، إلا أن االفن الإباحى يسبب إدماناً أكبر . وكأى عقار مخدر ، فكلما أدمنته ، زاد احتياجك له ، وازدادت الصور فساداً ، وهكذا فإن ذلك يزيد من القيود التى تكبلك . بالنسبة للاستمناء فالنصيحة هى « كلما أقللت كان أفضل » ، ولكن بالنسبة للفن الإباحى « فالتوقف التام » هو الحل الوحيد . ومع أنه بالنسبة لمعظم الناس الذين كبلهم الفن أو الأدب الإباحى فإن المستقبل يبدو شاحباً ، إلا أننا كأبناء لله الحى فإن لدينا أسلحة الصلاة القاطعة . ولذا فعندما تشعر بالضجر من موقفك الذى يدعو لذلك ، عد إلى راعى كنيستك واعتذر له عن مضايقتك إياه بشأن الاستمناء واطلب منه أن يصلى لك لكى تنال الحرية التى يهبها لك الله وهى هدفه لجميع أبنائه . قد يتطلب الأمر عدة جلسات قليلة حتى تتحرر حقاً ، ولكن إذا واصلت التطلع للصور الإباحية ، فأنت مندفع بلا شك نحو دمار روحى . إن الاعتراف هو المفتاح ، فاحرق كل القيود واهرب من كل تجربة .

إن تمسكك للفن الإباحى سوف يثير كل إحساس بالذنب والعار والاشمئزاز الذاتى إذ أنك لن تكف عن النظر إلى الجنس الآخر بعيون دنسة ، وإما تجد نفسك وأنت راغب فى صداقة غير لائقة أو خائفاً من كل الصداقات .

إن الاستغراق فى أحلام اليقظة الجنسية أيضاً يقضى على شهر العسل ، لأنك سواء كنت تستغرق فى هذه الأحلام بشأن صديقتك عن طريق الفن الإباحى أو الاستمناء ، فإن الصور الذهنية سوف لا تكون متفقة مع شريك الحياة وواقع الحال .

شاذ جنسيا ولكنه ليس مرحاً :

إن هذا الفصل لم يخجل من التعامل مع أصعب الموضوعات فى الأمور الجنسية . ولكن بالرغم من صعوبة هذه الموضوعات ، إلا أن صدمة جنسية أكبر تواجه أولئك الذين يصارعون بحثاً عن توجههم الجنسى . فبين المسيحيين المتشددين هناك من يؤمنون أن كل الشواذ جنسياً سوف يذهبون إلى الجحيم .

إن العلماء يقولون إنه على الرغم من أن الدليل على ما يسبب الميول الجنسية الشاذة ليس متكاملاً ، إلا أن محاولات جادة تبذل لفهم الموضوع لأنه إذا أثبتت دراسة الجينات أن الشذوذ الجنسى يورث أساساً ، يكون من الصعب أن نقول إن الشذوذ الجنسى ليس عادياً من الناحية البيولوجية على الأقل . وتوحى الدراسات العلمية لغدد الهيبوثلاموس المكبرة والتوائم المتماثلة وبعض الجينات المسئولة عن ذلك (X 9 28) أن الشذوذ الجنسى له أصول جينية . ولكن الدليل يشير إلى أن الجينات تساهم فى وجود ميل عند بعض الناس للتجاذب نحو جنسهم . إنها تسهم فى حدوث ميل ، ولكنها لا تجبر أحداً . إن الجينات لا تحدد التوجه الجنسى لأحد ما - ولذلك فالاختيار لا يزال موجوداً ، ومن ثم عدم انتفاء مسئولية الفرد .

وبالإضافة لتأثير الجينات هناك الجانب السيكلوجى . إن طفولتنا لها تأثير قوى على توجهنا الجنسى .فالعينات المشتركة عند الشواذ جنسياً تتضمن وجود أمهات مسيطرات وآباء غائبين أو وقوع الاعتداء الجنسى من قبل فرد فى العائلة أو أحد الجيران .

فلو أن المراهق لديه خلفية جينية أو سيكلوجية تجعله غير متأكد من توجهه الجنسى ، فإن هذا الغموض بشأن التوجه الجنسى يلتقطه فى الغالب بعض الشواذ من الكبار ، فلو حدثت علاقة جنسية غير شرعية نتيجة لذلك ، فإن هذا الميل المبدئى يتدعم عن طريق التجربة الجنسية . إن

تجاربنا الجنسية الأولى تنطبع بعمق على عقولنا .

ولكن بغض النظر عن مجموعة التأثيرات المختلفة التى قادت الرجل أو المرأة لكراهية الجنس الآخر ، فكيف يمكنهما أن يعيشا إذا كان لديهما هذا التوجه ؟ خاصة إذا كانا يحبان الله ، الذى كما يقول الكتاب المقدس ، جعل النشاط الجنسى قاصراً فقط على العلاقة بين الرجل والمرأة ؟ إنى متفق مع أولئك الذين يقولون إن الله لم يخلقنا لكى نكون شواذاً جنسياً من حيث تكويننا الجسمى . وهناك حجج قوية تقول إن عدم انقراض الجنس البشرى والاستقرار الاجتماعى لا يحدث بتزاوج عدد كبير من الرجال من بعضهم البعض ، وهو فى غير صالح النساء اللاتى ينجذبن للجنس الآخر .

كيف لا نعالج الشواذ جنسياً

خذ إد (Ed) كمثل (ليس اسمه الحقيقى ، ولكنكم تعرفون السبب الذى جعلنى أغيره) . لقد كبر فى بيت إنجيلى فى إنجلترا وأصبح متحمساً لعقيدته . وعندما كان إد مراهقاً ، شعر بأنه غير متأكد من توجهه الجنسى ، ولكنه لم يعلن شكوكه لوالديه ولإخوته أو أصدقائه . وفى الجامعة نشطت ميوله الشاذة جنسياً ، ولكنها كانت لا تزال مخفية عن عيون أولئك الذين كانوا يعرفونه جيد المعرفة ، ولكن فيما بعد ذلك فى أوائل العشرينات من عمره ، أدت ظروف غريبة لاكتشاف اثنين من أعز أصدقائه أنه شاذ جنسياً . ولأسباب ليست واضحة حتى الآن ، شعرا أنهما مضطران للكتابة لوالدىّ إد يخبرانهما عن شذوذ ابنهما . وكان من نتيجة فقدان الثقة فيه، أن شعر والداه بحزن شديد – وشعرت والدته بشئ من الذهول فكانت تلوم نفسها لشذوذ ابنها ، وترك إد الكنيسة الإنجيلية التى كان يحضرها ، إلا أنه ظل لعدد من السنوات يذهب إلى كنيسة أخرى . وهو لا يذهب إلى أى كنائس الآن ، على الرغم من أنه لا يزال متمسكاً بعقيدته ويحب الله ، وليس له صديق ، ويتحدث عن مخاوفه من أن يكبر فى السن « دون أن يكون معه أحد ليرعاه » .

دعنى أكون صريحاً . إذا كان هناك رجل مؤمن وشاذ جنسياً ، فهو أخى فى المسيح أولاً

وشاذ جنسيـاً ثانياً . وهذا لا يعنى أنى أوافق على ممارساته الشـاذة - إنى أرى ذلك نوعـاً من المآزق - ولكنه لا يزال أخى . إن اهتمامى منصبّ على كيفية جذبه ليكون أكثر قرباً من الله برغم وضعه الحالى . فلو كـان هناك شخص مثـل هذا مسلوب الإرادة وفى صراع بين عقيدته وميوله الجنسية الشاذة ، أتوسل إليـه ألا يفقد الأمل فى أن يعرف إله كـل رحمة بصورة أفضل . وأحثه على الالتجاء إلى واحد من أحكم وأفضل المسـتشـارين المؤمنين الروحيين ، إلى شخص يمكن أن تثق به ليحترم أسرارك الخاصة أثناء بحث مشكلتك .

هناك بعض النقاط العامة القليلة الأخرى . أولاً ، إن دوافعنا الجنسية ليست أهم جانب فى حياتنا . فالذين ينجذبون إلى الجنس الآخر أو ينجذبون إلى جنسـهم ليسوا بحاجة أن يعيشوا لأعضائهم التناسلية فقط وكأنها كل شئ فى حياتهم . صحيح إن دوافعنا الجنسية نحو نفس الجنس قد تكون قوية ولكن دوافعى الجنسية نحو الجنس الآخر قوية بالمثل . وعلى مدى عشرين سنة من إدراكى العميق لذلك الدافع الجنسى ، كنت منضبطاً جنسياً . إن التبتل صعب ، ولكن الانحراف الجنسى فى المقابل ليس شيئاً جديراً بالاهتمام .

وأخيراً فإن الله أقوى بكثير من مشكلاتنا ، وأكثر اعتناء من أعظم حبيب لدينا ، ويهمه أن نحيا حياة ناضجة ومشبعة . ولذا سلم حياتك له واطلب منه أن يجعلك مرضياً له . وهذا ينطبق أيضاً على الشواذ جنسياً من رجال ونساء .

لم أستطع أن أخبر أى شخص آخر بهذا من قبل

إن القائمة السابقة بالانحرافات الجنسية التى انخرط فيها بعض المسيحيين لم تكن عبثاً أريد أن أتنصل منه . ومن المرعب حقاً أن عدداً كبيراً من المتدينين وأكثر مما تظن قد أصبحوا عبيداً لممارسات جنسية شاذة كالسادية والماسوشية . والله يعلم كل هذه القائمة الطويلة من الانحرافات الجنسية ، وهو وحده يعلم حتى متى يظل الناس فى عماهم الروحى المؤدى بهم إلى الانحطاط والعار ، معزولين ، يشعرون وكأنهم وقعوا فى شراك لا أمل يرجى من الفكاك منها .

ولو بحثت جيداً بما فيه الكفاية لوجدت أن هناك مستشارين مسيحيين لن يصدموا لمواجهة

هذه الحالات الشاذة . وقد اقتادوا الكثيرين للحرية بوضع أثقالهم عند الصليب . وكلما ازداد الشر فإن محبة الله وغفرانه عن طريق موت يسوع فيهما الكفاية . مهما كان ثقل خطيتك الجنسية ، فإن يسوع يستطيع أن يحملها نيابة عنك . ولذا فعليك بإخضاع كل شئ له وهو يرفع عنك أعباءك النفسية والعقلية . وبمرور الوقت فإنه يستطيع وسوف يساعدك فى تحطيم تلك الأنماط السلوكية التى تكبلك .

الفصل العاشر

التخلي عن عالم الخيال

قضى شباب كنيستنا الليلة وهم ينامون فى منتزه القديس يعقوب فى وسط لندن . واستيقظنا مبكراً لنضمن أن نحصل على رؤية جيدة . وبعد عدة ساعات طويلة من الانتظار ، رأينا لعدة ثوان قصيرة ما كنا ننتظره : عربة مطلية بالذهب تحمل الليدى ديانا إلى كاتدرائية القديس بولس . لقد وجد الأمير عروسه الأميرة . وفي احتفال ألهب خيال الطفولة ، واستمدت منه هوليوود أفلام الرومانسية ، صارا زوجاً وزوجة . كان من الواضح أن الهدف قد تحقق . فسوف يعيشان معاً فى سعادة غامرة . ولكن فى العصر الذى نعيش فيه ، والذى لا يستطيع فيه أحد التأكد من شئ ، لم تستغرب ما حدث .

كيف تحطمت الأسطورة ! إن قصة الخيانة والمرارة قد تركت المرأة الأكثر شهرة فى العالم محطمة نفسياً ، وملك المستقبل أصبح هدفاً للاحتقار . وتحولت الأحلام بشأن السعادة الزوجية إلى كابوس مخيف . فلماذا ندخل جحيم زواج مخيف عندما يكون فى إمكانك أن تظل عازباً بدلاً من ذلك ؟ وبالاختصار فإن الزواج متروك للسذج .

ونحن نخلط كثيراً بين الوهم والتشاؤم ، لأن كليهما مؤسسان على تفكير ضحل ، فوجهة نظر تقول إن الزواج مقرر له النجاح ، والأخرى تقول إنه معرض للفشل . وكلاهما لا يشجعاننا على التفكير بحذر بشأن اختيارنا لشريك الحياة . ولا يشجعاننا على استغلال العمل الشاق والالتزام الضروريين لكى ينجح الزواج . وإذا لم نكن على استعداد أن نبذل الجهد لنكون واقعيين ، فإننا سوف نتأرجح بين الوهم والتشاؤم - نريد أن نصدق القصص الخيالية ، ولكننا نشعر بالإحباط فى كل مرة نرى فيها زواجاً يفشل .

أما بشأن التفكير الضحل ، فإن المؤمنين يبدو أنهم قد تخصصوا فى الأوهام والخدع . فى هذا الفصل فإنى أهدف إلى عرض لبعض هذه الخدع .. لكى أسلط عليها الضوء .

خدعة رقم { ١ } : « الوقوع فى الحب يبين أنى تقابلت مع الشخص المناسب »

السنة ١٩٩٠ ، وأنا أعيش في سويسرا واسمها ماريكا ، وهى تقية ، وتحضّر للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة محلية ، وهي جميلة جداً ، وما هو أكثر من ذلك ، أن صديقاً لكلينا قد أخبرنى أن ماريكا تحبنى . وفجأة أصبح العالم مكاناً رائعاً . فالمرأة التى قسمها الله أوشكت على الدخول إلى حياتى .

وانتهت سنوات الانتظار ، وأصبح المستقبل مضموناً . يا للنشوة ! ولكن صديقى ارتكب خطأ ، وتخبرنى ماريكا أنها مغرمة برجل في بلدها جنوب أفريقيا . يا للصدمة ! لقد تجمعت السحب الداكنة فوق رأسى ، وتلاطمت أمواج الانفعالات داخلى . فمهما تحدث معى معزو أيوب فلن يستطيعوا تهدئتى أو تطييب خواطرى .

وبعد أن انتهت التجربة المتعبة للوقوع فى الحب ، اتضحت عدة حقائق . **أولاً** ، فعلى الرغم أن تجربة الوقوع فى الحب قد جعلتنى أشعر أن ماريكا وأنا قد قسم كل منا للآخر إلى الأبد ، فإننا لم نكن متوافقين حقاً . لقد كانت بيئتها الثقافية مختلفة عنى ، ولم تتفق فى الشخصية والاهتمامات أيضاً . **ثانياً** ، فى حين أن عواطفى نحو ماريكا كانت عميقة ، إلا أنها لم تكن فى الواقع سوى نوع من الأنانية التى تتخفى فى رداء من الحب . كان كل ما يهمنى هو ما تعنيه ماريكا بالنسبة لى ، وليس كيفية العناية بها وخدمتها . إن الافتتان ليس تعبيراً دافئاً كالوقوع فى الحب ، ولكن هذا هو اللفظ الصحيح .

ولكنى كنت محظوظاً . فعلى الرغم من أنى أستطيع الآن أن أسخر من ذكرى تلك الأيام المجنونة فى الصيف ، إلا أن عدداً كبيراً من المسيحيين عقب الوقوع فى الحب يتعرضون لمأساة تفادى الزواج من شخص اكتشفوا أنهم لم يكونوا فى توافق معه .

ويحدث ذلك بمنتهى السهولة : يذهب كل من آرثر وأبيجايل إلى حفل تيرى . يعتقد آرثر أن أبيجايل مثيرة جنسياً ، وينظر إليها طوال الأمسية وأبيجايل (التى لكونها امرأة ، كانت أكثر اهتماماً بتقييم الناس فى الحفل) قد توصلت إلى الاستنتاج بأن آرثر يبدو لطيفاً . ولذا فعندما

طلب منها آرثر أن ترقص فإنها لا تقول له لا ، فبعد قبلة سريعة وعناق يأخذ مؤشر ترمومتر الحب في الارتفاع . ويعمل الجسد والافتتان العاطفي عملهما في سرعة شعور آرثر وأبيجايل أنهما مرتبطان كل بالآخر . ويبرران علاقتهما أمام نفسيهما وأمام الآخرين بالقول إنهما قد وقعا في الحب . وبعد مرور بعض الوقت ، عندما يخمد الافتتان ، يبدآن في تقييم مقدار ملائمة كل منهما للآخر . ولكن ربما يكون الوقت قد تأخر كثيراً . الشئ الوحيد الذى يجمع بين آرثر وأبيجايل أنهما قد اكتشفا في البداية الجاذبية الجسمية لكل منهما تجاه الآخر. والحقيقة الأليمة ، أنه كما في المجتمع الخارجي ، فإن العلاقات في الكنيسة مؤسسة غالباً على جاذبية ، مبدئية ضحلة .

وأولئك الذين يتجنبون الزواج من أشخاص لا يشعرون أنهم في وفاق معهم مازال يمكنهم أن يخافوا من أوهام الوقوع في الحب . وقد أظهر التقرير « السلوك الجنسي في بريطانيا » أن ٤٠٪ من الفتيات اللواتي مارسن الجنس في سن أقل من ١٦ سنة قلن إنهن كن واقعات في الحب في ذلك الوقت . وقدم ٦٪ فقط من الشبان نفس السبب .

هناك فارق هائل بين تجربة الوقوع في الحب على أساس يقوم على الأنانية وتجربة الوقوع في الحب الأخرى القائمة على الحب الملتزم ، والذى يعمل على تماسك العلاقات بشدة .

إنها هرطقة رومانسية أن نقول ذلك ، ولكن هذا الشعور المجيد المعروف باسم الوقوع في الحب ليس دليلاً على التناغم بين الزوجين .فيمكننا أن نقع في الحب مع أكثر الأشخاص عدم ملاءمة . هناك فارق هائل بين تجربة الوقوع في الحب على أساس يقوم على الأنانية ، وتجربة الوقوع في الحب الأخرى القائمة على الحب الملتزم والذى يعمل على تماسك العلاقات بشدة .

فإذا كان الوقوع في الحب يمكن أن يقود إلى كل هذا الألم ، فما الذى يسبب ذلك ؟ في كتابه الكلاسيكي « الطريق التي لا يسافر فيها كثيرون » ، يصف الطبيب النفسي الأمريكي سكوت بيك (M.Scott Peck) الوقوع في الحب كخدعة سيكلوجية من الطبيعة الأم ، الهدف منها أن تجعلنا نتزوج . « إنها تؤدى عملها بكفاءة لكي تدخلنا في قفص الزواج ». وهو يقول

« إن تجربة الوقوع فى الحب لها فى الغالب خاصية الخداع بأن التجربة سوف تدوم إلى الأبد » .

إن الطبيعة الأم لا يهمها إن كنا وجدنا صديقاً ملائماً يظل معنا مدى الحياة أم لا - إنها تهتم فقط بتشجيعنا على ممارسة الجنس وإعطاء جيناتنا للجيل التالى . والوقوع فى الحب ظاهرة مؤقتة فقط ، ولو أدى ذلك لإعطائنا المزيد من التشجيع للانغماس فى علاقة جنسية غير حكيمة. ويعتبر سكوت بيك أن الإحساس اللذيذ للوقوع فى الحب ليس طوراً عابراً فقط ، ولكنه أيضاً عودة لمرحلة الطفولة حيث يدور العالم كله حولنا . إنه يقنعنا أننا والحبيب الذى نحبه شئ واحد ، وأننا لن نشعر بالوحدة مرة أخرى فى هذا العالم العدائى . ولسوء الحظ ، فإننا نستيقظ لنجد أن الطرف الآخر لا يفعل كما نريده بالضبط وأنه شخصية مختلفة . وهكذا فإننا « نهجر الحب » .

يؤكد بعض الأزواج الذين تزوجوا لعشرات السنين أنهم يحبون بعضهم البعض طوال مدة زواجهم ، ولكن ما هذا إلا مجرد كلمات . إنهم لا يقولون إنهم قد مروا بطور جفاف العاطفة والوقوع فى الحب كل هذا الوقت ، بل يقولون إنهم كانوا دائماً ملتزمين نحو بعضهم البعض ، وسعداء أحدهم بالآخر.

إن الوقوع فى الحب تقليد للحب الحقيقى ، ولكنه فى الحقيقة عكس الحب الحقيقى تقريباً . وبينما الحب الحقيقى اختيار ، فالوقوع فى الحب افتتان لا إرادى . وبالرغم من أن الحب غير الأنانى يكون متركزاً فى الآخر ، إلا أن الوقوع فى الحب مركز على إشباع حاجاتنا الخاصة . إننا لا نستطيع أن نتفادى الشعور بقوة العاطفة عند الوقوع فى الحب ، ولكننا نستطيع ويجب أن نسيطر على سلوكنا خلال هذه المرحلة المؤقتة . وإذا لم نفعل ذلك ، نجد أننا اتخذنا قرارات مدمرة.

خدعة رقم { ٢ } : « لا يوجد سوى شخص واحد قد عيّن لى »

إن المرادف للوقوع فى الحب عند أهل سيام هو الاعتقاد بأنه لا يوجد سوى شخص واحد قد عيّن لكل واحد فينا . وبما أن الوقوع فى الحب يقنعنا أن شريك حياتنا كامل ، فنحن نزعم أن

كلانا سوف يلبى حاجات الآخر إلى الأبد . وعندما يتضح أن هذا لا يحدث ، يخبو الافتتان ، ونصاب بالذعر لأننا ارتكبنا غلطة مرعبة وتزوجنا الشخص الذى لا يصلح لنا . يقول سكوت بيك إنه عند هذه النقطة . فالأسطورة الرومانسية للوقوع فى الحب توحى بأنه « لا شئ يمكن عمله بخصوص الموقف سوى بأن نعيش فى تعاسة دائمة أو نحصل على الطلاق ».وبالاختصار، فالقرار الذى يصدره عالم النفس هذا يقول :« إن أسطورة الحب الرومانسى أكذوبة مرعبة» .وتعتبر كاتبة أمريكية أخرى متخصصة فى العلاقات وهى باربارا دى انجيليس Barbara De Angeli إن الاعتقاد بأن « شخصاً واحداً » فقط هو المعين لكل منا دليل على عدم النضج العاطفى وعدم الاستعداد للزواج .

إذن فلماذا نتشبث بهذه الأكذوبة ؟ . لماذا نصر بيننا وبين أنفسنا أنه لا يوجد سوى شخص واحد معين لكل منا ؟ هذا لأنه عندما تهمس عقولنا « كن حذراً » ، فنحن ببساطة لا نجادل الطبيعة الأم وهى تصرخ فينا « هذا هو الشخص الذى كنت تبحث عنه » . وبالإضافة لهذه القوة البيولوجية هناك التأثير القوى لثقافتنا .

الثقافة الدنيوية :

« ثم عاشا سعيدين طوال العمر » . انظر إلى القصص الرومانسية لأساطير الطفولة ، وقصائد الشعر الغنائى الشعبية ، والحبكة الدرامية للأفلام السينمائية أو الوصفة السحرية الجاهزة لبعض الروايات فتجد أن ذلك هو الاعتقاد الشائع : الاعتقاد بأن هناك شخصاً واحداً فقط قد تعين لك ، وسوف تلتقى به فى يوم من الأيام . حاول أن تحصى عدد المرات التى عثرت فيها على هذه الرسالة عن أناس عيّن فيها كل واحد للآخر ، هذا الأسبوع - فى القصائد والإعلانات والبرامج التليفزيونية ، وأنت ترى كيف أن هذا الاعتقاد مفروض علينا بلا هوادة .

الثقافة المسيحية :

« هل أنت وحيد ومكتئب ؟ هاك ما تفعله . التحق بالدراسات المسيحية الخاصة بالزواج المرتب من الله . واستمتع بحياة أفضل » . هذه الكلمات عبارة عن إعلان فى مجلة متخصصة

فى التوفيق بين الأزواج ، وما هى إلا مثال على كيفية انتشار الفكرة القائلة بأن هناك شخصاً واحداً فقط معيناً لك من الله ، فى الفكر المسيحى . إن عدداً كبيراً من الأزواج مقتنعون تماماً أنهم متزوجون ممن رتبتهم السماء لهم . وهناك عدد لا بأس به من خدام الكنائس الذين يعزفون هذه النغمة أيضاً ، إنهم ينصحون العزاب بأن يخرجوا مع شخص واحد : هو شريك المستقبل الذى سيعينه الله لهم قبل تعرُّف كل منهم على الآخر .

إذن فالنواحى البيولوجية والثقافية تحاول أن تقنعنا أنه يوجد شخص واحد لكل واحد فينا . إذن فما هو الخطأ - وما هو الصواب - فى وجهة النظر هذه ؟ يبدو أنه من الطبيعى جداً بالنسبة للمؤمنين الذين يضعون الله كمحور لحياتهم أنهم يريدون الهداية من الله بشأن اتخاذ هذا القرار الهام كاختيار شريك الحياة . وبعد أن نسمع من الله تكون لدينا الثقة لنتخذ هذا القرار الذى يبعث على الرهبة بأن نكرس بقية حياتنا لشريك واحد ، لشخص سوف يعيننا على تكوين أسرة مسيحية .

ولكن هناك الكثير من الشراك التى تكتنف هذه الفكرة . وأحد هذه الشراك صعوبة السماع بوضوح من الله إذا كنا إما تحت تأثير الوقوع فى الحب أو تحت رغبة عارمة فى الزواج . لى صديقة مؤمنة لطيفة ، أتى إليها ، فى ظرف أسابيع قليلة ، رجلان ليقول لها كل منهما : « لقد أخبرنى الله أننا يجب أن نتزوج » ، وهى عبارة تغلق الباب فى وجه أى حديث آخر ! وإنى أعتقد الآن أن واحداً منهما على الأقل كان مخطئاً من وجهة النظر اللاهوتية . ووفقاً لإحساسى الداخلى فكلاهما كانا يعيشان فى أرض الأحلام .

ردت صديقتى على هذين الرجلين بأن صرفتهما بجفاء . ولحسن الحظ فقد حصلا على شئ من الاستشارة لأن الذين يبدأون فى إضفاء الروحانية على رغباتهم بهذه الطريقة يكونون بحاجة للعون لمواجهة الحقيقة ، وإلا فإنهم يستمرون فى إلحاق الأذى بأنفسهم و « بالآخرين » .لأنه ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن الشخص المطلوب موافقته كان بالمثل متلهفاً للاعتقاد بأن الله يوافق على هذه العلاقة ؟ إننا بحاجة لاستخدام عقولنا التى أعطاها لنا الله لكى نقيِّم العلاقات لا أن

« نستغل » الله في تبرير ما يبدو من وجهة نظرنا أنها زيجات موفقة ومغرية . فالتفكير ليس شيئاً غير كتابي .

ووراء هذا الاتجاه الذي ينادي بأن إعمال التفكير قبل اتخاذ القرار غير روحي « صلِّ ولكن لا تفكر » يبدو أن هذا شعار المؤمنين الذين ينكرون ، في واقع الحال أن الله هو الذي خلق عقولنا وهو الذي يجددها ، منذ أن حصلنا على التجديد . إن هذه العقول يجب أن يتاح لها أن تفكر طويلاً وبعمق فيما يتعلق بمدى ملاءمة شريك حياة ، حتى وإن كان يبدو أكثر « تديناً » أن نعتمد على آية تبرر ما نفعله . ولا يعني هذا أن ننكر الطرق المعجزية التي رأى بها كثيرون الله يشجعهم بوضوح على الزواج ، ولكن هؤلاء في الغالب أزواج مسيحيون ، أصبحوا على مدى الأعوام معتادين على أن يسمعوا من أبيهم السماوي في السماء . ويحاول عدد كبير من المسيحيين الآخرين أن يقلدوا هذه الروحانية الناضجة .

إن ما نفعله في طلب التأييد الإلهي أقرب ما يكون إلى السحر الديني - أن نطلب من الله أن يعمل عمل عصا العراف ، وذلك بأن يوجهنا نحو شريك معين . لقد فعلنا كلنا ذلك ! فبعد أن صلينا طلباً للزواج ، اقنعنا أنفسنا أن الله سوف يأتي بالشخص المناسب ليجلس بجوارنا في الكنيسة ذلك المساء . ثم نجد الشخص الذي بجانبنا أكبر منا بثلاثين سنة ، ومتزوج بالفعل ! إننا نحاول أن نخلي مسئوليتنا من اتخاذ قرار هام بشأن الزواج ، والذي يجب علينا وحدنا أن نتخذه .

خذ ، على سبيل المثال ، بيتر وماري . فقد تقابلا منذ ١٨ شهراً مضت ، وعلى الرغم أن العلاقة كانت مضطربة جداً إلا أنهما كانا لا يزالان يحبان كل منهما الآخر . إنهما يحبان أن يتزوجا ، ومع ذلك فقد كانت لدى بيتر بعض المحاذير الصحيحة إلى حد ما . وهنا تدخل اثنان من المؤمنين الأكبر سناً وهما مارك وراشيل ، اللذان ينصحان بيتر بشدة ألا يتزوج ماري ، وقد صبغا على نصيحتهما صبغة الروحانية بالقول إن الله لا يوافق على هذا الزواج . هذا ، على الرغم من حقيقة أن مارك لم ير ماري طوال حياته ، وراشيل لم ترها سوى مرة واحدة فقط .

وهكذا حولنا عقيدتنا المسيحية إلى ثقافة تواكلية كبرى يقوم فيها المؤهلون نفسياً لتقديم النصيحة بإعطائها إلى المؤهلين نفسياً لقبول النصيحة . ولا يحدث هذا كثيراً سوى بشأن اتخاذ قرار رهيب يختص بالزواج . ومن الأفضل أن نتخذ قرارنا سواء كان إيجاباً أو سلباً ، بتأييد من الله . ولكن هل سمعنا نحن حقاً أو سمع ناصحونا شيئاً من الله أم هل نحن ببساطة نضفى صفة الروحانية على مشاعرنا ؟ أتذكر وأنا مسيحى حديث أبلغ ١٧ سنة من العمر ، أنى شعرت بحزن شديد عندما أخبرتنى فتاة كنت قد بدأت التعرف عليها حديثاً أن الله قد أخبرها ألا تخرج معى . ومع ذلك ، فلم يكن حزنى كبيراً لفراقها (فقد تعرفت عليها حديثاً) ولكن كان حزنى سببه أنى كنت لا أفهم كيف يكون الله قاسياً بهذه الصورة . وفيما بعد ، أدركت أن الأمر ببساطة أن الفتاة قد قررت (لسبب غير مفهوم) أنى لم أعد أصلح لها ، ولكنها لم تكن على استعداد لتحمل مسئولية قرارها .

دعنا الآن نرفع المعدل العمرى لنتناول حالة ساندرا :

كانت ساندرا متمسكة بإيمانها ، ولكن لسوء الحظ فقد كانت متمسكة أيضاً بصديق تعرفت عليه منذ سنوات قليلة مضت . وكانت ساندرا تمارس الجنس معه على أساس منتظم ، على الرغم من شعورها بتبكيت الضمير بشأن ذلك . وبدلاً من مواجهة عثراتها الماضية ومخاوفها المستقبلية ، فإنها تتفادى ذلك بالقول إن الله أخبرها أنها يمكن أن تترك ذلك الشاب ، فهو ليس « الشخص المناسب » لها . هذا على الرغم من حقيقة أن كلاً منهما يحب الآخر بشدة ، ويبدوان فى نظر الآخرين أن كلاً منهما يتوافق مع الآخر .

إنى لا أرتاب بشأن المؤمنين الذين يتحدثون باعتبارهم قد « تلقوا رسالة من الله » إلى أفراد من الواضح أنهم قد خالفوا كلمة الله . ولكن فيما يتعلق بشأن هوية الشخص الذى يمكننى التعرف عليه أو الزواج منه ، علينا أن نكون واثقين تماماً قبل أن نقول إننا سمعنا مباشرة شيئاً صريحاً من السماء . وعلى أى حال ، ففى مراسم الزواج فإن الكلمات هى « سوف أفعل كذا وكذا » وليست « الله أخبرنى أن أفعل كذا وكذا » .

وأحياناً يتحدث الله بوضوح إلى أناس عن هوية من سيتزوجون . ومع ذلك فليس الحال هكذا دائماً ، ولا تكون العلاقة أقل تقوى لو أن الزوجين لم يشعرا أنهما قد تلقيا إرشاداً مباشراً من الله بلياقة كل منهما للآخر . وفى الواقع ، يمكن أن يكون هناك زواج مرتَّب من عند الله ، ولكنه يفشل . فلكل من الزوج والزوجة الإرادة الحرة أن يعصيا الله ولا يحب كل واحد منهما الآخر . وسواء كان الله قد عيَّن لكل واحد منا شخصاً واحداً ، وشخصاً واحداً فقط ، فهذا لا يصح أن يستخدم كتمويه لنتجنب المسئولية عن قراراتنا .

إن وجهة نظرنا بخصوص موضوع « الشخص الواحد » تتشكل من واقع وجهة نظرنا الكلية عن الله ، فبعض الناس يعتقدون أننا إذا ابتعدنا عن الطريق الضيق الذى رسمه لحياتنا ، فقد نسفنا هذا الطريق كلية بحيث يتعذر الرجوع إليه مرة ثانية . وآخرون يعتقدون أنه على الرغم من أن الرب هو راعينا ويهدينا إلى مراع خضر ، إلا أنه لا يدلنا على أى ورقة خضراء نأكلها ، مع أنه يحذرنا أننا إذا ابتعدنا عن الطريق ، فنحن فى خطر أن يأكلنا الذئب .

« ليس هناك فى الكتاب المقدس كله ما ينص على أن شخصاً واحداً فقط قد تعين لنا » (ڤيرا سنتون Vera Sinton ، محاضرة فى قاعة ويكليف بجامعة أكسفورد ، ومتحدثة عن العزوبية) .

لا يحدثنا الكتاب المقدس كثيراً عن كيفية اختيارنا لشريك حياتنا . وقد كُتب الكتاب المقدس وسط ثقافات كانت فيها الزيجات المرتَّبة هى العادة السائدة . ففى سفر الأمثال والأصحاح الحادى والثلاثين نجد حديثاً عن من « يجد زوجة » ، والرسول بولس فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والأصحاح السابع ، يتحدث عن « التزوُّج » ، ولكنه لا يتحدث عن تعيين امرأة واحدة أو رجل واحد بالذات لكل إنسان فى الحياة .

إن مؤسسة الزواج قد رُتِّبت من عند خالقنا ، وهو عطيته لنا جميعاً ، لكى نستخدمها استخداماً حسناً أو سيئاً . وإذا تمسكنا بالاعتقاد بأن هناك شخصاً واحداً فقط معيناً لنا ، فسوف نبقى خائفين على الدوام من الزواج من « الشخص الخطأ » . سوف نجد بحثنا عن شريك

للحياة يسوده الخوف وليس الثقة .

خدعة رقم [٣] : « سوف يكون شريك حياتي كاملاً »

« لقد انتظرنا مدة طويلة حتى يأتي الزوج أو الزوجة الملائمة ، فلابد أن شريك الحياة مناسب لنا ! وإذا كنا نعتقد أن قرار زواجنا بشخص معين قد تم اتخاذه في السماء ، فمن المنطقي أن يكون هذا الشخص كاملاً » . إن هذه الفكرة اللاهوتية الساذجة تتفق تماماً مع ثقافتنا الاستهلاكية التي تصر على أننا يجب أن نطلب الأفضل دائماً .

إن ميل المسيحيين للتعلق بشريك الحياة الكامل والأسطوري ، يسهم في تفسير السبب الذي يجعل عدداً كبيراً منا بدون زواج .

إنها نظرية جذابة جداً خاصة بالنسبة لمن يحاولون الهروب من مجازفة الإقدام على زواج ينتهي بالطلاق . ولكن على وجه التحديد ، فمعظمنا عاديون ، ولذا فنحن نخدع أنفسنا إذا ركّزنا فقط على الشركاء الذين يناسبون قائمة الفحص التي لدينا ، فشريك الحياة يجب أن يكون في وئام عاطفي ، حسن المنظر ، ذكي ، وثري ويمتلك حباً شديداً للأعمال المنزلية ! وحتى إن حصلنا على درجات متواضعة بمقاييسنا الخاصة ، فإننا نتوقع أن نكون موضع إعجاب الآخرين .إن ميل المسيحيين للتعلق بشريك الحياة الكامل والأسطوري يسهم في تفسير السبب الذي يجعل عدداً كبيراً منا بدون زواج .

إن الكتاب المقدس لا يركز على إيجاد الشريك الكامل لحياتنا . إن صلواتنا يجب أن تبدأ أولاً بالاعتراف بأن الله يأمرنا نحن بأن « نكون كاملين » . إننا بحاجة أن نسأل الله أن يكشف عن الجوانب السيئة في شخصياتنا والتي نحب أن نخفيها ونطلب منه أن يغيِّرنا . إن علينا أن نعترف بأن القلق بشأن الزواج خطية ، ونطلب منه أن يحوِّل قلقنا إلى ثقة مفرحة في تدبيره لكل ما نحتاجه . إنه قد يعطينا الشريك المناسب بطريقة ما أو يجعلنا نقوم بالبحث بأنفسنا . ولكن مهما فعلنا ، فلنفعل الكل بثقة أن الله يسر بالرجال والنساء الذين يخلقون الصداقات فيما بينهم .

خدعة رقم ٤ : من المعين لى أن ألتقى بشريك الحياة ، ولذا فلست فى حاجة لبذل الجهد .

كم يكون مريحاً لو أن الحياة لم تكن تتضمن بذل الجهد ، فلو كنا نطلب للوظائف بدلاً من التقدم لها ، ولو كانت درجة الليسانس فى القانون وماجستير إدارة الأعمال يمكن أن تُغرس فى رؤوسنا عن طريق جراح فى الأعصاب ، ولو أمكن شراء الشخصية الجيدة من أحد المحال التجارية ، لأصبحت الحياة شيئاً سهلاً ، ومع ذلك فالأشياء الجديرة بالقيمة فى الحياة تتطلب عملاً شاقاً .

يعتقد المسيحيون أحياناً أن العثور على شريك الحياة لا يتطلب جهداً لسببين . أولاً ، فهم يعرفون عدداً كبيراً من البشر قد التقوا بشريك الحياة حينما لم يكونوا يبحثون عن شريك . وثانياً ، فهم يؤمنون أن الله سوف يهب لهم شريك الحياة لأن هذا من اختصاصه .

إن عقيدتنا اللاهوتية الأساسية هنا بالغة الأهمية . فلو اعتقدنا أن كل حادثة فى الحياة مدبرة من قِبل الله ، حتى أدق التفاصيل ، كنوع البقوليات التى نشتريها ، فلن نبذل أى جهد . إننا والحال هكذا ننمى عقلية تجعل منا فرائس سهلة ، باعتبار أن الحياة شئ يحدث لنا وليس شيئاً نحدث نحن تأثيراً فيه . إننا سنصبح سلبيين ، ولن نهتم بالذهاب إلى أماكن يمكن أن نلتقى فيها بشريك الحياة المؤمن ، لأنه إذا كان مقدراً لنا أن نلتقى بشخص ما ، فالله سوف يحقق ذلك بأى وسيلة يراها . وعلى النقيض من ذلك ، انظر إلى أبطال إيماننا فلاشك أنهم كانوا يطلبون إرشاد الله وبركته ، وكانوا أيضاً أبطالاً فى الأعمال « لكن أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع » . لقد مزجوا بين الرؤية السماوية والجهد هنا على الأرض . لقد وضع الله فى قلبى رؤية زواجى ، وإيمانى يظهر ليس فى صلواتى فقط ، ولكن فى بحثى الدءوب أيضاً .

وهاك فكرة أخرى للتأمل .قال أحد العلماء فى الراديو كيف أنه كان مغرماً بثلاثة أشياء وهو طالب : علم الفيزياء والرسم ولعبة الكريكيت . وكانت لعبة الكريكيت تمثل اهتمامه الأكبر ، ولكنه لم يكن يمتلك القدرة على اللعب كمحترف ، ولأن معمل الفيزياء فى المدرسة كان يطل على ملعب الكريكيت البيضاوى ، فقد استطاع أن يجمع بين اثنين من هواياته ! وبعد عدة سنوات ،

عاد إلى المدرسة كعالم فيزياء ناجح ليرأس حفلاً لتوزيع الجوائز فى المدرسة . وأثناء التجول فى الردهات القديمة اكتشف أن معمل الفيزياء القديم قد أصبح الآن حجرة للرسم . وقد أعلن فى الراديو عن تساؤله إن كان يمكنه أن يصبح فناناً الآن لو أن الحجرة كانت حجرة للرسم على أيامه .

إن الهدف من سرد هذه القصة هنا أن أتساءل عما إذا كنت تعتقد أن ذلك كان بالصدفة أو كشئ مقدَّر . فهل كانت لديه حرية الاختيار بشأن الحرفة التى امتهنها ؟ توجد قضية مهمة هنا تنعكس فيما إذا كنا نعتقد أن لنا دعوة من الله أو أننا خاضعون للقَدَر . فالاعتقاد بأن لدينا دعوة يشجعنا أن نعمل بنشاط لإتمام إرادة الله لحياتنا ، أما الإيمان بالقَدَر يجعلنا نعتقد أن ذلك سوف يحدث بطريقة ما .

خدعة رقم ٥ : « إن شريك الحياة سوف يتغير بعد الزواج »

ربما تكون قد سمعت تلك الدعاية الساخرة - وهى تقال عادة عند عقد مراسيم الزواج - والتى يقال فيها إن الزوجة تتمتم وهى تنزل من على منبر الكنيسة قائلة « إننى سوف أغيِّره (زوجها) » . ولكن هل الأزواج ، أو هل الزوجات يتغيرن بعد الزواج ؟ . عندما أتفحص حطام بعض الزيجات المسيحية أجد أن الأسباب الرئيسية تتضمن إدمان المسكرات والمرض النفسى . وهى أحوال كانت معروفة تقريباً قبل الزواج ، فلماذا قبل شركاؤهم الزواج بهم ؟ مرة أخرى نجد أن صديقينا القديمين وهما « شدة الرغبة فى الزواج » و « الوقوع فى الحب » كانا يصحباننا فى ممشى الكنيسة .

إن الصداقات الحقة تزدهر فقط بين الناس الذين يعتبر كل منهم الآخر نداً له - حينما تتاح الفرصة للمشاركة المتبادلة فى القوة والضعف .

أو ربما كان هو الحب المسيحى الحقيقى -الحب الملتزم الذى يظهر الرعاية الحقة هو «اكسوجين» العلاقات : إن مثل هذا الحب ممجد فى الكتاب المقدس لدرجة أنه فى رسالة يوحنا الأولى مكتوب أن « الله محبة » ولكن الصداقات تزدهر فقط بين الناس ، الذين يعتبر كل منهم الآخر نداً له - حينما تتاح الفرصة للمشاركة المتبادلة فى القوة والضعف . وبالمثل فالزيجات تحتاج

لاعتماد كل طرف على الآخر لكى تنجح ، وليس اعتماد طرف واحد على الآخر والذى يمكن أن يحدث مثلاً ، لو أن أحد الطرفين مدمن للمخدرات .

فإذا اتفقت معى إلى هذا الحد ، فقد تختلف معى بعد قليل لأن الخدعة الأكثر انتشاراً التى تقول « إن شريك الحياة سوف يتغير » والتى يعززها المسيحيون بالقول « إن شريك حياتى سوف يقبل يسوع بعد أن نتزوج » . إن المشاركة فى الأمور الروحية جزء هام فى أى علاقة صحية توافقية . والزيجات التى تتسع فيها الفواصل فى النظرة الروحية لا تكون محدودة فقط فى المشاركة ، بل فى القيم التى تربط الطرفين أيضاً . إن شريك حياتك لن يعترف أنه يقدم التعهدات الزوجية أمام الله . ومن المرجح أنها علاقة غير متوازنة يعوزها التناغم والانسجام . ولسوء الحظ ، ففى عدد كبير من هذه الزيجات ذات « النير المتخالف » تنتهى بأن يفقد الزوجان إيمانهما أو أن يفشل الزواج . إنى أكتب هذه العبارات بعد أن انتهيت حالاً من حديث مع امرأة مؤمنة قد تم طلاقها ومعها طفلان صغيران . لقد تزوجت من شخص غير مؤمن لأنه لم يكن هناك البديل . ثم هرب زوجها مع عاملة فى كافتريا . لقد كان له قيم مختلفة وآلهة مختلفة .

وفى الفصلين التاليين سوف أعود إلى مشكلة عدم توفر شركاء الحياة الملائمين لكى تختار منهم فى كنيستك . ولكن دعنا لا نجعل الزواج كل شئ فى الحياة .

خدعة رقم ٦ : « إن الله يدعونى لكى أكون عازباً »

هناك أمثلة كتابية واضحة عن دعوة أناس ليكونوا عزاباً : النبى إرميا ، الخصيان الذين تكلم عنهم يسوع ، وشباب كورنثوس الذين تحدث إليهم بولس . والحقيقة ، لو أن كنيسة اليوم كانت تعطى احتراماً كبيراً للعزاب كما فعل كتَّاب العهد الجديد ، لما كان هناك داع لكتابة هذا الكتاب .

إن عدداً كبيراً من المؤمنين يعتبرون حقيقة أنهم لم يجدوا شريك الحياة حتى اليوم دليلاً على أن الله يريدهم أن يظلوا عزاباً بقية حياتهم .

ما أريد أن أستفسر عنه هو هذا :هل تلقيت دعوة لكى تظل عازباً ؟ إن عدداً كبيراً من

المؤمنين يعتبرون حقيقة أنهم لم يجدوا شريك الحياة حتى اليوم دليلاً على أن الله يريدهم أن يظلوا عزاباً بقية حياتهم . وعلى الرغم من أن لديهم رغبة قوية للزواج ، إلا أنهم تحت انطباع أن الله يريدهم أن يتخلوا عن هذه المتعة ، فإن هذه وجهة نظر سيئة عن الله الذى يرغب أن يباركنا . إنه يسر بالزواج ، وكُتّاب العهد الجديد يصرون على أن الزواج ليس خطية . فإذا كانت رغبتك أن تتزوج ، فإنى أعتقد أن هذه الرغبة من الله . إن الناس يخلطون فيما بين قبول حقيقة أنه حتى هذه اللحظة لا يوجد شريك الحياة المناسب ، وبين الدعوة الواضحة الهادفة لكى تظل بلا زواج . فقد كلف الله بعض الناس برسالات لا تتلاءم مع الزواج . وبعض هذه المهـــام قد تدوم مدى الحياة ، ولذا فهى تتطلب تبتلاً دائماً . وبعض المهام الأخرى قد تكون قصيرة الأمد .(ناقش معى الناشرون إضافة عبارة فى العقد تنص على أن أظل عازباً أثناء كتابة هذا الكتاب !). مهما كان سبب الدعوة وطول مدة دعوتنا لنكون عزاباً ، فإن الله سوف يعطينا فرحاً بإتمام مشيئته .

ومع ذلك ، هناك فارق كبير بين هذه الدعوة الهادفة للعزوبية والقبول بتفاؤل عن قناعة أنه لا يوجد حتى هذه اللحظة الشخص المناسب لى . ولكن إذا أفرطنا فى الانغماس فى الوهم بأن الله قد دعانا لنكون عزاباً فى حين أنه لم يفعل ذلك ، فنحن بذلك لا نميل فقط أن نكون موضع تساؤل وتعجب من قبل الجنس الآخر ، ولكن سوف يكون لدينا أيضاً غضب فى اللاوعى من نحو الله . ثم إن هذا الوهم سوف يجعلك فريسة سهلة له لو أن عقلك أصبح مستسلماً للفكرة القائلة بأن الله والعالم ضدك .إن هذه الفكرة نابعة من اتجاه قدرى نحو الحياة لا يعترف بالإرادة الحرة التى منحها الله لك .

هناك مجموعة أخرى من الناس تتستر وراء فكرة أنهم مدعوون للعزوبية : أناس لديهم مبررات نفسية معقّدة تجعلهم يتجنّبون العلاقات مع الجنس الآخر . ربما لحق بهم الأذى من جراء علاقة سابقة . فلو اعتقدت أنك مدعو للعزوبية ، تأكد أن هذه الفكرة ليست قناعاً يخفى مشكلات أخرى فى حياتك . حسناً ، ولذلك فإنى لا أفترض أنه لمجرد أنى وقعت فى الحب مع شخص آخر ، فهذا يعنى أن علاقتى الزوجية سوف تكون ناجحة . ولا أصر كذلك على شريك للحياة يكون كاملاً ، أو أتوقع أن هذا الشريك سوف يظهر فى حياتى فجأة دون بذل أى جهد .

وأدرك أن أى شخص أتزوجه هو الشخص الذى سوف يتحتم عليَّ أن أعيش معه .

ولكن أليس هذا شيئاً جامداً وعقلانياً أكثر مما ينبغي ؟ أين دور المتعة والعاطفة القوية في هذه المعادلة ، المتعة والعاطفة اللذان يرفعان من شأن العلاقات عما هو أرضى إلى ما هو سام رفيع المستوى ؟ أين مكان الرغبة القلبية العميقة التى أودعها الله فى الزوجين معاً ؟ نعم ، إنى أتفق معك ، فنحن بحاجة إلى العاطفة فى العلاقات ، إلى الكثير منها ! وجميل أن يعرف الزوجان أنهما قد أخضعا علاقتهما لله وأنه يباركها . ولكننا بحاجة للتفكير أيضاً ، التفكير الذى هو كالفنار الذى يحذرنا من خطورة الصخور . إن ضعف الإدراك للكثير مما يجرى داخل الكنيسة قد جعلت جيلنا متكاسلاً فى التفكير ، ناكراً أن عقولنا قد خلقها الله .

خذ تشبيه الكرسى ذى الثلاثة أرجل . فإذا لم ترتكز العلاقة على أسس عقلية وروحية وعاطفية ، فهى يمكن أن تصاب بالإحباط . إنها بحاجة إلى ثلاث ركائز ثابتة ذات أطوال متساوية حتى تكون راسخة . فلو كانت القرارات تستند إلى علاقات لا تتضمن سوى العاطفة والروحانية ، ولكن ينقصها التمييز ، فإنها لا تكون متوازنة بل خطرة . وبالمثل فإذا كانت تستند إلى ركائز عقلية وروحية ولكن تنقصها العاطفة القلبية ، فإنها تذوى فى النهاية .

والفصلان التاليان يلقيان نظرة على كيفية استخدام العاطفة والإدراك السليم والروحانية فى البحث عن شريك الحياة .

الباب الثالث

لعبة التعارف

الفصل الحادى عشر

من هو شريك الحياة الذى أبحث عنه

وأين يمكن أن أجده ؟

إن البحث عن شخص ما للزواج منه ، ثم الفوز به أصعب عمل فى حياتك ، وأن تصبح مسيحياً ، وهو أهم قرار فى حياتك يعتبر شيئاً بسيطاً بالمقارنة بذلك . وكون الإله الحقيقى ينعم على خليقته بأن يغدق عليهم محبته الكاملة الخالية من العيوب ، فإن ذلك يعد عطية مذهلة وواضحة حتى إنه من السخف والغباء أن نرفضها . ولكن الحب الرومانسى شئ مختلف عن ذلك . فهناك عدد لا يحصى من شركاء الحياة ولكن جميعهم ليسوا خالين من العيوب .

وما أريد أن أركز عليه فى هذا الكتاب أن أشجعك على التفرغ لهذا الحب . لقد تحدثت عن واقعية الزواج بدلاً من التشاؤمية الدنيوية والمثالية التى تقدم مظهراً براقاً زائفاً . وقد شجعتك على أن ترفع من شأن احترامك لذاتك ، حتى تبدأ فى رؤية نفسك كمطمح لأحلام الآخرين . وفى الفصل الأخير ناشدتك أن توفر على نفسك مشقة الاعتقاد بأنه لا يوجد سوى شخص واحد قد قسم لك . إن ذلك يؤدى إما إلى اختيارات ساذجة أو لعزوبية دائمة ، لأنه لن يصمد أحد لمقاييس الكمال المستحيلة التى تضعها . صحيح إننا نريد أن نتزوج شريكاً ممتازاً ، ولكن إذا ظل كل واحد يدور بلا نهاية بحثاً عن أفضل الشركاء الذين يتصورهم فى خياله ، لظللنا جميعاً عزاباً إلى الأبد . وهذا ما يفعله كثيرون منا بالضبط . ولذا فما الذى يجب أن أبحث عنه وأين يمكن أن أجده أو أجدها ؟

من ؟ :

١ - شخص مؤمن :

دعنا نبدأ بأصعب شئ أولاً .هل يجب أن تعرف فقط الأشخاص الذين يشاركونك عقيدتك ؟

هناك بعض الأقلام القاسية فى هذا الموضوع ، الذين إذ يقتبسون حديث بولس ضد « شركة المؤمنين مع غير المؤمنين » ، ويوجهون هجوماً قاسياً ضد الذين يتعارفون بغير المؤمنين . وعدد كبير من هؤلاء المتشددين هم أشد الناس بلادة ، ففى حين أنهم يحكمون على ٩٧٪ من أفراد المجتمع بأنهم لا يصلحون كشركاء الحياة لك ، إلا أنهم لا يحركون أصبعاً لمساعدتك فى التوصل إلى شريك حياة مناسب .

صحيح إنى أتفق معهم ، ولكن لا أوافق على وسائلهم بل على رسالتهم - هذا لأن الكثيرين قد فقدوا إيمانهم بسبب التعارف بغير المؤمنين حتى خلق ذلك أزمة للكنيسة ، كما شكَّل مشكلة لى ولك فى السلوك المسيحى . كيف يمكننا ، يا من نحب إلهنا بشدة ، أن نفكر فى مشاركة أدق خصوصياتنا مع شخص غير مؤمن ؟ . فمن المستحيل أن تتوطد علاقتنا مع الله ومع شريك حياة لا يعترف بالله فى نفس الوقت ، فلابد من التضحية بأحدهما . فقد ينسحب شريك حياتك لأنه لا يمكنه أن يتواصل معك بشأن موضوع فى غاية الأهمية بالنسبة لك ، أو تبدأ فى التراجع عن إيمانك . ولو استمرت كل من العلاقة والعقيدة ، لدب الضعف فى كل منهما . ولو كنت تفكر فى التعارف أو الزواج من شخص غير مؤمن ، اسأل أولئك الذين فى كنيستك ، المتزوجين من غير المؤمنين ، عن الضغوط التى يتعرضون لها . اسألهم عن المشكلات الأسبوعية المتعلقة بشأن الذهاب أو عدم الذهاب إلى الكنيسة . اسألهم بشأن الصراع اليومى بخصوص تربية الأطفال .

فكر الآن قبل فوات الأوان . لأننا عندما نقع فى الحب مع شخص غير مؤمن ، فإننا نبدأ فى التخلى عن مبادئنا فيما يتعلق بممارسة الجنس قبل الزواج ، ثم نجد أنفسنا مطروحين بعيداً عن إيماننا كالريشة فى مهب الرياح . فالاندفاع القوى نحو هذا الحب الجديد ، والذنب الذى نشعر به بسبب علاقتنا الجنسية قبل الزواج ،كل ذلك لا يجعلنا نجلس مطمئنين ومستريحين فى الكنيسة . إنكم لا تستطيعون ببساطة أن تسيطروا على أوضاع حياتكم وتنظيمها .

إنى مدرك تماماً أن الله لا يتدخل على الدوام فى هذه المواقف ويأتى بغير المؤمنين بصورة معجزية إلى الإيمان الحقيقى الدائم . لقد شهدت ذلك فى عائلتى . ولكن لا يصح أن نزايد على

هذه النعمة . وبدلاً من النظر إلى الداخل إلى أشواقنا الداخلية للألفة ، يجب أن ننظر إلى تأثير أفعالنا على المؤمنين الآخرين من العُزَّاب . فلو أقمت علاقة مع شخص غير مؤمن ، سوف أضيف ضغوطاً على العُزَّاب الآخرين من رجال ونساء فى كنيستى والواقعين تحت إغراء فعلى لسلوك نفس المسلك .

وإذا كان التعارف مع غير المؤمنين خطية ، فالكتاب المقدس يعلمنا أننا نحن الروحيين يجب أن نحاول برفق أن نسترد الذين يتمردون بهذه الطريقة ، ولكننا بدلاً من ذلك فنحن نقسو فى النصيحة ونبعد أولئك الذين بدأوا بالفعل يتركون الكنيسة . إن الشفقة الحقيقية تعنى الدخول فى شركة آلام الذين يعانون وسط الدوامة . إننا بحاجة أن نتفهم كربهم، ونكون معهم وهم يتصارعون فى أحاسيس الإغراء والشعور بالذنب والحاجة الروحية للتخلى عن العطف البشرى الوحيد الذي ربما صادقوه خلال سنوات عديدة . وهاك مثلان من واقع الحياة .

بدأت جانيت تتعرف على أنتونى قرب نهاية عامها الدراسى الثانى فى الجامعة . ويتذكر أصدقاؤها غيرتها المسيحية ، وكيف أنها كانت مصممة على العمل المرسلى فيما وراء البحار بعد انتهاء دراستها الجامعية . كان أنتونى يمثل بالنسبة لها زوجاً ملائماً . وكان يجمع ألفة حقيقية يغذيها ميل مشترك للفنون والآداب . لم يكن يشاركها العقيدة ، ولكنه لم يكن يحمل عداءً لعقيدتها ، وعند الخروج سوياً لم يكن يضغط عليها إطلاقاً للتوقف عن الذهاب إلى الكنيسة أو للتورط فى أى علاقة جنسية . وكان التعارف مع شخص غير مسيحى تبدو أنها مجازفة بسيطة ، فهكذا كان خروجهما معاً . ولكنهما وقعا فى الحب سوياً ولم يكن هناك وجود كبير لله فى حياتهما . وكلما التهبت جانيت حباً لأنتونى ، كان من الطبيعى أن تنساق أكثر وراء رغبات الجسد . وبدآ يعيشان سوياً ، وقد ساعد شعورها بالذنب على إحساسها بالحرج عند لقائها بأصدقائها وصديقاتها فى الكنيسة ، تلك الصداقة التى تمت على مر السنين . والآن بعد التخرج من الجامعة بعام واحد ، فإنهما يعملان سوياً فيما وراء البحار ويكنّ كل منهما حباً جماً للآخر . ولكن إيمانها الذى كان متألقاً فى يوم ما قد خبأ نوره وانطفأ . لقد حدث كل شئ بالتدريج لدرجة أنها هى نفسها لم تكن تشعر بما يحدث ، ولكنها ضلت بعيداً من الناحية

الروحية .

بدأت كارول تلتقى ببيتر فى نفس الجامعة . كانت مؤمنة حديثة . ولم يكن بيتر جذاباً بنوع خاص ، ولكنه كان يبدو صيداً ثميناً . بدآ يلتقيان وتعرضت كارول لكثير من القيل والقال والهجوم من قبل الزملاء والزميلات فى الكنيسة لأنها تتعرف بشخص غير مؤمن . ومع ذلك فبنعمة الله وإرادة بيتر الحرة ، اهتدى إلى الإيمان . وبعد مرور ١٧ سنة ظل ثابتاً فى الإيمان ، ملتزماً بالعمل الكرازى ، مخلصاً لزوجته على مدى الـ ١٥ سنة الماضية . بهذا الزواج الناجح والإيمان القوى وولدين جميلين ، يمثل كل من كارول وبيتر الحياة التى يتطلع إليها كثيرون من العزاب المتعطشين للحب . ولكن لماذا كانت كارول محظوظة بدرجة كبيرة أن يصبح صديقها مؤمناً بينما لم تكن جانيت كذلك ، هذا ما لا أستطيع تفسيره .

إلى أولئك المؤمنين الأكبر سناً والذين يعيشون فى عزلة ويتوقون للزواج ولكنهم لا يرون فى الأفق من يصلح لهم .إنهم يتعرضون لإغراء أن يتبعوا هذه الاستراتيجية « اعمل على تجديد رفيق حياتك » ، ولكن هذا يعد نوعاً من المقامرة بالأبدية ، فأنت تعرض أهم شئ لديك للخطر - إيمانك . قد ينتهى بك الأمر بأن يصبح شريك حياتك مسيحياً ، ولكن عدداً كبيراً جداً يخسر هذا الرهان .

وسواء كنا أصدقاء أو رعاة أو قادة كنائس ، علينا أن نظهر عناية مخلصة نحو أولئك المجربين بسبب علاقاتهم بغير المؤمنين . علينا أن نفكر لنعرف الأسباب التى تجعلهم مع آخرين أيضاً ينجذبون نحو هذه العلاقات الرومانسية ، كما نعرف أفضل الوسائل لنساعدهم حتى يتخلوا عن هذه العلاقات الخاطئة ليكوِّنوا علاقات صحيحة . إن حافزى الرئيسى الذى دفعنى لكتابة هذا الكتاب ، ألا تكون الرغبة التى أعطاها لنا الله لتكوين علاقات بعد الآن مصدراً لضعف ملكوت الله ، بل تكون مصدراً لقوته . إننا نفقد الكثيرين من الشباب خلال تعرفنا بغير المؤمنين حتى إن هذه القضية تمثل أزمة حقيقية للكنيسة .

٢ - التوافق والانسجام :

ماذا يوجد فى القائمة خلاف ذلك الآن ؟ أعتقد أنك تكذب عندما تقول إن المنظر الجميل لا يهمك ! دعنى أكون أميناً معك وأخبرك بشروطى الشخصية . إنها يجب أن تكون خريجة جامعة أكسفورد أو كمبردج ، ومؤمنة لمدة تقرب عن المدة التى عشتها أنا كمؤمن، ولها شخصية متزنة ، وأصغر منى سناً ، وجميلة نوعاً ما ، وطولها يقل قليلاً عن ستة أقدام ، وتعيش قريباً من لندن إلى حد ما وتحب الشوم (النقطة الأخيرة اختيارية) . والآن أخبرنى لماذا لم أتتزوج حتى الآن ! هل أنا معقول ؟ حسناً ، أنا لست كذلك ، ولكن هل أنت معقول ؟ أنت أيضاً ، لديك قائمة تضع شروطاً للأشخاص الملائمين تستبعد فيها معظم البشر ، دع عنك المسيحيين . وفى المناسبات النادرة التى نلتقى فيها بمخلوق يناسب المقاييس التى نضعها ، فإننا ننطق بالويل والثبور وعظائم الأمور حتى إنه لا يجرؤ على النظر إلينا مرتين !

فما الذى نفعله إذن ؟ نلقى بالقوائم ؟ كلا ، لأنه كما يتم التعارف بطرق متنوعة ، فهذه القوائم تنطوى على شئ من الحكمة . ولكن علينا أن نتمسك بهذه القوائم التى وضعناها لأنفسنا ، ولكن ليس بهذه الشدة . فإن كنا لا نتعرف مع كثيرين ، فهذا إما لأننا لا نلتقى بعدد كاف ممن يناسبوننا (استمر فى القراءة !) أو لأننا نضع قيوداً ثقيلة على من نلتقى بهم .

وكما نعمل على زيادة الأماكن التى نلتقى فيها بالمؤمنين ، يستحسن أن نحدد لأنفسنا أهدافاً فيما يختص بعدد الناس الذين نتعرف بهم . وإذا لم يكن لدينا على الأقل اجتماعاً واحداً نلتقى فيه بشخص « مناسب » مختلف فى كل شهر ، فيمكننى أن أقول على الأرجح إن دائرة اختيارك ضيقة جداً . إنك تصنع أسواراً حديدية حولك تحجب عنك الشئ الذى تريده .

وبالإضافة إلى مراجعة أنفسنا فيما يتعلق بمقدار تزمت مقاييسنا ، فنحن بحاجة أيضاً للنظر بعناية فائقة لكل مقياس على حدة لنرى أهميته . لأننا عندما نبلغ الخامسة والستين وننظر إلى السنوات الخمس التى قضيناها فى الزواج (بموجب الطريقة التى نتقدم بها للأمام فإنى لا أستطيع أن أرى أننا يمكن أن نتزوج قبل الستين !) . فما الذى نراه مهماً ؟ إنى لا أعتقد أن

عنصر الجمال سوف يكون ذا أهمية كبيرة ، على الرغم من أنه كان الشئ الوحيد الذى كان يمثل الأهمية العظمى فى أثناء التعارف .

وهاك الدليل فى استفتاء لجريدة الجارديان فى فبراير سنة ١٩٩٧ ، سئل الأزواج الذين مر على زواجهم عشر سنوات أو أكثر من ذلك عما يحبوه أكثر من أى شئ آخر فى شريك الحياة ، وكانت أكثر الإجابات شعبية ، ذكرها ١٨٪ أن « شريك الحياة عطوف ومراع للمشاعر » ، و١٧٪ قالوا « كل شئ » (أليس هذا رائعاً !) ، وذكر ١٠٪ «شخصية شريك الحياة » وقال ١٪ فقط من عدد الذين سئلوا « إن جمال شريك الحياة هو الشئ الذى يحبوه أكثر فى شريك الحياة» . أما المفاجأة الكبرى بالنسبة لى أن الجنس أيضاً لم يحصل سوى على ١٪ فقط . إن المتزوجين الذين شاركوا فى الاستفتاء كان قد مر على زواجهم ما لا يقل عن عشر سنوات.

إن جميعنا كعزاب نريد زيجات تدوم ، ولذا أليس من المعقولية بالنسبة لنا أن نُعيد ترتيب أولوياتنا فيما يتعلق بمن نبحث عنهم فى لعبة التعارف ؟

جميعنا كعزاب نريد زيجات تدوم ، ولذا أليس من المعقولية بالنسبة لنا أن نعيد ترتيب أولوياتنا فيما يتعلق بمن نتعقب فى لعبة التعارف ؟

٣ - الحوار :

والآن ، أليست هذه فكرة طريفة - أن ينظر الزوجان إلى علاقتهما الزوجية الماضية ويتأملان كيف كانا يحبان التحدث كل منهم للآخر ؟ ومع ذلك فالحديث الجيد ليس واحداً فقط من أمتع ما فى الزواج وهو المتعة التى تستغرق وقتاً أكثر من أى شئ آخر ، ولكنه أيضاً يحفظ علاقتك الزوجية من الانهيار . وما لم تشعرا كلاكما أنكما تتكلمان بحرية تامة فسوف لا تستطيعان منع المشكلات من التراكم والظهور : إن الحوار هو صمام الأمان . إن مستشارى الطلاق يسمعون الأزواج والزوجات كثيراً يقولون إن شريك حياتهم كان مضرباً عن الحديث . ولذلك ، فإذا أردت زواجاً يدوم لسنين طويلة ، فابحث عن أناس يمكن أن تتحدث معهم لساعات وساعات دون أن تشعر بالضيق . ابحث عن شخص يكون ملتزماً بالحديث معك .

٤ - الخلق :

إنك تبحث عن شخص سوف يلتزم بأن يكرس بقية حياته أو حياتها للعيش معك - بالرغم من شخيرك ، ومخاوفك المرضية بشأن الأعمال المنزلية ، وعدم قدرتك على الحفاظ على المواعيد . إنه بحاجة لقوة خارقة لتحمل كل ما فيك من عيوب تكونت على مدى عشرات السنين . ليس هناك فائدة ترجى من الزواج من أجمل فتاة فى فرقة الترنيم أو أضخم رجل فى الكنيسة إذا لم يكونا على درجة عالية من الخلق . أيتها الفتيات ، إنكن بحاجة إلى رجل يستيقظ للمرة الثالثة فى الليلة لإسكات طفلك الذى يبكى . أيها الشاب إنك بحاجة لامرأة تقف إلى جوارك عندما تُفصل من وظيفتك المرموقة فى المدينة فتضطر للتوقيع على إعانة حكومية . إن أشياء كثيرة نقدرها كثيراً فى مرحلة التعارف سوف تبدو سريعة الزوال تماماً بعد سنوات قليلة فى الزواج .

إن الأخلاق الفاضلة تعطى معنى لكل التعهدات الزوجية التى يتعهد بها شريك حياتك

ولننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى . فالحديث شئ رخيص الثمن . فأثناء التعارف فإن كلمات مثل « أحبك » لا تزيد عن كونها أكثر من مجرد كلمات معروفة يستخدمها الشبان للترغيب . وحتى إن قيلت نتيجة للإخلاص وإعمال الفكر فإنها يمكن أن تكون عديمة المعنى ما لم يكن الشخص الذى قالها متسلحاً بالأخلاق الفاضلة التى تقرن هذه الكلمات بالأفعال التى قد لا تكون مريحة من الناحية الشخصية . إن دليل الخلق ليس الألفاظ المعسولة التى لا تعنى شيئاً عندما يتهامس كل منكما مع الآخر ، ولكن الطريقة التى تتصرف بها الزوجة عندما تتعطل سيارتك فى أثناء نزول المطر الغزير وأنتما فى طريقكما إلى المسرح . إن الوقت فقط بالإضافة للآراء الحكيمة لمن يعرفون شريك حياتك المستقبلى معرفة جيدة ، يمكن أن يظهران إن كان شريك حياتك على خلق أم لا .

إن الأخلاق الفاضلة تعطى معنى لكل العهود الزوجية التى يتعهد بها شريك حياتك . إنى أستطيع أن أكتب لك شيكاً بمليون جنيه ، ولكن مدير البنك الذى أتعامل معه هو الذى يستطيع

تحديد قيمة الشيك الحقيقية . إن أخلاق شريك حياتك هي قدرته على الوفاء بعهوده نحوك . وكل شئ في قائمتي يكون بلا معنى ما لم تتسم شريك حياتي بالأخلاق الفاضلة . إن الأخلاق في الزواج هي اللؤلؤة كثيرة الثمن .

٥ - الكيمياء :

هذه هي البطاقة المجهولة .فالبعض يرى « الكيمياء » كتعبير مخفف للوقوع في الحب . ويراها آخرون كاسم آخر للجاذبية الجنسية . أو هل هي ما يمكن أن يوصف بأنها الطريقة التي يتلاءم بها بعض الأزواج ؟ لا شك أن هناك بعض الناس الذين نتآلف معهم فوراً . فعندما نشعر عند أول لقاء وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات ، فتلك استجابة بديهية منا بسبب التجارب المماثلة على مدى سنوات طويلة في الماضي ، والتوقعات المشابهة للسنوات القادمة . إن لدينا توافقاً في التراث والرؤى ، وعندما يضاف لذلك إحساس لطيف بالألفة الجنسية والثقة أنه لكلينا الموارد العاطفية التي تجعل كل واحد يقدم المعونة للآخر ، فإن الكيمياء تؤدى دورها على عدة مستويات . إنها اعتراف غير منطوق بوجود تجاذب متبادل ، وأن كلينا يتواصل جسدياً وعاطفياً وعقلياً. إن هذه المقدرة على التواصل على جميع المستويات هي جوهر العلاقة الناجحة.

وقبل الانتقال إلى الأمكنة التي يمكن أن نجد فيها المرشحين للقيام بدور شريك الحياة ، فهناك سبب آخر لفشل جيلنا الحالي من المتزوجين الذين يعيشون في أبراج عاجية في مسايرة واقع الحياة الزوجية والتأقلم معها . إنه التوقعات . دعني أوضح هذه النقطة .

هناك فتاة مسيحية من سريلانكا ، طارت إلى كولومبيا لتلتقى بابن أحد أصدقاء والديها كان يعتقد أنه يمكن أن يكون زوجاً ملائماً لها . وبعد أن التقيا مرتين فقط قررا الزواج ، والآن وبعد عدة سنوات من الزواج تسير الأمور على ما يرام . والفكرة هنا ليست عن مزايا ومساوئ الزيجات المرتبة . إنها عن موضوع التوقعات . فقد اعتبر هذان الزوجان أن كلاً منهما يصلح للآخر .لقد تحملا مخاطر الزواج لأنهما لم يتوقعا زواجاً كاملاً من كل الوجوه ، بل زواجاً موفقاً. كانت توقعاتهما الزوجية أكثر تواضعاً من توقعاتنا ، ولكن كان التزام كل واحد منهما نحو

الآخر كبيراً . والنتيجة إن ذلك قد أدى للسعادة الزوجية (إن هذه العلاقة التى كانت خلفيتها طائرة نفاثة تختلف كثيراً عن تلك التى ذكرتها فى الفصل الخامس حيث سافرت استرالية إلى لندن لتقابل صديقاً . ففى حين أن تلك كانت تبدو أنها علاقة رومانسية مخططة لتجنُّب الاضطرار لاتخاذ قرار قاس بشأن الالتزام ، إلا أنه فى حالة هذه الفتاة الأسيوية كان الزوجان واقعين فيما يتعلق بالتوقعات الزوجية واستعدادهما لاتخاذ قرار الزواج) .

إن توقعاتنا الغربية الحديثة مختلفة تماماً . إننا نبحث عن درجة كمال تصل نسبتها إلى ما يقرب من ١٠٠٪ فى رهان الوفاق قبل الإقدام على المغامرة الكبرى بالالتزام الذى لا يمكن الرجوع فيه . وفى حين أن ذلك يبدو منطقياً ، إلا أن الحقيقة أننا لن نحقق زواجاً سعيداً . **أولاً** ، لأنه لن يصل أحد إلى المقياس الذى نضعه لشريك الحياة المناسب ، **وثانياً** لأنه حتى لو وجدنا المرشح الكامل ، فإن وجهة نظرنا التى تلامس ارتفاع السماء فيما يختص بالزواج تعنى أنه على أحسن الفروض لن نصل سوى لمجرد الرضا عن الزواج . إننا نحاول أن نلغى عنصر المجازفة من الزواج بالبحث عن شخص كامل . ولكن ليس هذا من التدين فى شئ ، لأن الإيمان يعنى المجازفة مع التسليم لله .

ونحن يا من نبحث عن زوج ملائم بنسبة ١٠٠٪ ينتهى بنا الأمر بنسبة صفر فى المائة إلى لا زواج . ثم عندما تمضى السنوات فإننا نرتبط فى يأس بمن هم لا يتجاوزون نسبة ٤٠٪ بمستوى مقاييسنا . فلو كنا نهدف مثلاً إلى نسبة ٨٠٪ ، فربما كنا نجد مثل هؤلاء الناس ونتزوج بواحد منهم . هذه ليست مجرد نظرية ، فعدد كبير جداً من أصدقائى الذين رفضوا فرصاً جيدة فى الماضى ، قد بدأوا ، بعد مضى السنوات ، فى التعارف ، بأناس غير مؤمنين أو تزوجوا من مطلقين أو مطلقات .

إننا نحاول أن نلغى عنصر المجازفة من الزواج بالبحث عن شخص كامل . ولكن ليس هذا من التدين فى شئ ، لأن الإيمان يعنى المجازفة مع التسليم لله .

المال والجمال :

ولذا فقد توافقنى بشدة قائلاً : « نعم ، بالطبع . فنحن علينا أن نحذر من الوقوع فى شرك التوقعات الغبية المفرطة » ولكن أعرف ما تفعله أنت وأنا فى الكنيسة فى مساء يوم الأحد . فنحن نبحث عن أجمل الجميلات ، ونرفض فى لمح البصر اللواتى لا تصلن لمستوى الجمال الذى نبحث عنه . ونقفل باب الحوار مع المرشحات للزواج ، ونحذفهن من القائمة لأننا نرى نقصاً معيناً فى درجة التعليم أو قلة فى الدخل . إنك تفعل هذا وأنا كذلك ، والجميع يفعلون ذلك . والنتيجة ، إن تكوين صداقات جديدة فى المجال المسيحى ، أشبه ما يكون بكفاح لصعود جبل . فإما أننا رفضناهن كمرشحات للزواج وإما أنهن رفضونا . إننا بحاجة لإعادة النظر فى وجهة نظرنا اللاهوتية بشأن الحب (كيف يريدنا الله أن نلتقى بشريك الحياة) ثم نطلب من الله كل يوم أن يجدد أذهاننا حتى نتخلى عن العادات الفكرية القديمة المتأصلة فينا لنفسح الطريق لحرية إتّباع الوسائل الإلهية لحياتنا الرومانسية .

أين تجد شريك الحياة ؟

١ - *الكنائس الأخرى :*

هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً ؟ كيف يمكن أن أقترح عليك أن تفعل شيئاً غير روحى كالتجول فى الكنائس المجاورة للبحث عن شريك الحياة المطلوب ؟ حسناً ، فلتخبر نفسك أنك من المسكونيين الذين يبنون الجسور بين الكنائس المحلية . إن هذا يبدو أكثر روحانية . فلو كنت إنجيلياً وتعتقد أنه ربما يوجد أعضاء مناسبين من الجنس الآخر فى الكنيسة المعمدانية المحلية ، فلتكن معمدانياً ليوم واحد . إن السلوك المثالى كان يتطلب أن يقوم خادما الكنيستين بالتقريب بين العُزاب فى الكنيستين . فإذا لم يفعلا ذلك ، فلتكن معاوناً واعمل على خلق اتصالاتك غير الرسمية الخاصة بك . فليس هناك ما يدعو للشك والريبة من الناحية اللاهوتية فى رغبتك أن تتزوج ، ولكن ليس من الروحانية أن تعانى من القلق وأنت تبحث عن شريك الحياة . ولذا فلتتوقف عما يشلّ حركتك بتحليل الفكرة وتخلّص من القلق . إن ولائى لكنيستى لا يقلل منه

الانتقال الوقتى لأماكن أخرى فى ملكوت الله .

ليس هناك ما يدعو إلى الشك والريبة من الناحية اللاهوتية فى رغبتك أن تتزوج ، ولكن ليس من الروحانية أن تعانى من القلق وأنت تبحث عن شريك الحياة .

٢ - المؤتمرات والبرامج الدراسية :

عند مقابلة أناس جدد فى الكنيسة ، قد تكون هناك فرصة لتبادل كلمات قليلة أثناء شرب كوب من القهوة بعد انتهاء الخدمة . إن المؤتمرات المسيحية والبرامج الدراسية فى المقابل تتيح فرصة لعقد حوارات مفيدة . وهناك أنواع كثيرة منها ، تتراوح ما بين اجتماعات الصلاة لمدة يوم واحد إلى قضاء ستة أشهر لدراسة أحد البرامج . إنى أزكّى هذه الاجتماعات ، ليس فقط لأنها تقدم طريقة رائعة للقاء خاص ، ولكنك ربما تجد أن الله يستخدم البرنامج ليجرى تغييراً كبيراً فى حياتك .

٣ - مكاتب الكنائس :

إن الالتحاق بمؤسسة مسيحية لأعمال الخير ، طريقة ممتازة للقاء شريك الحياة . فأنت لا تعمل فقط مع مؤمنين عُزّاب آخرين متحمسين لإيمانهم ، ولكن معظم الذين يتصل عملهم بالمكتب يمكن أن ينطبق عليهم هذا التصنيف . وهذه طريقة رائعة ليس فقط للقاء أناس جدد ، بل أيضاً لرؤيتهم تحت ضغوط الحياة اليومية . العيب الوحيد فى هذه الطريقة احتمال نقص راتبك ، ولكن هل يمكن أن تضيّع هذه الفرصة ؟

٤ - الأعياد المسيحية :

إن شهرة الرومانسية فى بعض الأعياد المسيحية الشاملة تدعو للإثارة (قابلت الفتاة التى خطبتها ذات مرة فى عيد يطلق عليه « الشمس الكبرى » فى إيطاليا !). وعلى الرغم أنه يمكنك قضاء أسبوع أو أسبوعين مع المسيحيين فى بيئة يكون فيها المرء على سجيته يتيح الفرصة لتعلم الشئ الكثير من شخص آخر ، إلا أن هذه الطريقة لها عيوبها . **أولاً** ، فأنت لا ترى من جذب التفاتك فى بيئته الحقيقية ، **وثانياً** ، فربما كان يعيش على بعد مئات الأميال عنك .

وبالمناسبة ، من فضلك لا تفعل ما فعلته إحدى الفتيات ذات مرة فى أحد الأعياد المسيحية فى تركيا . فقد نزلت من الطائرة ، ثم ركبت السيارة واستعرضت بعض الرجال المؤمنين الذين أمكنها رؤيتهم ثم راحت تقطب وتعبس طوال الأسبوع . استمتع بالعطلة أولاً كعطلة . إن مقابلة شخص آخر متعة إضافية .

٥ - طريقة شبكة الاتصالات :

هذه هى طريقة البحث عن وظيفة . قرر ما تريد وبلّغ رسالتك بطريقة منتظمة من خلال أى شخص تعرفه قد يعرف شخصاً مناسباً لك . اعمل ذلك بجرأة دون أى بادرة تدل على شعورك بالضيق أو الإحراج . كن مندفعاً - ادع قادة الكنيسة ، الذين لم تكن قد قابلتهم من قبل واسألهم إن كانوا يعرفون شخصاً قد يكون مناسباً لك . قل لهم إنك تسدى لهم خدمة بجعلهم يلتقون ببعض عزابهم ، ولا ترض بكلمة (لا) كرد على سؤالك . لا تيأس من المحاولات ، حتى « كقاضى الظلم » الذى تحدث يسوع عنه ، يقررون أن أفضل طريقة للتخلص منك هى الاستجابة لطلبك .

هذه الطريقة هى بالضبط ما يفعله الناس الذين يحصلون على عمل فى الصحافة . فهم لا ييأسون من الظروف المعاكسة التى تحيط بهم ، أو من المحررين الذين يحاولون التخلص منهم . إنهم بدلاً من ذلك يظهرون مدى قوة تصميمهم حتى يرغب ذوو النفوذ والاتصالات فى رؤيتهم . كن فدائياً واستخدم أى وسيلة ، مهما كانت ملتوية لأنك تعلم أن هدفك مقدس .

أرجو أن يكون ما كتبته ذا فائدة ، أو على الأقل يقدم لنا تصوراً عن الأماكن المحتملة التى لا نهاية لها حيث نجد عدداً كبيراً من شركاء الحياة المؤمنين .

الفصل الثانى عشر

كيف نتبادل الحديث ؟

يشبه مشهد التعارف عند المؤمنين جملاً ذا سنامين . أحدهما يجعل من التعارف شيئاً ناجحاً. فالشباب من الجنسين يطلب الخروج كلاً مع الآخر أو يقبل الخروج مع أى شخص يحبونه دون حساب لما يقوله الآخرون . وهم يشعرون بالأمان والثقة فى جاذبيتهم من نحو الجنس الآخر . والحياة بالنسبة لهم تبدو دعوة واحدة طويلة الأمد. وفى الحفلات التى يذهبون إليها ، لا يفكرون إن كانوا سيقابلون أحداً أم لا ، ولكنهم يفكرون عمن سوف يخرج معهم .

والسنام الآخر الذى يمثل المجموعة الأخرى من الشباب الذين يعقدون حفلات يرثى لها ، لا يحضرها أحد . وهم لم يتعارفوا بأحد منذ مدد طويلة ، وفى حالة من الكآبة المفرطة لأن ضعف الثقة يجعلهم أقل استعداداً لخوض المغامرات مع الجنس الآخر . وكلما ابتعدوا عن التعامل مع الآخرين ، ازدادت عدم ثقتهم فى أنفسهم بالنسبة للجنس الآخر ، وهو شئ يمكن أن يلحظه شريك الحياة المستقبلى . خذ حالة اثنين من زملائى .

إنى أعيش مع بول فى نفس الشقة ، وهو شاب محبوب ولكنه خبيث وهو فى الثلاثينات من العمر ، وقد انضم إلى الكنيسة مدة أطول منا جميعاً ، وقد تعرف هذا الأسبوع بخمس فتيات . وقد عاد الليلة الماضية من الموعد الأول مع فتاة لا يعرفها من أرقى طبقات المجتمع ، وقد تعرف عليها لأول مرة عندما اتصلت تليفونياً بمكتبه عن طريق الخطأ ! وقد أحب بول سماع صوتها ، وبدلاً من أن يضع السماعة ببساطة قائلاً « الرقم خطأ » ، فقد استطاع بدهاء أن يجعلها تتحدث لمدة عشرين دقيقة . وقد تبادلا أرقام التليفونات ، وبعد أن تحدثا عدة مرات أخرى فى التليفون وافقت على مقابلته . وما أدهشنى أن هذه الفتاة – التى التقى بها عن طريق الصدفة – اتضح أنها ممن تذهب إلى الكنيسة باستمرار . والآن ، فإن بول يعتبر أن اثنتين منهما ليستا ملائمتين كهذه الفتاة . ولكن ما عمله بول يلقى الضوء على ثراء الحياة الاجتماعية بالنسبة لمن يقدمون

على المجازفات .

وهناك شاب آخر ، سوف أطلق عليه اسم سيمون . وهو شاب ليس واثقاً من نفسه إلى حد كبير ، وقد طلب فى الشهور القليلة الماضية أن يخرج مع فتاتين بعد أن تكوَّن عنده انطباع بأن الإعجاب متبادل بينهما وبينه . وقد خُذل فى كلتـا المرتين - فالفتاة الأولى ربما كانت تعبث فقط ، والثانية وإن كانت قد أعجبت به فى البداية ، إلا أنها حولت اهتمامها بعيداً عنه عندما لاح فى الأفق من هو أفضل منه . ولكن بغض النظر عمن كان مصيباً أو مخطئاً ، إلا أن سيمون يعد مثلاً لمن طُعن مرتين وازدادت عزلته . وهو الآن فى غاية التردد إذا فكر فى التعرف بأى فتاة . وربما يمضى وقت طويل قبل أن يتخذ الخطوة الأولى ، وإذ نعرف شدة المحنة التى مر بها ، فمن غير المحتمل أن يواجه الحياة بثقة كبيرة . وعلى أى حال فقد يعانى شخص ما من الرفض المتكرر ؛ ولذا فإن الواثق من نفسه يصبح أكثر ثقة والمتردد يصبح أكثر تردداً .

والآن فبفضل عدد الفتيات المؤمنات اللآتى يشكين أنه لم يطلبهن أحد للخروج ، فإنىَ أعتقد أن عدد من يشابهون حالة سيمون أكبر بكثير ممن هم على شاكلة بول . فما الذى يمكن أن نفعله إذن فيما يختص بمشهد التعارف الباعث على الانقباض عند المؤمنين من الشباب ؟

إنى أوجه دعوتى لكل من يمثل السنام الثانى فى جَملنا الذى تحدثنا عنه لأقدم لهم قليلاً من الأفكار التى تساعدهم لكى ينتقلوا إلى المجموعة الأخرى التى تمثل السنام الأمامى .

احصلوا على المتعة :

هاك فكرة أساسية يجب أن يكون التعارف متعة ، وليس وقتاً عصيباً يجعلنا نقلق بشأن كل مقابلة أخرى نخرج فيها للتمشية سوياً ، وهى لا تشبه لعبة البوكر المحفوفة بالمخاطر والتى لا يجرؤ فيها أحد على كشف ما معه من أوراق ، وهى ليست عملية تحدد إذا ما كنت سوف تتزوج أو تقضى حياتك كلها وحيداً . كلا ، يجب أن يكون وقت التعارف وقتاً سعيداً ، تتعرف فيه على أفراد من الجنس الآخر . إنه يجب أن يكون وقت مرح وصخب - نفعل فيه أشياء غريبة مضحكة ، نتبادل فيه القصص ونحيا حياتنا بكاملها .

يجب أن يكون التعارف ممتعاً وليس وقتاً عصيباً يجعلنا نقلق بشأن كل مقابلة أخرى نخرج فيها للتمشية سوياً .

ولكى نتأكد أننا نتحدث لغة واحدة فيما يتعلق بالتعامل بشأن التعارف فإننا بحاجة ضرورية أن نتفق على بعض القواعد الأساسية . وإنى أقترح أن نبدأ بمشهد للتعارف يكون فيه اللقاء مجرد مناسبة اجتماعية دون أى توقعات ، أو مزايا قاصرة على اثنين فقط . فعندما تطلب أن تخرج مع شخص ما أو توافق على موعد معين ، فأنت لا تفعل شيئاً سوى التخطيط للحصول على بعض المتعة الحلال مع شخص آخر لبضع ساعات قليلة . فأنت لا تعلن أنك تعتقد أن هذا الشخص هو الوحيد الذى يصلح لك . فهذا التفسير يكفى لكى ينفر أى شخص منك لأنه يعادل ما يقوله شاب لفتاة لا يكاد يعرفها « أريد أن أقضى نصف حياتى فى الشخير بجوارك على السرير ، وباقى الوقت فى مضايقتك بعاداتى الأخرى السيئة » .

وكلما تعارفنا على أناس على سجيتهم ، ازدادت الصداقات التى ننميها مع الجنس الآخر ، والتى تكون سبباً فى ازدياد العلاقات الرومانسية . إن مشهد التعارف عند المؤمنين يغلب عليه أناس يحاولون تقييم ملاءمة كل منهم للآخر من على بعد كبير . فكما أنك لا تستطيع أن تقرأ كتاباً يبعد عنك ١٠٠٠ ياردة ، فهكذا نحن بحاجة أن يقابل كل منا الآخر وجهاً لوجه حتى يعرف بعضنا بعضاً جيد المعرفة .

وعلى سبيل المثال ، فإذا لم تخرج مع شريك الحياة المحتمل من قبل ، فأنتما لا يعرف كل منكما الآخر حتى لو كنتما قد قضيتما أوقاتاً كثيرة معاً ضمن مجموعة من الناس . ولذا فإن طلب تحديد موعد للخروج أو الموافقة على موعد ليس قراراً خطيراً . فكل ما فى الأمر أننا نبحث عن احتمال تكوين صداقة . وبعد أن تصبح الصداقة متينة حقاً ، فنحن بحاجة للتفكير فى الخروج سوياً دون أن نصطحب أحداً آخر .

عندما نقرر ألا نطلب من أحد أن نخرج معه أو نرفض طلباً للخروج مع أحد ، فيجب أن يكون ذلك على أساس أننا نعتقد أن التناغم محدود جداً لدرجة أنه ليس هناك احتمال لتكوين

صداقة ، دع عنك إنشاء علاقة رومانسية . دعنا لا نحكم على الناس بمقياس الشريك المثالى حتى نعرفهم أولاً . فطالما أن طلب التعارف أو قبول التعارف ينظر إليه باعتباره رغبة قوية فى الزواج ، فسيظل مشهد التعارف عند المؤمنين قاصراً عن أداء دوره الواجب ، فعلينا أن نسترخى.

بالطبع يمكن فى بعض الأحيان أن تتحرك الأشياء بسرعة فائقة ، وتصبح العلاقة المتينة فى وضع الحركة قبل تنمية الصداقة الأساسية ، فقد شهدت ذلك ، وأحيانا تفلح هذه العلاقة . ولكن عموماً فإن تكون جاداً مع شخص لا تكاد تعرفه قبل أن تستطيع التعرف عليه جيداً فهذا ليس شيئاً مثالياً . إنى أعتقد أن اتِّباع أسلوب الهدوء فى التعارف ، ومعرفة عدد كبير من الناس على مهل ، يجب أن يكون هو الأسلوب الشائع . والآن إلى الفكرة الأساسية الثانية .

خذى المبادرة :

دعنا نوضح ذلك . هذه نصيحة للأخوات ! وبعد أن كنت أتبع الأسلوب الصحيح فى كل ما كتبته فى هذا الكتاب ، لا أريد أن أزعج دعاة الفكر الإنجيلى المتشدد فى هذا الجزء الأخير . فبعد أن أوضحت ذلك ، أستطيع أن أسمع فريق النساء يقلن : « ولكننا فتيات مسيحيات مؤمنات لا نفعل شيئاً مشيناً مثل هذا » .

يمكن أن تدعوننى متبلداً ، لكننى أرى أنه ليس من الانحطاط الأخلاقى فى شئ أن تأخذى المبادرة ، وهذا لا يعنى أنك إما أن تكونى « سهلة » أو « يائسة » ، بل إن ذلك علامة على أنك فتاة ذات عزيمة وتصميم تعرفين ما تريدين ولست مستعدة لأن تجلسى سلبية طوال السنوات القادمة فى انتظار الزواج . ولا يعد تعقب الرجال أمراً غير كتابى - انظر إلى تلك المرأة الرائعة الأمينة راعوث ، فبعد أن التقطت الفكرة من نعمى ، فإن راعوث هى التى تقدمت بالخطوة الأولى نحو بوعز . وبذلك فهى لا تحصل على رجلها فقط ، ولكن بوعز يوضح أنها لم تصغر فى عينيه لأنها اتخذت أول خطوة ، بل أنه يشد من أزرها قائلاً لها : « جميع أبواب شعبى تعلم أنك امرأة فاضلة » . وانتقادى الوحيد على راعوث أنى أعتقد أن كشف الغطاء عن قدمى بوعز كان حيلة ماكرة من ناحية راعوث ! .

وهناك ما هو أكثر من ذلك . ففى الأصحاح الثالث من نشيد الأنشاد فإن صديقتنا « نرجس شارون » لا تجلس فى البيت مكتئبة بشأن حبيبها الذى اختفى عن الأنظار . كلا ، إنها تستيقظ فى وسط الليل وتطوف فى كل أنحاء المدينة حتى تجده . فالكتاب المقدس يتحدث مرة أخرى مؤيداً بحث امرأة عن رجل .

إن هذه الصورة للنساء اللآتى تأخذن زمام المبادرة مرسومة على الستارة الخلفية لمجتمع يتميز بسلطة الأب المطلقة على العائلة منذ آلاف السنين ، فأى عذر إذن للمرأة العصرية المسيحية التى تعيش فى مجتمع يتساوى فيه النساء مع الرجال حتى تجلس دون حركة كزهور الحائط ؟

السبب الأول يا أخواتى أن تفكيركن لا يزال خاضعاً لسيطرة عادات مجتمع يسوده الرجال ويقومون فيه بكل الخيارات . والسبب الآخر والأقوى ، هو الخوف من الرفض . فأنتن ، كالرجال ، لا ترغبن فى المجازفة لئلا تُرفضن . ولكن أيهما أردأ ؟ الجلوس شاكيات حتى يمر بكن فارس أحلامكن ؟ أو أن تتسمن بالقوة والشجاعة ؟ وبما أننا نحن الرجال نعرف جيداً الحرج الكامن فى التقدم نحو الآخرين ، فلربما تجدوننا متعاطفين معكن لو تقدمتن بالخطوة الأولى .

الشجاعة والوضوح :

إننى أجد مشهد التعارف لدى المؤمنين يدعو للسخط ، فهناك غباء واضح يتصف به الكل . خذ مثلاً حالة صديقة لى ، اعتقدت اعتقاداً قوياً أن رجلاً تحبه كان هو أيضاً حريصاً عليها ويعزها . ولكن لا أحد منهما كانت لديه الشجاعة ليعلن ذلك للآخر . لم يكن أى منهما على استعداد لتعريض نفسه للرفض من قبل شخص كان مغرماً به . كان كلاهما يحضران نفس الكنيسة ، وأخمِّن أن كلاهما كانا يخشيان من القيل والقال لو تقدم أى منهما نحو الآخر . والآن بعد مضى عدة شهور ، فقد يئست منه وهى لا تحاول حتى أن تتحدث معه . إنه شئ محزن . وهذا شئ يحدث كثيراً .

لدى صورة فوتوغرافية لأول حب جاد فى حياتى . إنها تقبض على باقة من زهور القرنفل الأحمر قدمتها لها . وهى تبتسم . كنت قد طلبت منها أن تخرج معى ، وكان كل تعبير على

قسمات وجهها يقول « إنها تحبنى ! ولسوء الحظ ، ففى نفس تلك اللحظة ، كنت أتثاقل فى خطواتى عائداً إلى حجرة المذاكرة وتفكيرى يجرى هكذا « إنها لا تحبنى ، حسناً ... فعلى الأقل أنا الذى طلبت الخروج معها » ، يا للحسرة ، فقد كان ردها عندما قلت لها عبارتى « أود أن أقضى مزيداً من الوقت معك » العبارة التالية : « ولكن يا إيان ، عليك أن تجتاز الامتحانات فى هذا الجزء من العام الدراسى » . إن ما قالته كان تعبيراً عن اهتمامها بى ، لكن اعتبرته نوعاً من الرفض المؤدب . تخرجت ونسيت كل شئ عنها . وتساءلت هى عن سبب عدم متابعتى لاهتمامى الأول الواضح بها . وبعد ستة شهور وصلنى خطاب وجدته فى صندوق البريد يحوى كتابة غير مألوفة . فقد سمعت من صديق لكلينا أننى كنت مهتماً بها وأرسلت خطاباً تتساءل فيه إن كان يوجد شخص آخر فى حياتى ... وإن كان الوقت قد تأخر كثيراً ولكنه لازال يوجد وقت ! فقد قضينا عاماً سعيداً .

إن الله وحده يعلم كم عدد علاقات الحب المبهجة التى أضعناها لأننا لم نجد الشجاعة لنكون واضحين .

ولولا شجاعتها لما تقابلنا سوياً . وسواء كان سوء الفهم الأول راجعاً لى أو لها فهذا لا يهم . والفكرة أنه عندما يعبر شخص مثلى أو مثلك بعصبية عن الاهتمام بفرد من الجنس الآخر ، فالكلمات التى تخرج مسرعة قد لا تكون واضحة ، فيمكن للمستمع أن يحصل على الانطباع الخاطئ . والله وحده يعلم كم عدد علاقات الحب المبهجة التى أضعناها لأننا لم نجد الشجاعة لنكون واضحين .

تخيل السيناريو التالى :

هو يقول : « هل أنت غير مشغولة بأمر ما يوم الثلاثاء ؟

وهو يفكر هكذا : ها أنا قد قلتها أخيراً .. لقد سألتها إذا كانت ترغب أن تكون صديقتى .

وهى تسمع العبارة هكذا : هل يوم الثلاثاء يوم مناسب ؟

وهى تقول : إنى آسفة ، إنى مرتبطة فى ذلك اليوم .

وهى تعنى أن تقول : هناك العديد من الأيام الأخرى أكون فيها غير مشغولة .

وهو يفكر هكذا : إنها غير مهتمة بى .

إذا كنت تريد أن تستجمع شجاعتك لتطلب الخروج مع شخص ما ، يجب أن تكون صادقاً مع نفسك وواضحاً تماماً فى نواياك تجاه الطرف الآخر ، لأنك تكشف عن دخيلة نفسك ، مبيناً رغبة قلبك ومخاطراً بتعرضك للرفض .

القيل والقال :

إن التعرف على شخص معروف لك جيداً يكون أكثر مجازفة ، وكلاكما تخشيان أن تصبح علاقتكما حديث أعضاء الكنيسة . فى كنيستى ، انتقل عدد من الأعضاء إلى كنيسة مجاورة بعد انهيار علاقتهم مع أفراد فى الكنيسة . إن الضغوط عليك تقل إذا خرجت مع شخص غير معروف لمجموعة أصدقائك - شخص لا يشكل أهمية كبرى فى حياتك الاجتماعية . ولكن هذا يؤدى للموقف المروع حيث يكون الناس الذين نعرفهم جيداً ونحبهم حقاً هم الذين لا نطلبهم للخروج معهم . عندما تتعرض الصداقة القائمة لكثير من الأخطار ، فإننا لا نتعرف إلا على الغرباء . ولا يصح أن تكون الأمور هكذا .

لأجل عينيه فقط - رسالة خاصة للرجال :

أخى العزيز :

أين الخطأ ؟ لماذا لا نحقق نجاحاً أكبر ؟ وجهت أسئلة بهذا الصدد لبعض الفتيات اللاتى قدمن لى قليلاً من اللمحات المفيدة فيما يتعلق بمواضع الخطأ . أول شئ قلته إننا مفتونون بالجمال ولا نطلب التعارف سوى مع أجمل الفتيات . حسناً ، إن هذا غير صحيح تماماً لأنى أعرف صديقاً ، طلب التعرف بفتاة عادية تماماً منذ عشر سنوات . ولكن يا أصدقائى ، ربما يكون النساء على حق . ففى حين أنه شئ لطيف أن يكون لديك زوجة جميلة تجعل زملاءك يحسدونك عليها ، فإنى أعتقد أننا يجب أن نبحث عن زوجة وليست متاعاً ثميناً نتباهى به أمام الآخرين . ولهذا السبب فإننا بحاجة لشخص يكون ناضجاً وجذاباً . والفتيات الجميلات اللاتى يتفوقن فى

تلك النواحي قليلات . وعلى أى حال فهل تريد زوجة يطاردها الرجال الآخرون بعد أن تكون قد وضعت خاتماً حول إصبعها ؟ إنى لا أنكر أهمية أن تجد زوجتك جذابة جنسياً ولكن إذ تهدف إلى الحصول على زوجة من طراز فريد ، فنحن بذلك لا نقلل فقط من فرص التعرف مع أى فتاة ، ولكننا من المرجح أن نضيع فرصة الحصول على زوجة أفضل من ذلك بكثير ، زوجة تقية تجلس إلى جوارنا فى الكنيسة . ومن المرجح أن مثل هذه الفتاة تنتظر أن نطلبها بفارغ الصبر . ولذا فلا تشغل نفسك بالجميلات - فلو كن مهتمات بنا فإنى أعتقد أنهن سوف يطلبن التعارف .

ولننتقل الآن من الشخصية التى نبحث عنها إلى الشئ الذى نبحث عنه . إن النساء يجدن أنه من الجنون أن نضحى بحياة حافلة بالمتعة معهن لأجل لذة عابرة . إننا نضيع فرصتنا ، ونخاطر باللجوء إلى من قد لا يرحب بنا ثم نتساءل عن سبب تعرضنا للرفض . أيها الشبان ، عندما نتعرف فنحن نكون عرضة للنقد . والشبان الذين يحبون الحصول على المتعة يقربون من فتيات دون اكتراث بشرفهن ، ومن المرجح أنهم لن يصلحوا لكى يكونوا أزواجاً أمناء فى المستقبل .

وللنساء أيضاً استفسارات عن الطريقة التى تخرج بها معهن . فمعظمهن مجرد معارف عندما نطلب منهن الخروج لأول مرة ونحن نتوقع منهن أن يصبحن عاشقات من الطراز الأول . لماذا لا نوضح ما نريده جيداً وأننا نهدف أولاً مجرد الانتقال من خانة المعارف إلى خانة الأصدقاء ؟ ليس هذا تداعياً للألفاظ ، ولكنه أيضاً يدل على نوع التعارف الذى نريده . إن بعض الفتيات تحب أن ندعوهن مباشرة إلى صالة رقص الباليه ، ولكن أخريات ممن ترغبن فى معرفتك بصورة أفضل ربما يصبحن أكثر سعادة إذا دعوناهن لتناول الطعام فى أحد المطاعم أو لمجرد التمشى فى أحد المتنزهات . إن العلاقات الفورية نادراً ما تصلح ، ولذا دعنا لا نخيفهن ، بل لتكن العلاقة متدرجة . ربما يكون الشئ المثالى هو الصداقة التى تتحول إلى علاقة رومانسية بالتدريج دون أن تكون هناك لحظات توتر لطلب الخروج سوياً . إن العلاقات التى تنهار بالكلمات الجوفاء « لنكن أصدقاء » ربما كان من الممكن أن تتاح لها فرصة أفضل لو كانت قد بدأت بالصداقة .

فلنتجه نحو هذا الهدف النهائى ، ولنتعرف على العديد من الفتيات . ولو اعتذرت إحداهن عن الخروج معك ، فليس فى ذلك اعتداء على كرامتك . ولتوضح لهن الهدف من التعارف . ولا تقلق إذا لم تفهم بعض الفتيات هدفك من التعارف واعتقدن أنك تهدف إلى الزواج ،فى حين أن كل ما عملته أنك دعوتهن للتعارف بهن . فإذا اعتقدن ذلك فهذه مسئوليتهن . إن مسئوليتك فقط أن تجعل نفسك واضحاً . إن شعورهن شئ يرجع إليهن . على أى حال ، فإذا تناقل البعض عنك أنك شاب على « سجيته » وأن سلوكك لا غبار عليه ، فلن يسعد فتيات كثيرات أن يخرجن معك فقط ، ولكنهن يأخذن فكرة صحيحة عنك .

وعندما تحاول الاقتراب من فتاتك أكثر ، فلتفعل ذلك بحكمة . لا تقبِّلها بلا سبب دون مقدمات ، بل حاول أن تلعب على وتر غريزة الأنوثة . لقد قيل لى إن الهدايا الرومانسية الصغيرة ، كعلبة شيكولاته صغيرة أو بعض الحلى الصغيرة يمكن أن يكون لها تأثير عظيم . ليس المهم أن تكون الهدية رخيصة الثمن مادامت تعبر عن مراعاة الشعور والاهتمام . وفى الوقت المناسب ، فإن الشعر يمكن أن يكون هو الفائز الأكبر - شئ ما يتعلق بالرجال « القدرة على التعبير عن عواطفنا الداخلية » مما تعتبره النساء جذاباً . وأن تكون شاباً لطيفاً وعطوفاً فقط لا يكفى ، فالنساء تريد رجلاً يشعرهن أنهن مطلوبات . وإذا لم تستطع أن تستغل الأسلوب الرومانسى عند التعرف ، فإنك ستصبح زوجاً كئيباً . وإذا أظهرت أنك رومانسى ومجامل وتعلمت فنون الإطراء المناسب ، فإنها تشعر بقيمتها .

ويقول لى النساء أيضاً إنهن يرون رجلاً ذا ثقافة رفيعة ، ممتعاً عقلياً وواسع الاطلاع . ويتميز بالوثوق فى ذاته دون تكلف ، فالإحساس العميق بالأمان يجعل الشخص جذاباً إلى درجة كبيرة . إنها موهبة لديك ولكنك قد لا تستعملها .

ولذا فبادر باستخدامها فتزيد ثقتك بنفسك - تماماً كتمرين العضلات فى الجمنازيوم .

صديقك المخلص

إيان

والآن فإنى أرحب مرة أخرى بقارئاتى من النساء اللاتى لم يقرأن الجزء الأخير ويمكن للرجال أن يتخطوا الجزء الأخير .

لأجل عينيها فقط - رسالة إلى قارئاتى من النساء .

أختى العزيزة :

هل أنت مثل سندباد (تعيشين على دخلك فقط ، وليس لديك أصدقاء من الذكور ، ويائسة) ؟ حسناً هاك بعض الأفكار القليلة النيرة عن الطريقة التى يعمل بها عقل الرجل .

فى البداية أقول إن عدداً كبيراً من الفتيات المسيحيات يقلن إن الرجال لا يطلبون التعرف بهن . وليس هذا صحيحاً ، فالذى يحدث :

(أ) إننا نقضى معظم أوقاتنا نطلب التعرف على تلك الفتاة الجميلة التى تجلس فى الصفوف الأمامية فى الكنيسة .

(ب) إنك لا تعدين الرجال الذين يطلبون التعرف بك لأنك لا تحبينهم أو ما هو أردأ من ذلك.

(جـ) فالرجال المهذبون يطلبون التعرف بك ولكنك لا تدركين ذلك . .

ما الذى يمكن أن نفعله إزاء هذه الحالة المحزنة ؟ حسناً ، دعنا نبدأ بما هو سطحى . إن الجمال مقياس شديد القسوة ، إنه ذو صلة بالنساء ، كما بالرجال . فأنت ترفض فرداً من الجنس الآخر على أساس نظرة واحدة . فليس من العدل أن تفعل ذلك بمن يكون الجمال عندهم / عندهن أقل من المتوسط ، وليس ذلك منصفاً أيضاً من الناحية الأخرى بالنسبة للجميلات لأنهن يصبحن محط إعجاب معظم الرجال حتى إن أفضل الشبان لا يلقون إليهن بالاً .

ولك حرية الاختيار ، فإما أن تقبلى هذه الأيدلوجية الدنيوية وتقضى كثيراً من الوقت وتنفقى الكثير من المال لتجعلى نفسك جذابة من الظاهر بقدر الإمكان . أو يمكنك أن ترفضى ذلك تماماً ، وتجلسى فى المسوح والرماد وتقولى إن الرجال عليهم أن يقبلوك كما أنت على حقيقتك فى الداخل . لماذا لا نتخذ وجهة نظر متوازنة بدلاً من ذلك ؟ فكما أن هناك رجالاً يستطيعون بذل

مجهود أكبر لكى ينقصوا من وزنهم ويبدون عناية أكبر بمظهرهم ، هناك أيضاً نساء لا تحاولن أن تفعلن ذلك .

ولنلق نظرة على الرجال الذين ترفضينهم ، هل تخبريهم لماذا لا تريدين الخروج معهم ؟ هل يرجع ذلك لهويتهم وكيفية توجيههم للسؤال ؟ فإذا كان الرفض بسبب هويتهم ، يكون من الدروس المفيدة لكليكما أن تذكرا السبب . فإذا كان السبب لأنك دوقة وهو كنّاس ، اذكرى ذلك السبب .. إن ذلك يدفعكما للتفكير فى الموضوعات الحقيقية المطروحة . إن الهدف ليس لكى تغيرى رأيك ولكن لكى يوضح كل منكما ما تهدفان إليه فى الحياة . وإن كان السبب يرجع لسنّه أو شكله أو طوله أو لافتتانه بالموسيقى الغريبة أو لرداءة رائحة فمه ، فإنه من المفيد أن يعرف كلاكما الحقيقة !

وإذا كنت تحبينه كأحد المرشحين للفوز بقلبك ، ولكن طريقته فى طلب التعارف غير ملائمة ، قدمى عرضاً بديلاً بدلاً من أن ترفضينه مرة واحدة . استجيبى لعرضه بحضور عشاء على ضوء الشموع مع اقتراح الغذاء ، وإذا لم تكونى واثقة منه وتريدى أن تفكرى جدياً فى الأمر ، اطلبى مهلة من الوقت . اطلبى منه أن يكالمك تليفونياً . إننا بحاجة لمكر الدبلوماسيين عندما نتعامل مع علاقة رومانسية . فبدلاً من أن تقولى « لا » ببساطة لشاب ، انتهزى فرصة جرأته لطلبه للتعارف لكى تجعلى من ذلك فرصة لتعلم خبرة بناءة لكليكما .

وهناك شئ آخر . أرجوك ، لا تفترضى أنه سوف يفهم ما بين السطور فى كلماتك ، إن الرجال يدور الحوار بينهم بالكلمات . وليس بالتلميحات . فهذه هى الطريقة التى تعلمناها . ولذا ، فعلى سبيل المثال ، إذا لم يكن قد مضى سوى أسبوع واحد على انهيار علاقة حب هامة فى حياتك ، ولم يكن ذلك بالوقت الأمثل للدخول فى علاقة جديدة ، فلتكونى واضحة ولتعلنى أنه فى ظرف شهور قليلة فإن ردك قد يكون مختلفاً عما هو عليه وقتئذ . وإلا فإنه سوف يفترض أنك لا ترغبينه هو.

إن موضوع الحوار غير المباشر يأتى بنا لموضوع اللغة التى نتحدثها بأجسادنا . إنى آسف

لكونى صريحاً أكثر من اللازم ، ولكن بعض الفتيات منكن ساذجات إلى حد كبير . خذى على سبيل المثال اللغة السلبية للجسد . فالنساء اللآتى تشكين أنه لا يوجد رجال فى حياتهن عليهن أن يأخذن فيلماً لأنفسهن بالفيديو . فالتجهم ، والعبوس ، والنظرة الذاهلة ، كل ذلك لا يجعل الرجال يرغبون فى القيام بمجازفة المبادرة للحديث معكن . ولا السلوك غير اللائق وذلك بأن يبدأ عدد من السيدات فى الحديث كل مع الأخرى على شكل دائرة كتفاً لكتف معطيات ظهورهن لبقية الناس . إننا نحب أن نتحدث إليكن ، ولكننا نفهم أننا لا نجد الترحيب اللازم . إن أجهزة الدفاع لديكن ترسل إشارات لنا تفيد التعالى المنفِّر لنا .

وهناك أيضاً الإيجابيات الكاذبة . خذ مثلاً حالة المرأة الغبية التى أظهرت دلائل الألفة والمودة ، ولكنها لم ترد أن تخرج معى . أو الفتاة التى دعت صديقاً لى إلى شقتها بعد منتصف الليل ، وجلست معه على الأريكة ثم دهشت عندما حاول أن يقبّلها .

إن موضوع مثل هذه الإشارات الجسدية ذو أهمية لأنها لها دلالات للقبول أو الرفض من جانبك .

إن القلق بشأن الرجال الذين لا يعرفون متى يوقفون - التحرش الجنسى - هو الذى يدفع النساء لمعاملة جميع الرجال بحذر بالغ . وفى حين أن بعضاً منكن أيتها الفتيات يذهبن لمنازلهن غير هيابات عن طريق الشوارع الخطرة بعد منتصف الليل (أنا لا أقصد هنا أن أستسلم للخوف)، إلا أن البعض الآخر يعانى من الشعور بالعصبية والخوف لدرجة أنكن تطردن الرجال من حياتكن كلية . فإذا كنتن خائفات ، فلتقترحن أماكن بديلة للتعارف حيث يمكنكن مقابلة الشبان مع شعوركن بالأمان .

بالنسبة للرجال ، فليس الخوف من الضعف هو الذى يعوق عملية التعارف ولكن الخوف من الرفض هو الذى يتسبب فى ذلك . فعلى سبيل المثال ، إذا طلبت منك أن نخرج معاً وأنت رفضت طلبى (من الصعب تصديق ذلك ، ولكن بعض الفتيات رفضتنى !) . فهل يمكنك مقاومة إخبار صديقاتك بشأن طلبى ؟ من هنا يمكن أن تفهمى أن الخوف الذى نعانيه نحن الشبان أنه فى حالة

علم صديقاتك برفضك لى ، فإنهن فى المستقبل لن يرغبن فى أن يراهن أحد وهن يخرجن مع من رفضتيه ! ولو سرت عنك شائعة بأنك مغرمة بالقيل والقال ، فلن نطلب الخروج معك لأن ذلك يقضى على فرصنا مع الفتيات الأخريات . هل تستطيعين أن تدركى الآن لماذا لا يطلب الرجال المؤمنون الخروج مع النساء المؤمنات المغرمات بالقيل والقال ؟ ولو تكرر هذا الخوف فى مجتمع كنسى مغلق ، فسوف ترى كيف أن القيل والقال أشبه ما يكون بصب صمغ نقى فى محرك الرومانسية . إن الحديث غير المسئول يكلف ثمناً فادحاً ألا وهو القضاء على العلاقات .

وهاك فكرة أخرى من علم نفس الرجال . إن النساء اللاتى يحاولن أن يظهرن بمظهر صعوبة الوصول إليهن لا يجعلن الرجال يتهافتون عليهن . كل ما فى الأمر أن ذلك يصيبهم بالضيق . إن عدداً قليلاً من الرجال تنطلى عليهم سياسة المرأة التى تحاول أن تعطى الانطباع بأنها مشغولة دائماً ، فهى تارة تقطع المحادثات التليفونية أو اللقاءات ، ونحن إما أن نفترض أنك لا تميلى إلينا فى الأصل - وننسى كل شئ عنك - أو نعتبر هذه السياسة عرضاً من أعراض الفكر غير الناضج الذى لا يستحق عناء محاولة التعرف على صاحبته . فإذا كنت مهتمة بنا حقاً ، فلتظهرى ذلك .

صديقك المخلص

إيان

أرحب بكلا المجموعتين من القراء مرة أخرى . ولدى ثقة كبيرة أنه ما من أحد قرأ كلا الرسالتين معاً ! وقبل أن أواصل حديثى ، يجب أن أخبركم عن قصة كين ، جد صديق لى . إنه فى السادسة والسبعين من العمر وقد أصبح أرمل منذ ثلاث سنوات بعد زواج دام لمدة خمسين سنة من امرأة رآها لأول مرة عندما كان يبلغ من العمر ١٤ سنة . وهو الآن يبحث عن امرأة جديدة فى حياته . ومشكلته ، مثلنا ، أنه أيضاً لا يستطيع أن يقرأ لغة الإشارات ! فعندما يكون فى النادى ويقابل امرأة لأول مرة ، لا يعرف كيف يتصرف إذا أظهرت اهتماماً به . فالتقدم المطرد

فى نمو الالتزام ، كأن يأخذ صديقته إلى السينما أو النزهة ثم الذهاب إلى منزلى والد كل منهما - قد اختفى . وهو يقضى وقتاً كبيراً من الوقت ، مثلنا ، فى التحدث عن العلاقات ، لأنه محبط .

واصل القراءة :

لأن هذا الكتاب قد أصبح حالاً شديد الفعالية فقبل أن نقرأ المزيد ، أخرج قلماً وورقة واكتب أسماء خمس فتيات تحب أن تتعرف عليهن . إذا لم تستطع أن تفكر فى خمس فتيات ، فأنت تحتاج حقاً لأن تزيد من سرعة دوران حياتك الاجتماعية . لا فائدة من مجرد إعادة قراءة الفصل الأخير لتعرف أين يمكن أن تجدهن ، فأنت بحاجة لتطبيق ذلك عملياً أيضاً . ولمن لديه قائمة بخمس (أو أكثر !) ، عندى سؤال ، ما هى استراتيجيتك للاقتراب من كل واحدة ؟ هل تعنى أنه ليس لديك خطة ؟ هل تقول إنك لم تبدأ فى التعرف على أى واحدة منهن ، هذه العملية الرومانسية يجب التعامل معها كما لو أنها بعض من خصائص العمل التجارى . الواقع ، إن هذه الحياة قصيرة جداً لدرجة أن عثورك على شريك الحياة لكى تنشئ عائلة معه ، أهم بكثير من أى عمل تجارى . فإذا كنا نهتم بوضع خطة للأعمال التجارية ونهتم بطريقة التنفيذ ، فمن المهم ألا نضع خطة للتعرف فقط ولكن أن نتابع هذه الخطة بدقة بالغة .

وكما أنه لا يستطيع أحد أن يحصل على وظيفة دون التحدث مع المدير ، هكذا لا أحد منا يمكن أن يحصل على مواعيد دون الحديث مع أولئك الذين نريد التعرف بهم . دعنا نعمل قائمة بالأماكن التى سوف ندعو إليها الفتيات التى يمكن أن تصبح شريكة للحياة ، ثم نسير فى خطتنا بطريقة منظمة .

وكما فى الأعمال التجارية أو فى الحرب ، فمن المتوقع حدوث انتكاسات غير متوقعة . فسوف تكتشفين أنه قد بدأ يخرج مع إنسانة أخرى وسوف تكتشف أنها قررت أن تهاجر (لأنه لا أحد من الرجال فى كنيستها قد عبر عن أى اهتمام بها) . وكما أنه توجد الانتكاسات ، هناك فرص جديدة . فعند مطاردة فريد تجدين أن لديه أخ أكثر جاذبية يدعى جون . وفى أثناء

تعقب جاكى تجد أن لديها صديقة ممتعة تدعى جانيت . لاحظ أن كل هذه احتمالات حدثت لأنك بدأت تنفذ خطتك . إن الحلم ليس كافياً ، والتفكير ليس كافياً . عليك بالتحرك الذى لا بديل عنه وإلا فهناك الجمود والحذر .

إن الحلم ليس كافياً . والتفكير ليس كافياً . عليك بالتحرك :

شئ من التركيز

فى أحيان كثيرة نكون مثل آلان . فعندما كان على وشــك الالتحاق ببرنامج دراسى فى كندا ، اقتنع أن الله قد أخبره أنه سوف يتزوج ممرضة اسمها يبدأ بحرف (M) . ولذا ففى أثناء البرنامج وعندما التقى بممرضة تدعى مارى يعتقد أنها مرسلة له من السماء . ولا تقتنع مارى بكلامه ، ولكن آلان لا يحيد عن اقتناعه . وبعد عشر سنوات تخطب مارى .. إلى شخص آخر . فيتصل آلان بالخطيب ويقول له إن هذا الزواج ليس وفقاً للإرادة الإلهية . ولكن الخطيب ومارى لا يوافقان على ذلك . ويتم الزواج . والنتيجة ؟ يصاب آلان بأزمة ثقة وتضيع عشر سنوات فى سراب الخداع .

يوجد فى كل منا مايشبه آلان . انظر إلى الكثيرين الذين أعجبنا بهم من بعيد دون أن نفعل شيئاً . فمثل آلان ، أنت وأنا وكثيرون نقنع أنفسنا أننا جادون بشأن العثور على شريك الحياة ، ولكننا غالباً ما نتبع استراتيجيات تهدف إلى تجنب الزواج . والدليل على ذلك أننا نقضى أوقاتاً هائلة فى التفكير فى العلاقات ولا نقضى سوى القليل من الوقت أو لا وقت على الإطلاق لاتخاذ أى خطوة عملية لتوثيق هذه العلاقات ووضعها فى حيز التنفيذ . بالطبع يمكن المبالغة فى اتخاذ الخطوات العملية ، ولكنى أعتقد أن معظمنا بعيد جداً عن أن يكون موضع الاتهام بتهمة التحرش الجنسى .

خاتمة

إلى أين نحن ماضون ؟

لقد رسمت صورة لمشهد التعارف غير المشجع لدى المؤمنين والذى لا يلتقى فيه أعداد كبيرة من الفتيان والفتيات المؤهلين للزواج . إنهم قد يذهبون إلى كنائس لا تبعد عن بعضها البعض سوى عدة أميال قليلة ، ولكن بلا تفاعل اجتماعى بين الكنائس ، فقد لا يلتقون بعضهم ببعض إلا عن طريق الصدفة . وحتى إذا التقوا فعليهم أن يتغلبوا على تقاليدهم المحافظة وشكوكهم الخاصة قبل أن تتطور العلاقة فيما بينهم .

وكأفراد علينا أن نفعل الشئ الكثير للخروج من هذا المشهد المنهك للقوى . فلو تصدينا لمخاوفنا ، وفكرنا تفكيراً مبدعاً فى المكان الذى يمكن أن نلتقى فيه بالشخص الذى نرغبه ، ثم نأخذ المبادرة بأنفسنا ، يمكن أن نخلق فرصاً جيدة لعقد قران ناجح قبل فوات الأوان .

ولكن فيما وراء آمالنا الشخصية وأحلامنا ، هناك مهمة كبرى علينا أن نقوم بها . إن الألفية التالية قد أوشكت على الإطلال علينا وأى كنيسة تريد أن تنجح عليها أن تتأكد أن الشباب كعزاب يكونون جزءاً نامياً وناهضاً من الكنيسة أو المجتمع ككل . فهذا الفريق الذى لا يزيد فى العدد فقط - بالفعل أكثر من ثلث المجتمع - ولكنه الفريق الذى يشعر بتعاسة متزايدة داخل الكنيسة . لأن العزوبية اللا إرادية بين المؤمنين تسبب كثيراً من الحزن ، والعديد من الانحرافات ، وهى تشغل الكثير من وقت الراعى . علينا أن نفحص بصورة عاجلة العقبات التى تقف فى طريق خلق زيجات مسيحية .

أولاً ، وأهم كل شئ فإن فكرنا الدينى عن الحب - أى وجهة نظرنا عن الطريقة التى يريدنا الله بها أن نلتقى ونتزوج - بحاجة لإعادة تقييم شامل . فطالما أن أعداداً كبيرة من المؤمنين قد تعلموا أن ينتظروا حتى يقدم لهم الله الزوج أو الزوجة المناسبة ، فمشكلة العزوبية اللا إرادية سوف تزداد حدة . إن كنائسنا بحاجة أن تعلمنا أنه فى العلاقات ، كما فى جوانب الحياة

الأخرى . فإن الله يريد شعباً مؤمناً نشطاً وليس فريقاً سلبياً يدعو للرثاء ، إنه يريد شعباً يصلى بنشاط لأجل العلاقات . ويعمل بنشاط لكى ينمو .

فنحن ككنيسة بحاجة لنسأل أنفسنا إن كان فشلنا فى تقديم العون للعُزّاب حتى يجدوا شركاء لحياتهم أمراً غير ذى بال أم أنه فى غاية الأهمية . إننا بحاجة للتخلى عن تحيزنا فيما يتعلق بكل شئ بدءاً من الزيجات التى كانت تعقد منذ قرون ، حتى وكالات عقد الزيجات والتعارف عن طريق الكمبيوتر للبحث عن أفضل الطرق لزيادة عدد المؤهلين والمؤهلات للزواج الذين يمكن للعزاب من الجنسين أن ينتقوا منهم . إن الكنائس التى سوف تجذب العزاب فى الألفية الثالثة هى تلك التى ترعى الحاجات الاجتماعية كما تهتم بالجوع الروحى . إن هذه الكنائس سوف تعقد اجتماعات روحية واجتماعية لعزابها ، وهى تهدف وتعمل على نضجهم أمام الله وإعطائهم الفرصة لتكوين الصداقات والزيجات التى يرغبونها والتى تسر الله . إنى أتنبأ بأن هذه الكنائس المغناطيسية سوف لا تجذب العُزّاب فقط ، ولكنها سوف تحتفظ بهم حتى يكوّنوا علاقات تؤدى لعقد زيجات وإنشاء عائلات .

إن تلك الكنائس التى تصرّ على إهمال عُزّابها سوف تشهد خروج الشباب منها بعد دخولهم إليها بوقت قصير . وسوف تتسرب المكاسب التى حصلت عليها عن طريق الكرازة من الشباب إلى الكنائس الأخرى – أو تعود إلى العالم مرة أخرى . إن العزّاب رغماً عنهم والذين يبقون فى تلك الكنائس سوف يفعلون ذلك على الرغم من فشل كنائسهم .

ولذا فإن الخيار المطروح أمام كنائسنا : إما أن تنمو لتتحول إلى مجتمعات ناهضة يلتقى فيها الشباب ويتزوج وينجب ويكبر . أو تظل غير مبالية بالعُزّاب التعساء المرتدين . والكنائس التى لا تستطيع أن تفهم أن نمو الكنيسة أمر هام لأن حلقة الوصل مفقودة فى استراتيجية نمو كنيستنا هى السبب فى أزمة العزوبية اللا إرادية .

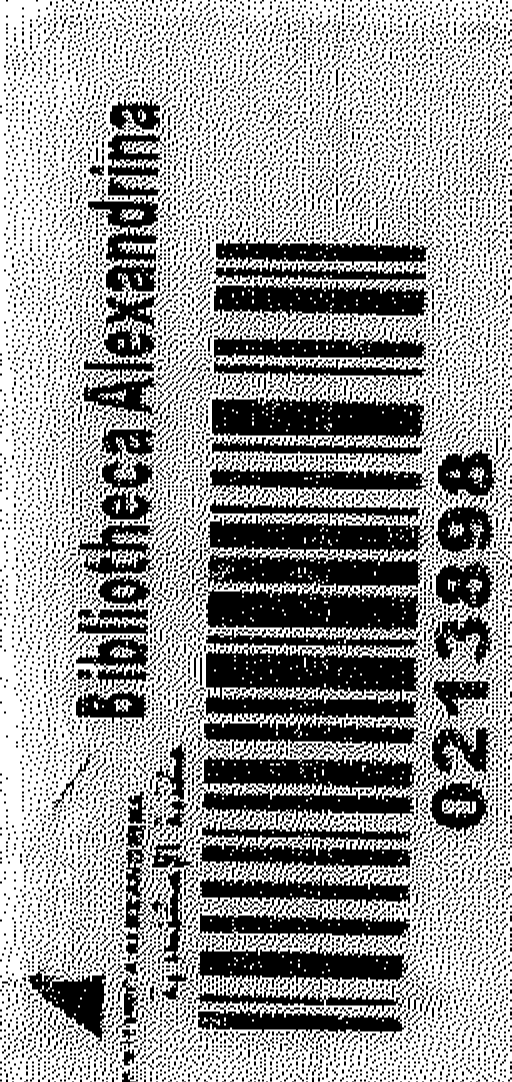
* لماذا تفشل علاقاتى دائماً بالجنس الآخر ؟

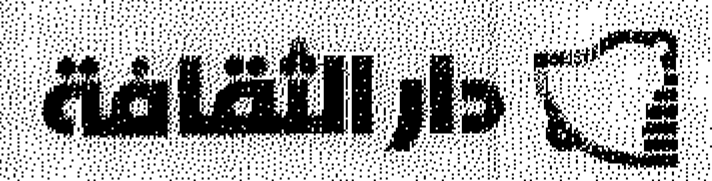
* هل يرتب لى الله شريكاً مناسباً لحياتى ؟

* هل يمكن الاستغناء عن ممارسة الجنس إذا لم أجد شريكاً مناسباً ؟

* هل على الكنيسة أن تقوم بدور للمساعدة فى كل ذلك ؟ .

هذه الأسئلة يجيب عليها إيان سيتورات جريجورى من واقع تجربته الشخصية كشخص أعزب لم يتزوج بعد .





١٠١٠٣٧٠٩